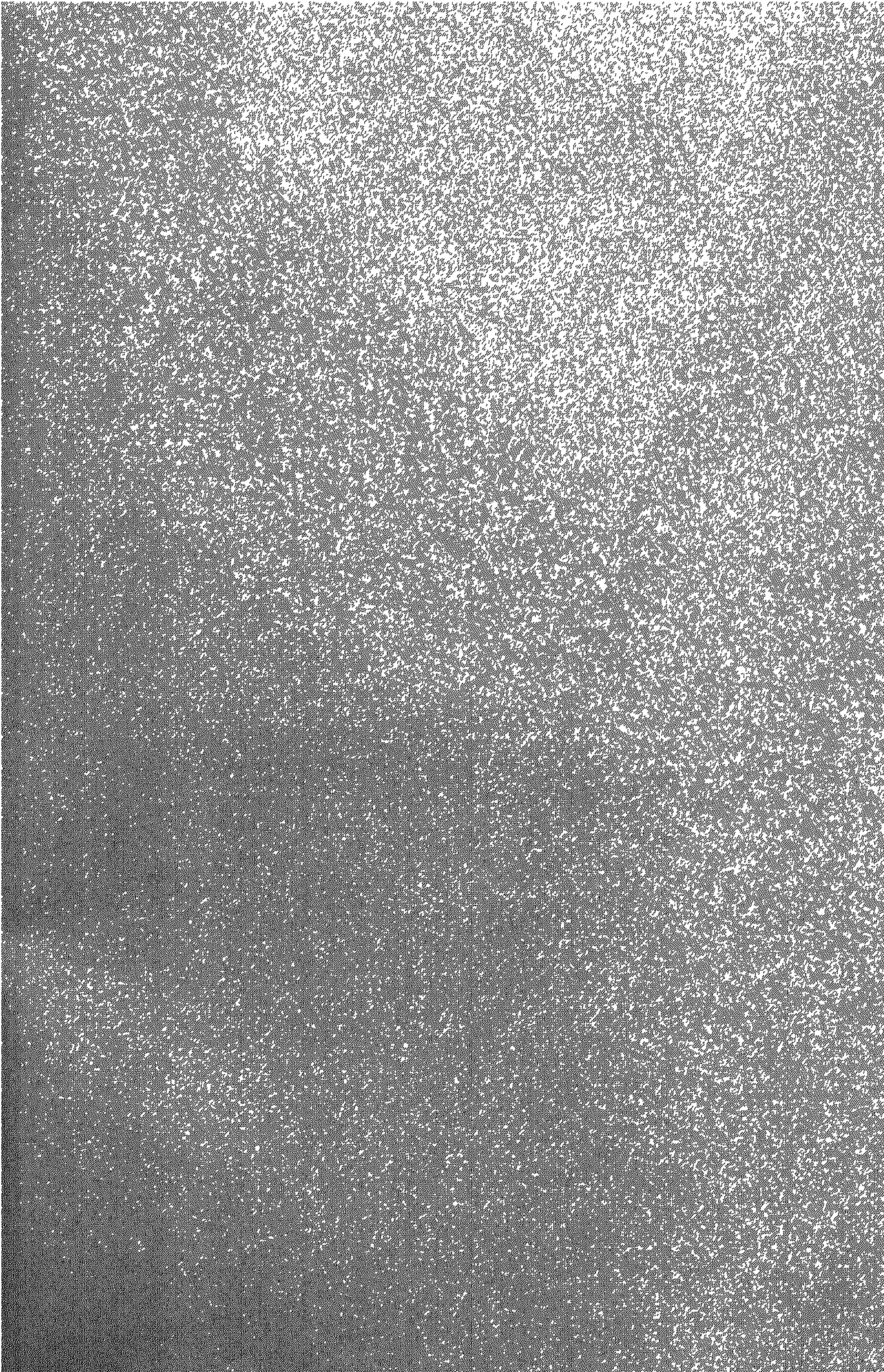








كتاب

الهداية

❊ وهو رد على الكتاب المسمى اظهار الحق ❊

وعلى

« الكتاب المسمى السيف الحميدي الصقيل »

فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حيوةً أبدية . وهي التي تشهد لي
يو ٥ : ٣٩

فأَقِم وجهك للدين القيّم من قبل ان يأْتي يوم لا مردَّ لهُ من الله
سورة الروم ٣٠ : ٤٢

طبع بمعرفة المرسلين الاميركان بمصر سنة ١٨٩٨

فهرست كتاب الهداية



صحيفة

صحيفة

صحيفة



مقدمة

الحمد لله الذي وفقنا للهداية . ووقانا شر الغواية . بحقهِ الصادع . ونور انجيلهِ الساطع . الذي من استضاء بمصابيحهِ ابصر ونجا . ومن اعرض عنهُ ضل وهوى . ومن اعتصم بعروتهِ الوثقى . وسلك في محجتهِ الوسطى . أمن العثار . ونجا من النار . فهو مرمى النجاة . والمنقذ من وهدة المهواة . شمس الضحى الماحي لظلم الضلال . ولسان الصدق النافي للكذب والمحال . كتاب كريم . انجيل قديم . لا يأتيهِ الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ . ولا يتطرق لهُ نسخ ولا تحريف في اصلهِ او وصفهِ . كلأهُ المولى بعين عنايتهِ الساهرة . وقدرتهِ الظاهرة . في جميع الاجيال الغابرة . الى هذهِ الاعصر الحاضرة . فاتخذهُ جميع المؤمنين الماضين والمتاخرين سراجاً منيراً . وبالهدى بشيراً . فكان لهم كحدقة العين . او كحشاشة الروح بلا مين . اوضح طريق الجنة . والفوز بالسعادة فيا لها من منة . نشكرهُ على ارسال كلمتهِ الازلية . وحكمتهِ الصمدانية . ابنهُ . الكريم بهاء مجدهِ ورسم جوهرهِ العظيم . المبدي والمعيد . والمحيي والمبيد . والفعال لما يريد . المتوحد بالقدم والبقاء . والقاضي على ما عداهُ بالعدم والفناء . فتنازل من فرط محبتهِ . وكرم رحمتهِ . وتوشح الطبيعة البشرية ليرفع قدرها . ويشرّف ذكرها . فمن آمن واهتدى . فاز بالمنى . ورفع مكانهُ يوم الدين . في اعلى عليين . ومن عاند هوى الى اسفل السافلين . فما اعظم جودك ياذا الجلال والاكرام . واسمى محبتك . ياذا اللطف والانعام . لك الحمد على ارسال رسلك الحوار يين أنصارك لبث هذهِ النعمة . ونث هذهِ الرحمة . وتبديد الظلمة . ورفع النقمة . وكشف الغمة . وسد الثلمة . فأيدت دعوتهم بالمعجزات الباهرة . والآيات الطاهرة . فقاموا قيام الأيد بامور الدين . واقاموا الأود بالحق اليقين . واضاؤا انوار دينك في الافاق . واشرقت كل الاشراق . وزينوا المغارب والمشارق . بالمعارف ومحاسن الافعال ومكارم الاخلاق . وطهروا الدنيا من الخبائث والبطالة . وبواطن الزيغ والجهالة . والحيرة والضلالة . برفع اعلام الحق بعد انطماسها . وتشييد معالم الهدى بعد اندراسها . نجوم الهدى مزيلو الشرك والردى . هدوا الى الطريقة الغرآء . والمحجة البيضاء السمحاء . ملح الارض من الفساد . كما قال خالق العباد .

اما بعد فان انفع المطالب حالاً ومآلاً · وارفع المآرب منقبة وكمالاً وافضل الرغائب أبهة وجمالاً · ما بهِ ينتظم صلاح العباد · ويغتنم الفلاح في المعاد · والطريقة الوحيدة الموصلة الى هذهِ المسالك · المنجية من المهالك · الحق المدوَّن في الانجيل · فهو الهادي الى سوآء السبيل · فمنهُ مأخذه واساسهُ · واليهِ يستند اقتناصهِ واقتباسه · بل هو رئيسه ورأسه · ومع ذلك فظهر في كل زمان · في كثير من الممالك والبلدان · كثيرون من اصحاب الاهوآء المبطلين · والكفرة الملحدين · آثروا اتباع الهوى · على الهدى · فضلوا عن الحق · ولم يعتقدوا بنبي ولا رسول ولا بعث ولا نشور مع انهُ حق · وسعوا في اطفآء نورهِ وأبى الله ان يطفئ نورهُ ولو كره الكافرون · وقد حذا حذوهم بعض المتفيهقين وهم لا يشعرون · فكان الواحد منهم كحاطب ليل · وجالب رجل وخيل · ينقل ما يجدهُ نقلاً · ولا يستعمل عقلاً ليعرف أغث ما اخذهُ ام سمين · وسخيف ما القاهُ ام متين · فخبط خبط عشوآء · في ليلة عسوآء · والطباع المجردة من النعمة الالهية · والنفوس التي لم تمسح بالمسحة القدسية · تحيد طبعاً عن مناهج الرشاد · وتميل قطعاً الى اللدد والعناد · وقد جرى رحمة الله صاحب كتاب اظهار الحق هذا المجرى · وسرى هذا المسرى · فاورد في كتابهِ شبهات الكفرة واعتراضاتهم على التوراة والانجيل · وتبجح بايراد تلك الاضاليل · فانهُ ليست الغاية الاهتدآء الى سوآء السبيل · ولكن لو اجتمعوا وكان جمعهم كثيراً و بعضهم لبعض ظهيراً · وعوناً ونصيراً · لما امكنهم مس حجر من اساس الدين المسيحي المتين · ولا قلع حجر من بنائهِ المكين · بل عاد عليهم وبال شرّهم · ورد الله كيدهم في نحرهم ·

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنهُ الوعل

فكم من عتاة ومقاومين طغاة · قلبوا ظهر المجن · واثاروا الفتن والاحن · لمقاومة الحق فذهبت مساعيهم هبآء منثوراً · ولم تكن شيئاً مذكوراً · بل زاد منعة لا ترام · وتكسر ما فوق نحوهُ من السهام · لان حافظهُ هو القدير · و بيدهِ الملك والتدبير · فمن ظن ان المشاغبة الباطلة · والقضايا السفسطية العاطلة · تطفئ نور الحق المبين · فهو في ضلال مهين · فلا تروي غليلاً · ولا تشفي عليلاً · ولا تغني فتيلاً · ومع ذلك فسلك الشيخ ابو بكر صاحب كتاب السيف الحميدي الصقيل طريق الضلالة والتضليل · فاقتبس الشبهات من كتاب اظهار الحق ونسج على منوالهِ · وافتدى بمثالهِ · ولما كانت خدمة الحق اشرف الخدم · واحسن ما توجهت اليه الهمم · واجدى ما اشتغلت بهِ الافكار · وافيد

ما تأملت فيهِ الانظار . استخرنا الله في الرد عليهما . فالحق ابلج . والباطل لجلج . ولم نمتطِ مثلها مطية الاعتساف بل راعينا شريطة الحق والانصاف . ودحضنا اقوالهما بالادلة العقلية . والاقوال النقلية . وشفعناها بابكار الافكار . وتحقيقات الانظار . وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء ليحق بهِ الحق ويبطل بهِ الباطل ان الباطل كان زهوقًا . وابتدأنا بالرد على الفصل الاول من كتاب السيف الحميدي الصقيل وهو كالمذكور في كتاب اظهار الحق ولكنهُ زاد في التقريع والانتقاد . والخروج عن الاعتدال والرشاد . وهو غاية ما ذكر في كتابهِ . وليس لهُ غيرهُ في بابهِ . ثم انتقلنا الى الرد على كتاب اظهار الحق ودحض ما اقترفهُ من الغلط . وارتكبهُ من الشطط . ولم نترك قضية كلية ولا جزئية . الاَّ ادحضنا ما اشتملت عليهِ من الفرية . ومحونا اقوال الظلمات . بآيات النور البينات . والتزمنا جانب الادب في كل مقام . لان الحق لا يعزز بالسفاهة وهرآء الكلام . بل بالقول الجزل . والبرهان الفصل . كما لا يخفى على ذوي الفضل . ولم نقابل ما استعانا بهِ من فحش القول بمثلهِ . لانهُ لا تظهر فضيلة المرء الأ من قولهِ او فعلهِ . فكلامنا محلى بالادب . مع متانة البراهين والادلة التي بها بلوغ الأرب . فعليك ايها المطالع باستقصآء ما نذكرهُ من الادلة . وانعم فيها فكرك فانها في سمآء اليقين كالاهلة . فان ايماننا مبني على الحق اليقين . وليس على الوهم والتخمين . نطلب منهُ تعالى ان يلهمنا الدراية . ويعصمنا عن الغواية . ويحقق لنا الهداية . فاللهم اعصمنا بفضلك من الزيغان . وطهر قلوبنا من البهت والبهتان . انك ربنا عليك نعتمد واليك ننيب . وانت خير من للدعآء مجيب

الباب الاوّل

﴿ الفصل الاوّل ﴾

(كلام عمومي على الانبياء الكرام) .

اعترض كل من صاحب كتاب إظهار الحق وصاحب كتاب السيف الحميدي الصقيل على التوراة لانهُ ذكر فيها خطايا بعض الانبياء ومن تعصبهما لم يدريا بأن القرآن الذي يعوّل عليهِ المسلمون في العبادات والاعتقادات والمعاملات اقتبس من انوار التوراة والانجيل وذكر اغلب خطايا الانبياء تارة بالبيان الصريح واخرى بالكناية والتلميح وورد شيءٌ من ذلك في الاحاديث اي السنة فلذا تعين ان نورد اعتراضهما ثم نرد عليهِ من الكتاب والسنة لانهُ يلزم لاقناع الخصم ايراد الادلة المسلمة عنده التي يعتقد بصحتها ومع اننا لا نعتقد بصحة المنقول عنهُ ولا انهُ منزل من الله ولكن لما كانت الغاية اقناع الخصم وافحامه حتى لا يسعه سوى التسليم نورد لهُ ما يعتبره الحكم الفصل واذ تقرّر ذلك نقول قد استدل كل منهما ببعض القصص الواردة في التوراة التي نسب فيها الى بعض الانبياء الخطأ والنسيان على عدم صحة الكتب المقدسة فقال صاحب السيف الحميدي وما نرى من نبي ذكر في الكتب المقدسة من نوح الى المسيح الاَّ ويكون فاسقاً او كافراً او كاذباً او زانياً او من اولاد الزنا اعاذنا الله من امثال هذه الاعتقادات الفاسدة في حق الانبياء الكرام وقال اني اتبرأ من اعتقادها بالقلب واللسان واستغفر الله العظيم الشان وليس نقلها الا كنقل كلمات الكفر ونقل الكفر ليس بكفر (فنقول) ان ادعاءهُ بانهُ لم يذكر في التوراة

والانجيل نبي الا نسب اليهِ الكفر والفسق ليس في محله فهذا اخنوخ وايليا ويوسف الصديق ودانيال النبي وغيرهم لم ينسب اليهم الكتاب المقدس شيئاً مما ذكرهُ المعترض بل ان القرآن نسب الى يوسف ما هو منزّه عنهُ فذكر في سورة (يوسف ١٢ : ٢٤) ولقد همت بهِ وهم بها اي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا همّ بشيء امضاه اما في التوراة فورد في سفر (التكوين ٣٩ : ٩) انها لما طلبت مخالطته قال لها كيف افعل هذا الشر العظيم واخطئ الى الله فتأمل في العبارتين وانظر اي الكتابين نسب الى يوسف الخطية وقد ذكر في الانجيل بان من اشتهى فقط كان كمن اقترف ذات الفعل والقرآن لم يقل انهُ اشتهى فقط بل انهُ عزم على الفعل ثانياً ان الكتاب المقدس ناطق بان يسوع المسيح هو قدوس منزه عن النقص والعيب حتى لم يجد ذات اعدائه الالداء ادنى علة تشينهُ فانهُ كلمة الله الازلية داس الشيطان بقوته وقدرته وقداسته ولئلاَّ يظن المعترض انا اتينا شيئاً فرياً نقول ورد في سورة آل عمران (٣ : ٣١) وليس الذكر كالأنثى واني سميتها مريم واني أُعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله يقول ما من بني آدم من مولود الاَّ نخسهُ الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسهِ اياه الاَّ مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرأُوا ان شئتم واني أُعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنهُ قال كل ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبيهِ باصبعيهِ حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب اي لم يمسهُ بشيء فمن هنا يظهر عدم صحة دعواهُ من انهُ لم يذكر نبي ولا غيره الاَّ نسب اليهِ الفسق ومع ذلك فلا ينكر انهُ ذكر في التوراة بان بعض الانبياء اقترفوا الاثام فانهم بشر والنقص ملازم

للانسان مهما كانت درجته ومنزلته وتقواه والمولى سبحانه وتعالى هو المنزه وحده عن شوائب النقص وهو المنفرد بالكمال واما الانسان فهو محل النقص والنسيان ولا يستثنى من هذا الحكم احد من النوع الانساني لا عالم ولا جاهل ولا كبير ولا صغير ولا امير ولا مأمور (ومن ذا الذي ما ساء قط · ومن لهُ الحسنى فقط) ومع ذلك فالانبياء الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالته واعلان مشيئته وارادته عصمهم بفضله في تبليغاتهم عن الخطإ والخطل والنسيان والزلل فكان يهديهم بروحه الى ما يجب ان يقولوهُ ويبلغوهُ للورى فهم معصومون عن الخطإ في تبليغ الرسالة ولكنهم غير معصومين في الاعمال العادية دلالة على ضعف الطبيعة البشرية وافتقار العالم قاطبة الى فادٍ كريم يخلصهم من الخطية ونتائجها فانهُ لما اخطأ آدم الذي خلقهُ الله سبحانه وتعالى في احسن تقويم وفي غاية القداسة والطهارة والفهم وسعة الادراك دخلت الخطية الى عالمنا بيلاياها فاخطأت ذرّيته ولا عجب اذا اخطأ ابرهيم وموسى وداود وسليمان كما سنذكره ولكن لما وقع أُولئك الافاضل في الخطايا اعترفوا بذنوبهم وصرحوا بتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم بخلاف غيرهم فانهُ تمادى على العصيان

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في العهد والميثاق الذي اخذهُ الله على آدم وذرّيته وفي سقوطه)

قد ابتدأْنا بذكر خطية آدم لانها من الحقائق الجوهرية في الديانة المسيحية فنقول انهُ كان نائباً عن ذرّيته فأَخذ الله عليهِ العهد والميثاق فنكثهُ بمعصيته فنقضته ذرّيته لنيابته عنهم وورد في القرآن ما يدل على ان آدم كان نائباً عن

ذرّيته فذكر في سورة الاعراف (٧ : ١٧١) واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انّا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرّية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فقوله اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ولم يقل ظهر آدم لان الله اخرج ذرّية بعضهم من ظهر بعض وهم كلهم بنو آدم واخرجوا من ظهره ومذهب اهل التفسير والاثر بل ظاهر ما جاءت بهِ الروايات عن السلف فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة هو ان النبي قال اخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس قال ان اوّل ما اهبط الله آدم الى الارض اهبطه بدهناء ارض الهند فمسح ظهره فأخرج منهُ كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة بنعمان الذي وراء عرفة فكلمهم الله وانطقهم واخذ منهم الميثاق ان يعبدوهُ ولا يشركوا بهِ شيئاً بعد ان ركب فيهم عقولاً وتكفل لهم بالارزاق وكتب آجالهم ومصائبهم وغيرها ثم اعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من أُعطي الميثاق يومئذٍ وقال نبيهم اخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الراس واخذ عليهم العهد والاحاديث كثيرة في ذلك انظر الخازن الجزء الثاني صحيفة ١٩١ لغاية ١٩٩ وغيره وقال الشيخ القزويني انهُ استخرجهم من مسام شعرات ظهره الى آخره ومما يدل على ان ذرّيته اخطأت بخطيئته بعبارة صريحة ايضاً ما روي عن ابي هريرة قال النبي لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذرّيته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصاً من نور ثم عرضهم على

آدم فقال اي ربِّ من هؤلاء قال هؤلاء ذرّيتك فرأى رجلاً منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال ربِّ كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة قال نبيهم فلما انقضى عمر آدم الاَّ اربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أَوَلم يبقَ من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحدت ذرّيته ونسي آدم فأكل الشجرة فنسيت ذرّيته وخطئ آدم فخطئت ذرّيته اخرجه الترمذي وغيره وقال حديث حسن صحيح ومع ان هذا الكلام لا يخلو من خلط لانه خلط الحنطة بالزّوان الاَّ انه كافٍ للدلالة على ان آدم كان نائباً عن ذرّيته وان الله اخذ عليهِ العهد ولما اخطأ اخطأت ذرّيته وقال الشيخ الشعراني ان المعتزلة زعموا ان معنى الآية المتقدمة هو انه اخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيامة وانهُ ليس هناك اخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل ولا يخفى ما في هذا المذهب من الخطأ والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسألة والذي يظهر لي انهم انما انكروا ذلك فرارًا من غموض مسائل هذا البحث ودقة معانيه فرضوا بالجهل عوضاً عن العلم والحق ان الله تعالى اخذ عليهم العهد في ظهر آدم حقيقة لانهُ على كل شيء قدير انتهى كلامه وقد ذكر مقالة طويلة على هذا فنيابة آدم عن ذرّيته هي حقيقة مقرَّرة عند المسلمين والحديث ناطق بان ذرّيته اخطأوا بخطيته فانه قال فجحد آدم فجحدت ذرّيته ونسي آدم فنسيت ذرّيته انتهى وقد كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي مقالة على هذا الحديث في الباب ٣٠٥ والحاصل ان المسلمين معترفون بان الله اخذ على آدم عهدًا وهذا العهد هو المسمى عند المسيحيين بعهد الاعمال ومن سوء الحظ لم يعرف

المسلمون عهد النعمة فذكروا الداء ولم يذكروا الدواء الشافي والخلاص الكافي اما المسيحيون فيعرفون عهد الاعمال وعهد النعمة قال الرسول بولس في رومية الاصحاح الخامس فكما انهُ بآدم الاوَّل دخلت الخطية فبالأولى نعمة الله بيسوع المسيح فعهد النعمة هو تجسد المسيح وحفظه للناموس وتقديمه ذاته كفارة عن المؤمنين وهي نعمة عظمى ولقد اصاب الشيخ ابو مدين التلمساني اذ قال لو كنت مكان آدم لاكلت الشجرة كلها وفي رواية اخرى لو علم آدم حين اكلهِ من الشجرة ما يؤول امره اليهِ من الخير لاكل الشجرة كلها انتهى ونقول ان آدم كان يعرف بعض المعرفة رحمة الله التي لم يكن ممكناً ظهورها بغير فداء المسيح فلا شك ان خطيته اظهرت محبة الله في المسيح وكانت السبب في هذا الخير العظيم

اما خطية آدم فهي انهُ ورد في التوراة ان الله سبحانه وتعالى نهاه عن اكل شجرة معرفة الخير والشرّ فخالف واستوجب الموت في جهنم لان كل نفس تخطئ موتاً تموت لاستلزام عدل الله ذلك. فاقتبس القرآن هذا وصرح بسقوطه فورد في سورة (طه ٢٠ : ١١٩) ما نصهُ وعصي آدم ربهُ فغوى قال المفسرون عصى ربهُ بأكل الشجرة وقال البيضاوي فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة او عن المأمور بهِ اوعن الرشد حيث اغتر بقول العدوّ انتهى كلامه وقرَّرت علماء الاسلام ان العصيان من الكبائر بدليل قوله (ومن يعص الله ورسوله فان لهُ نارَ جهنم) وكلمة الغواية الواردة في الآية السابقة تؤكد ذلك لانها اتباع الشيطان لقوله الاَّ مَنِ اتبعك من الغاوين فآدم استوجب الموت لعصيانه (الثاني) ورد في سورة طه ٢٠ : ١٢٠ قوله فتاب عليهِ ولن تكون التوبة الاَّ عن الذنب لانها الندم على المعصية والعزيمة على ترك العود اليها ومن المؤكد انهُ لا يمكن مغفرة خطيئة الاَّ بسفك الدم فالتوبة وحدها لا تفي

للعدل الالهي حقه فيلزم التوبة والايمان بالمسيح (الثالث) مخالفته النهي عن اكل الشجرة وارتكاب المنهى عنهُ ذنب (الرابع) ورد في سورة البقرة آية ٣٣ قولهُ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (الخامس) ورد في سورة الاعراف ٧ : ٢٢ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (السادس) قوله في (سورة البقرة٣٤) فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيهِ . فغاية ما دافع بهِ علماء الاسلام عنهُ قولهم انهُ وقع في هذه المعصية قبل النبوّة وقال محيي الدين ابن العربي انما عصي من كان في ظهره من ذرّيته الذين هم اهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة لسائر اولاده قلنا ان الآيات القرآنية ناطقة بانهُ هو الذي عصي ونسبت معصيته الى ذرّيته ايضاً لانهُ كان نائباً عنهم وعلى كل فالنفس التي تخطئ موتاً تموت وهو حكم الهي وقالوا ان آدم لما اكل من الشجرة اسود جسده لان المعصية اثرت فيهِ فالسواد علامة المعاصي حتى قالوا نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم

ونسب الى آدم ايضاً من الخطايا ما ذكر في سورة الاعراف ٧ : ١٨٩ ونصه هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها (يعني ليأنس بها ويأوى) فلما تغشاها (يعني واقعها وجامعها) حملت حملاً خفيفاً فمرّت بهِ فلما اثقلت دعوَا الله ربهما لئن اتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين قال المفسرون لما اهبط آدم وحواء الى الارض القيت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس وقال البيضاوي اتاها في صورة رجل فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري قال اخاف ان يكون بهيمة او كلباً او خنزيراً قالت اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريكِ

من اين يخرج امن دبرك ام من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا في غم ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلةٍ فان دعوت الله ان يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملائكة الحارث فذكرت حواء ذلك لآدم فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرَّهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث انتهى وانت ترى انهم لما يخرجون عن نص التوراة يأتون بالغث البارد والسخيف الشارد وقوله وذلك من وحي الشيطان يعني من وسوسته كما جاء انهُ خدعهما مرتين مرَّة في الجنة ومرَّة في الارض قال ابن عباس لما ولد لهُ ولد اتاهُ ابليس فقال لهُ اني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحارث وكان قبلاً يسمي اولاده عبد الله وعبد الرحمن فقال آدم اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد لهُ بعد ذلك ولد آخر فقال اطعني والاَّ مات كما مات الاوَّل فعصاه فمات ولدهُ فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فاطاعهُ هذا هو فحوى اقوال مفسريهم فالمسلمون يسلمون بان آدم خالف الله وانقاد الى غواية ابليس مرتين اما التوراة الشريفة فذكرت انهُ سقط وخرج من الجنة لاكله من الشجرة التي نهاهُ الله عنها فقط ولم تذكر لهُ غير ذلك وبما انهُ كان نائباً عن ذرّيته فاخطأت ذرّيته ايضاً ودخلت الخطية الى عالمنا هذا لانهُ اذا كان آدم الذي خلقهُ الله طاهرًا خالف فكم بالحري ذرّيته فالجميع اخطأُوا واعوزهم مجد الله فاتى الفادي الكريم وخلص من آمن به قال ان نسبة الخطايا الى الانبياء كفر قلنا اذا سلمنا بهذه القاعدة التي وضعها كان قرآنه مشتملاً على الكفر وكان هو ايضاً من الكفرة لانهُ ذكر صريحاً في القرآن بان آدم وقع في العصيان

والطغيان مع انهُ معدود عند المسلمين من الانبياء أُولي العزم فأَطاع الشيطان وصدقهُ وكذب المولى وطمع في الخلود كما قال البيضاوي وغيره

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في نوح وخطية حام ولعن كنعان)

اعترض على وقوع نوح في السكر واستشهد بما ورد في سفر التكوين (ص ٩ : ١٨) ونصه كان بنو نوح الذين هاجروا من الفلك ساماً وحاماً ويافث وحام هو ابو كنعان هولاء الثلاثة هم بنو نوح ومن هولاء تشعبت كل الارض وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فابصر حام ابو كنعان عورة ابيه واخبر اخويه خارجاً فاخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة ابيهما ووجهاهما الى الوراء فلم يبصرا عورة ابيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم بما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته انتهى فاعترض على شرب نوح للخمر ولا ننكر انه حرام الاَّ ان نبي المعترض شرب الخمر فروى عبد الرحمن عن ابن عباس ان النبي طاف وهو شاك على بعير ومعه محجن(١) فلما مرَّ بالحجر استلمه بالمحجن حتى اذا انقضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم اتى السقاية فقال اسقوني من هذا فقال له العباس أَلا نسقيك مما يصنع في البيوت قال لا ولكن اسقوني مما يشرب الناس فاتى بقدح من نبيذ فذاقه فقطب وقال هلموا فصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة او مرتين او ثلاثاً ثم قال اذا صنع احد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا وروى يحيي ابن اليماني عن ابن مسعود الانصاري ان النبي عطش

(١) خشبة في طرفها اعوجاج مثل الصولجان وفي الحديث انهُ كان يستلم الركن بمحجنه

وهو يطوف بالبيت فاتي بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب من ماء زمزم اي دلو فصب عليه ثم شربه فقال لهُ رجل أحرام هذا يا رسول الله فقال لا وذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد ان الله حرَّم خمر العنب تعبدًا لا لعلة الاسكار ولا لانها رجس ولو كان كذلك لما احلها الله للانبياء المتقدمين والامم السالفين ولا شربها نوح بعد خروجه من السفينة ولا عيسى ليلة رفع ولا شربها اصحاب محمد في صدر الاسلام ورووا ان سفيان الثوري كان يشرب النبيذ الصلب الذي تحمرّ منه وجنتاه انتهى فانت ترى انها كانت جائزة والتوراة والانجيل ناطقان بانها حرام قطعًا وشربها نوح دلالة على ضعف الطبيعة البشرية اما المسيح فلم يشرب الاَّ شيئًا لا يعتد به في عيد الفصح مرة في السنة حسب شريعة موسى فكان كل واحد من بني اسرائيل يشرب ما لا يعتد به في هذا العيد تذكارًا لمراحمه عليهم ۰ ومن الخطايا التي نسبها القرآن الى نوح هو انه دعا على المشركين بان يزيدهم الله ضلالاً كما في سورة نوح (٧١ : ٢٤) فقال ولا تزِدِ الظالمين الاَّ ضلالاً وفي آية ٢٨ ما نصه وقال نوح ربِّ لا تذَر على الارض من الكافرين ديَّارًا ثم قال ربِّ اغفر لي وقال المفسرون انه لما دعا على الكفار قال ربِّ اغفر لي يعني ما صدر لي من ترك الافضل اما في الانجيل فورد في (٢ بط ٢ : ٥) انه كان كارزًا للبرّ فقام بوظيفته ولم يقل انه قصر في اداء الرسالة ولا انه اخذ يدعو على الناس بالافناء والاعدام وعلماؤهم قالوا انه ترك الاولى والافضل حيث استغفر ربه وهذه الخطيئة اقبح من السكر ولا نعتقد بحصولها لعدم ورود شيء عنها في التوراة

ومن الخطايا التي نسبها القرآن الى نوح ايضًا طلبه من المولى عزّ وجلّ ما لا يجوز طلبه فورد في سورة هود (١١ : ٤٧ — ٤٩) ما نصه (ونادى نوح ربه

فقال ربي ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عملٌ غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال ربِّ اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والاَّ تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين) فقال المفسرون المراد بابنه هنا كنعان وكان كافرًا وقالوا انه كان ابن زنا ليس من صلب نوح فرموا امرأته بالزنا ولكن قال بعضهم انه ابنه وان الله يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فاخرج الله قايبل من صلب آدم وهو نبي وكان قايبل كافرًا واخرج ابرهيم من صلب آزر وهو نبي وكان آزر كافرًا فكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء انتهى كلامهم ومع ان فيه اغلاطًا من حيثية الاسماء الاَّ ان المبدأ صحيح وفحوى الكلام ان نوحاً سأل المحظور فنهاه الله بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك بان تكون من الجاهلين ففيه زجر وتهديد ثم انه طلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه واستدل علماء المسلمين بذلك على عدم عصمة الانبياء فالحكاية المتقدمة كافية في الدلالة على وقوع نوح في الخطيئة وانه لم ترد في التوراة مع ان المعوَّل عليها والمرجع اليها في مثل هذه الامور

وقال ان الذي نظر الى عورة نوح هو حام ابو كنعان والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان مع ان اخذ الابن بذنب ابيه خلاف العدل قال النبي حزقيال (١٨ : ٢٠) النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل اثم الاب والاب لا يحمل اثم الابن برّ البار عليهِ يكون وشرّ الشرير عليهِ يكون (قلنا) من تتبع تاريخ كنعان رأى انهُ شر من والده فلعن نوح لهُ كان نبوة عنهُ نطق بها قبل

وفاته بقليل (ثانياً) ان لعن كنعان هو عقاب شديد لحام ابيه لانهُ لعن ولده فلذة كبده وكل والد في الدنيا يجعل مطمح نظره وكل عقله وفكره في تشييد اسم لابنه فالوالد يتمنى كل خير لابنه ويتألم ويتضرم اذا حل مكروه بهِ ويتمنى ان يفديه بروحه فلعن ولده بمنزلة عقاب شديد لهُ وهو انكى من عقاب الوالد فقط فهو كالضرب بسيف ذي حدين وزد على هذا ان كنعان كان مستحسناً لعمل والده فانهُ كان رجلاً شريراً كما يعلم من تاريخه فنوح وضع كل شيءٍ في محله فلعن حاماً المرتكب للخطية ولعن ابن حام الذي كان شريراً كوالده وموافقاً على عمله (ثالثاً) ان العقاب ينقسم الى قسمين عقاب في الدنيا وعقاب في الاخرة والمعوَّل عليهِ عقاب الاخرة فعقاب الدنيا هو ما يحل بالابن بسبب خطية والده فاذا كان الوالد فاسقاً او سكيراً او لصاً تجرعت اولاده وامرأته غصص الفقر والضيق وهو امر طبيعي مع انهُ لا ذنب للابن في هذه الحالة سوى انحراف والده فاذا فرضنا بان كنعان كان رجلاً صالحاً وهو خلاف الحقيقة فعقابه من قبيل عقاب الدنيا وهو لا ينافي ان الله سبحانه وتعالى سيجازي كل انسان حسب عمله خيراً كان ام شرًّا في الاخرة وكثيراً ما يحل بالامة بتمامها مضض الكروب لانحراف ملكها فيسلط الله على الملك العاتي العاصي من يخرب بلاده ويدمر مدنها وثغورها ويقتل سكانها ويسبي نساءها ويهتك الاعراض ويخطف الاعراض وسببه انحراف ملكها عن الصراط المستقيم (رابعاً) من العقائد الاسلامية المهمة ان الابن يؤخذ بذنب ابيهِ فورد في الحديث القدسي يا داود انا الله الودود انا الله ذو بكة آخذ الابناء بما فعلهُ الجدود وورد في سورة الانفال (٨ : ٢٥) (واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة) يعني تتعدى اليكم جميعاً وتصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار

وقال ابن عباس امر الله عزّ وجلّ المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم ومن الاحاديث ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروهُ فاذا فعل ذلك عذب الله العامة والخاصة وقال ابن الاثير في جامع الأصول ان النبي قال اذا خلت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها قال علماؤهم فان قلت ظاهر قوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) يشمل الظالم وغير الظالم فكيف يليق برحمة الله وكرمهِ ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انهُ تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرّف فيهم كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يُسأَلون فيحسن منهُ على سبيل المالكية او لانهُ تعالى علِمَ اشتمال ذلك على انواعٍ من انواع المصلحة فتأمل وقال ابن حزم ان قوله وان ليس للانسان الاّ ما سعى الى آخره الواردة في سورة النجم نسخت بقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان الواردة في سورة الطور (٥٢ : ٢١) فيجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيهِ ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في الاباء ويدل على ذلك قوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً (سورة النساء ٤ : ١٢) انتهى كلامه بالحرف الواحد

وجرت العادة انهُ اذا اقترف الاب ذنباً نسب الى ابنه مع انهُ لم يفعلهُ حقيقة ولكنهُ لما كان يقتدي بابيهِ فان من شابه أبه فما ظلم كان كأنهُ فعل ذنبه فعلى هذا كان محمد نبيهم يشنع في يهود عصره ويتهمهم بانهم عبدوا العجل مع ان آباءهم هم الذين عبدوهُ فقال (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلّة في الحياة الدنيا) فقال علماء المسلمين المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود

الذين كانوا في زمن محمد قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي واباؤهم هم الذين عبدوا العجل وقال عطية العوفي سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد محمد واراد بالغضب والذلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاوّل ان العرب تعير الابناء بقبائح افعال الاباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من ابائهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن محمد بانهم اتخذوا العجل وان كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلةٌ في الحياة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم الى اخره ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليهِ انتهى بحروفه من (الجزء الثاني من الخازن صحيفة ١٨١) وعلى هذا القياس اقترف حام الخطيئة فلعن نوح كنعان ابن حام لانهُ كان شريرًا مثل والده فالمولى سبحانهُ وتعالى لا يظلم احدًا فانهُ هو العادل الحكيم العليم وسيجازي كل انسان حسب عمله خيرًا كان ام شرًّا والحاصل ان كنعان كان شريرًا واستوجب اللعنة فلا منافاة بين لعن نوح اياه وبين ما ورد في سفر حزقيال النبي

قال وما سمع ان كنعان ولا بنوه كانوا عبيدًا ولا في وقت من الاوقات بل كانوا سادة وملوكاً وجبابرة في فلسطين قلنا ان التاريخ ناطق بان كنعان صار عبدًا لاخوته كما هو واضح من تاريخ بني اسرائيل فاستولى الاسرائيليون على بلادهم واذلوهم حيث ركدت ريحهم وخبت مصابيحهم انظر سفر يشوع وقد فلق الله نهر الاردن لبني اسرائيل واوقع اسوار اريحا واذل الكنعانيين وقبل

ختام هذا الفصل نقول قد استفاق نوح من سكره فتاب ولم يعد الى هذه الخطيئة

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في خطيئة ابراهيم واسحق ويعقوب)

قال المعترض ورد في سفر التكوين ١٢ : ١٠ ان ابراهيم لما دخل ارض مصر قال عن زوجته انها اخته لانهُ خاف ان يقتله المصريون بسببها فطلب منها ان تقول انها اخته ليكون لهُ خير بسببها وتحيا نفسه من اجلها فاخبروا فرعون عنها فصنع الى ابرام خيرًا بسببها وصار لهُ غنم وبقر وحمير فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي فاستدعى فرعون ابرام ووبخهُ على عمله واعطاهُ زوجته الى آخر ما هو مذكور في هذا الاصحاح واخذ المعترض يهول ويشنع ويقول لا يليق بخليل الله ابي الانبياء وصفوة الامناء ان يرضى بترك حريمه ويسلمها للغير قلنا ان قول ابراهيم عن سارة بانها اخته هو صحيح لانها كانت أُخته ولكنها غير شقيقة لهُ فكانت من أَبيه فقط وكان يجوز في تلك الاعصر القديمة الاقتران بغير الشقيقات ولم تكن غايته اقتناء المواشي والاتن كما ادعى المعترض بل كانت غايته الاتقاء من جور ملوك ذلك الزمان لانهُ قال اخاف ان المصريين يقتلونني بسببك فقولي انك أُختي فيستبقونني ولا يقتلونني ولا ينكر انهُ ترك الأَولى لضعف الطبيعة البشرية فالمولى سبحانهُ وتعالى هو الكامل وحدهُ والنقص ملازم لكل انسان مهما كان اما الخير الذي حصل لهُ فلم يكن مقصودًا بالذات ولم تنسب اليهِ التوراة غير هذه الكذبة وكذبة اخرى ولكن تكلم الكتاب المقدس على عظم تقواهُ وقوَّة ايمانهِ واعتمادهِ على المولى سبحانه وتعالى فقال انهُ

ابو المؤمنين وغير ذلك اما القرآن فنسب اليهِ الكذب والشك وعبادة الاصنام فورد في سورة الانعام (٦ : ٧٧) ان ابراهيم قال عن الكوكب انها ربه ونص عبارة القرآن فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن يهديني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين وفي آية ٧٨ قال فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا اكبر انتهى . فاذا قال هذا عن اعتقاد كان شركاً والا كان كذباً فاعتذر عنهُ علماء الاسلام بقولهم ان ذلك صدر عنهُ قبل تمام النظر في معرفة الله وقالوا كم بينهُ وبين النبوّة اذ لا يتصوّر نبوّة الاّ بعد تمام ذلك النظر واعتذروا بعذر آخر قائلين انهُ قال ذلك على سبيل الفرض كما في برهان الخلف كانهُ قال لو كانت الكواكب ارباباً كما تزعمون لزم ان يكون الرب متغيراً آفلاً وهو باطل ولكن عبارة القرآن ناطقة بوقوعه في عبادة الاصنام (الثاني) القرآن ناطق بانهُ شك في قدرة الله فورد في سورة البقرة آية ٢٦٢ ما نصه (واذ قال ابراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أوَ لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي) وقالوا ان الشك في قدرة الله كفر وورد في الحديث قوله نحن اولى بالشك من ابراهيم (الثالث) ورد في القرآن انهُ كذب قال مفسروهم لما كسر ابراهيم الاصنام دعاه نمروذ الجبار واشراف قومه (قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعلهُ كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) وعن ابي هريرة ان رسول الله قال لم يكذب ابراهيم الاّ ثلاث كذبات ثنتين منهنَّ في ذات الله قوله اني سقيم وقوله فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه أختي حين اراد الجبار القرب منها رواهُ البخاري ومسلم

ومن خطاياه ما ورد في سورة الصافات ٣٧ : ٨٦ و٨٧ ونصه (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم

من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلاّ ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه وقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم اي مطعون وكانوا يفرّون من المطعون فرارًا عظيماً وقال علماء الاسلام النظر في علم النجوم حرام وحكته بانه سقيم كذب

فهذه الاقوال ناطقة بانه كان يعبد الكواكب وانه شك في قدرة الله وانه كذب بجملة مرار واهل الكتاب لا يسلمون بشيء من ذلك غاية الامر انه كذب من خوفه ويعتقدون بانه ابو المؤمنين ويضرب المثل بايمانه فانه آمن بالله ايمانًا ثابتاً واطاع اوامره بالطاعة الكاملة ولم يعتقدوا انه كان يعبد الكواكب ولا انه شك في قدرة الله ولا انه نظر في علم النجوم كما ذهب المسلمون فكان الواجب على المعترض ان يزيل هذه من قرآنه واحاديثه اولاً ثم يعترض على الكتاب المقدس

فاذا كان هذا حال خليل الله او كما قال المعترض ابو الانبياء وصفوة الامناء اي انهُ لم يسلم من الكذب فلا عجب اذا وقع اسحق في ذات هذهِ الخطيئة فلم يقوَ على التجربة لضعف الطبيعة البشرية كما قلنا ولم يذكر المولى عز وجل هذهِ القصص في التوراة الاّ ليعلمنا وجوب التيقظ لان ابليس عدونا جائل كأسدٍ يود افتراسنا فاذا لم يحفظنا المولى بنعمتهِ ويكلأنا بقوتهِ نسقط في شرّ الخطايا وقال رجل للحسن يا أَبا سعيد أَينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحةً فلا خلاص للمؤمن منهُ الاّ بتقوى الله تعالى وقال في الاحياء قبيل بيان دواء الصبر من غفل عن ذكر الله تعالى ولو في لحظةٍ فليس لهُ في تلك اللحظة قرين الاّ الشيطان وورد في القرآن ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض لهُ شيطانًا فهو لهُ قرين الخ ومن ذا الذي يصرف كل لحظةٍ في ذكر الله لعمري ان هذا فوق الطاقة البشرية فلذا كان الشيطان في كفاح دائمٍ مع كل انسان ولا يخرج من ذلك محمد ولا غيرهُ حتى ورد في

القرآن قولهُ وإمَّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انهُ سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وورد في الحديث قولهُ ان للشيطان لمة بابن آدم وان للملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق الحق بالحق واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق فلذا تعين على التقي الذي منح النعمة الالهية ان يستمر على الجهاد والكفاح وقد قال جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم بل اشد من الاعداء ولما سئل محمد اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك وقال لبعض اصحابهِ رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فجعل المجاهدة بالسيوف صغرى فان من ملك نفسهُ اعظم ممن يملك الحصون و ورد ايضاً اعدى اعدائك اليك نفسك التي بين جنبيك وهذهِ هي حالة الطبيعة البشرية فلا عجب اذا وسوس الشيطان لاسحق واغراهُ على الكذب كما فعل مع ابراهيم خليل الله ولا عجب ايضاً اذا استعان يعقوب بالمراوغة والمخاتلة في نوال البركة من ابيهِ وارتكن على الوسائط البشرية ولم يعتمد على الله وقد عاقبهُ المولى بان قيض لهُ من خاتلهُ فان الحصاد من جنس الزرع فاذا زرع الانسان كرماً حصد عنباً واذا زرع حسكاً جنى شوكاً فان (لابان) غشهُ وخاتله المرَّة بعد الاخرى وغاية الله هي ان يعلمنا بان نعتصم بالصدق في اقوالنا فانهُ اقوى لنا وان نهرب من الكذب في افعالنا لانهُ انفى لنا وضرب لنا الامثلة بانبيائهِ عبرة لمن يعتبر وتذكرةً لمن يدكر واوضح انهُ لا يحجم عن عقاب من وقع في الآثام حتى لو كان من الانقياء والاصفياء وانهُ اذا تخلى المولى عن اي انسان مهما كان ضل عن الصراط المستقيم وانهُ اذا نال شيئاً كان بفضل الله وهدايتهِ قال الراغب الاصفهاني يجب ان يعلم انهُ لا سبيل لاحد الى شيء من الفضائل الاَّ بهداية الله تعالى ورحمتهِ فهو مبدأ الخيرات ومنتهاها كما قال في القرآن اعطى كل شيء خلقهُ ثم هدى وورد فيه ايضاً قولهُ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدًا ولكن الله يزكي من يشاء وقال نبيهم ما منكم من احدٍ يدخل الجنة الاَّ برحمة الله تعالى قيل ولا انت يارسول الله قال ولا انا الاَّ ان يتغمدني الله برحمتهِ انتهى كلامه وقد ظهرت هذهِ الرحمة في يسوع المسيح فان الله احب العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابدية

قال المعترض ان الله بارك يعقوب لانهُ لم يميز بينهُ وبين اخيهِ مثل عدم تمييز ابيه قلنا ان الله سبحانهُ وتعالى اختار يعقوب وجعلهُ مباركاً بدون واسطة والدهِ ولا غيره وقد تقدم انهُ اخطأ لاعتمادهِ على الوسائط البشرية وعدم اعتمادهِ على المولى

﴿ الفصل الخامس ﴾

(في خطيئة لوط)

انكر المعترض وقوع الخطإ من ابنتي لوط فانهما اسكرتا اباهما واضطجعتا معه ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما وقال انها دسيسة في الكتب السماوية وطلب الاستفهام عن الغرض من ذكر هذه القصة ولنوضح قبل الرد عليه ظروف احوال لوط وابنتيه فنقول ان لوطاً كان في الجبل فتوهمت ابنتاه انه سينقطع زرعهما لان المولى سبحانه وتعالى خسف سدوم وعمورة باهلها ففعلتا ما فعلتا فالسكر هو سبب هذا الشرّ الفظيع والمولى سبحانه وتعالى اراد ان ينفرنا منه بالامثلة التي تقشعرّ منها الابدان والمشاهد بالعيان انه اذا سكر الانسان تاه عن الصواب وكان والمجنون شيئاً واحداً واتى من المنكر ما يذهل العقول فلا يشفق على ولده فلذة كبده بل يقوم عليه ويجزره وكثيراً ما لا يشفق على ذاته فيلقي بنفسه من محل عالٍ وقد قال ابو حنيفة حد السكر ان يصير الانسان لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ولا المرأة من الرجل انتهى· فلا عجب اذا لم يدرِ لوط بما فعله حالة سكره لانه لم يشعر بعمله ولا بشره والسكر اوقع الصحابة في الكفر وفي مضاربة بعضهم بعضاً فقد كانت الخمر جائزة اولاً حتى كان يشربها اصحاب محمد في صدر الاسلام فورد في سورة البقرة قوله يسألونك عن الخمر والميسر وقال المفسرون نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا النبي فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية وقالوا ان اصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمراً لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها

تستره وتغطيه وجملة القول ان المسلمين كانوا يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال وصنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعى اليه ناساً من اصحاب النبي فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي لهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فكان ذلك سبباً في نزول هذه الآية وهي (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فحرم النبي السكر في اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر (ثانياً) مما يدل على ان السكر كان السبب في كفاحهم ووقوع البغضاء بينهم هو ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعاً يعني وليمة ودعا رجالاً من المسلمين وفيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة موضحة فانطلق سعد الى النبي وشكى اليهِ الانصاري فقال عمر اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافياً ويروي ايضاً ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوماً وخرج فلقي رجلاً من الانصار و بيده ناضح لهُ والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن ملك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرًا وهجرة　　فلم يرَ حي مثلنا في العشائر

فاحياؤنا من خير احياء من مضى　　وامواتنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصاري مستعدياً الى الرسول فاخبره بفعل حمزة فغرم لهُ الرسول ناضحاً فقال

عمر بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية في المائدة ٥ : ٩٢ و ٩٣ (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوهُ لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) ورووا ان قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا فلان اخي وكانوا اخوة ليست في قلوبهم ضغائن فكان ذلك سبب تحريمها (ثالثاً) ان الخمر تحمل شاربها على القتل لانهُ لا يدري بعمله وعن الزهري ان عثمان بن عفان قام خطيباً فقال يا ايها الناس اتقوا الخمر فانها ام الخبائث وان رجلاً كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده فلقيته امرأة سوء فامرت جاريتها فادخلته المنزل واغلقت الباب وعندها خمر وصبي فقالت لا تفارقني حتى تشرب كأساً من هذا او تواقعني او تقتل هذا الصبي والاّ صحت وقلت هذا دخل عليَّ في بيتي فمن الذي يصدقك فقال الرجل اما الفاحشة فلا آتيها واما النفس فلا اقتلها فشرب كأساً من الخمر فوالله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبي فقال عثمان فاجتنبوها فانها ام الخبائث فالسكران لا يدري بما فعل من الشر وذكر عن ابي الدنيا انهُ قال رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول اللهمَّ اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهرين وذكروا ان سكران تقايأ في الطريق فجاء كلب يلحس فاهُ وهو يقول يا سيدي حاشاك لا تفسد المنديل بارك اللهمَّ فيك ثم ان الكلب رفع رجله وبال في وجهه وهو يقول وماء حار وغير ذلك فالخمر كانت سبب وقوع الصحابة في الكفر والعداوة والبغضاء والتناحر بل هي سبب القتل والفتك وكانت محللة في صدر الاسلام حتى شربها نبيهم والصحابة ولما رأوا انها سبب

في ايقاعهم في الكفر حرَّمها نبيهم في اوقات الصلوة فقط فكانوا يشربونها ولما رأى انها ادت الى البغضاء والعداوة وكادت تحدث فشلاً بين الصحابة حرمها والتوراة حرَّمتها من اوَّل الامر لانها تنزيل العليم الحكيم العالم بما ينفع عباده ويضرُّهم ونفر منها بعبارات فصيحة بالغة حد الاعجاز قال سليمان الحكيم في سفر الامثال ٢٣ : ٢٩–٣٥ لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين · للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج · لا تنظر الى الخمر اذا احمرت حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة · في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان · عيناك تنظران الاجنبيات وقلبك ينطق بأمورٍ ملتوية · وتكون كمضطجع في قلب البحر او كمضطجع على رأس سارية · يقول ضربوني ولم اتوجع · لقد لكأوني ولم اعرف الى غيرها من الآيات الدالة على شناعتها فاذا وقع لوط في اقبح الخطايا كان ذلك نتيجة السكر فان صاحبه لا يدري بفعله ولا بشره على ان الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى والكتاب المقدس ناطق بانهُ لم يدر بما فعل ولا يؤاخذ الانسان الاَّ بحسب ظروف احواله والسكران يؤاخذ على سكره ولا يؤاخذ على عمله الذي يقترفه وهو سكران فان التكاليف يسقط عنه وورد في جمع الجوامع الجزء الاوَّل وحواشيه انهُ يمتنع تكليف الغافل والملجأ اما الغافل فهو من لا يدري كالنائم والساهي ويدخل فيهِ المجنون وعدم تكليفه محل اتفاق وكذا يدخل السكران فلان مقتضي التكليف بالشيء الاتيان بهِ امتثالاً وذلك يتوقف على العلم بالتكليف بهِ والغافل والسكران لا يعلم كل منهما ذلك فيمتنع تكليفه وان وجب عليهِ بعد افاقته ضمان ما اتلفه وقضاء ما فاته من الصلاة وكذلك يدخل فيهِ المغمى عليهِ انتهى فيتضح مما تقدم ان السكران لا يدري ما فعل ولكن اذا استفاق وجب عليهِ

التوبة ولوط فعل ما فعله وهو لا يدري ولما استفاق تاب وندم وشهد لهُ الكتاب المقدس بانهُ كان بارًا نقيًا والمؤمن اذا وقع في خطيئة لا يهدأُ بالهُ ولا يسكن بلبالهُ الاَّ اذ تخلص منها لخطيئته تكون مثل غبار او قذى في عينه لا يرتاح الاَّ اذا خرج منها بخلاف الشرير فانهُ يجد ارتياحًا ولذة في فجورهِ مثل قوم لوط فلما أنذرهم المرَّة بعد الأُخرى لم يكترثوا بنصيحتهِ ولم تؤثر فيهم مواعظهُ فعاقبهم المولى عزَّ وجلَّ وحافظ على هذا البار وعلمنا بهذا المثال الامتناع عن السكر فانهُ يجرّس وينجس ويفلس ويوقع في الاشراك بل في البوار والهلاك ربنا احفظنا بفضلك

« وقد نسب القرآن الى لوط عدم الاعتماد عليهِ تعالى فورد في سورة هود انهُ لما اتت الملائكة لوطًا بصورة رجال جمال الصورة عزم قومه على التعرُّض لهم فقدم لهم بناته فلم يرضوا فقال في عدد ٨٢ لو ان لي بكم قوَّةً او آوي الى ركنٍ شديد وجواب لو محذوف اي لقاتلتكم عن ابي هريرة قال رسول الله يرحم الله لوطًا لقد كان يأْوى الى ركن شديد يعني ان الركن الشديد هو الله فنسبوا اليهِ عدم الاعتماد عليهِ تعالى »

❋ الفصل السادس ❋

(في حال بعض الذين كانوا في سلسلة المسيح وحال ابوي محمد)

استقبح المعترض ان بعض الذين في سلسلة المسيح لم يكونوا منزهين عن الخطإِ فقال ان عوبيد بن لوط هو جدٌّ لداود واسم أُمه راعوث وانها كانت موابية وان رحبعام بن سليمان من اجداد المسيح واسم أُمه نعمة وهي عمانية من

اولاد عمان بن لوط ورحبعام جد المسيح بن الله مع ان عمان من اولاد الزنا فكيف صارت جدة لابن الله الوحيد وانهُ كان لا يجوز للموابي والعماني الدخول في جماعة الرب وانهم اذا قالوا ان اعتبار النسب بالاباء لا بالأمهات فيكون ترجيحاً بلا مرجح . انتهى اعتراضه . قلنا اذا نظرنا الى الطبيعة البشرية رأينا ان آدم الذي هو ابو الجميع خالف امر الله وطرد من الجنة ووجدنا ان ابراهيم ابا الانبياء كذب ثلاث كذبات حسب قول محمد وقس على ذلك غيره فاتخذ المسيح من هذه الطبيعة الفاسدة جسدًا ليصلحها و يرفع شأنها فلا عجب اذا ورد في سلسلة نسبه على بُعد من اخطأ خطايا فاحشة ولايقدح في وجود بعض الموابيين في سلسلة المسيح فان المدار هو على الايمان بالله الحي فراعوث الموابية تركت وطنها واهلها وخلانها حبًّا في الله الحي . فيالهُ من ايمان حقيقي ظهرت نفحاته بالاعمال الصالحة اما قوله انهُ كان لا يجوز للموابي الدخول في جماعة الرب قلنا هذا اذا كان باقياً على الحادهِ وكفرهِ اما اذا آمن كان مقبولاً لانهُ ليس عند الله محاباة ومع تنقيب وتنقير المعترض في صفات الافاضل الذين اتخذ منهم المسيح الطبيعة البشرية الاَّ انهُ لم يجد ان احدهم اشرك بالله وهذا بخلاف ابوي محمد وعمه وعشيرتهِ فقد كانوا مشركين قال العلماء والشرك بالله اكبر الكبائر لقوله ان الشرك لظلمٌ عظيم و يليه القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الرّبا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل واحكام تعرف بها مراتبها و يختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من اكبر الكبائر بالنسة الى ما دونها وورد في سورة النساء ٤ : ٥١ (ان الله لا يغفرُ ان يُشرَكَ بهِ

ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء ومن يُشرِكْ بالله فقد افترى اثمًا عظيماً وفي آية ١١٦ ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيدًا) وروي عن ابي ذر انهُ قال اتيت النبي وعليهِ ثوب ابيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا إله الاَّ الله ثم مات على ذلك الاَّ دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق على رغم انف ابي ذر انتهى فيفهم من اقوالهم ان الشرك من اعظم الكبائر التي لا يغفرها المولى سبحانه وتعالى وانهُ يغفر ما دون ذلك وما نسب الى بعض الافاضل الذين في سلسلة المسيح من الخطايا فهو من الهفوات والزلات التي لم يقووا على مقاومتها بل كانت التجارب شديدة فغلبتهم ولكنهم تابوا وندموا واستغفروا الله اما الشرك بالله فهو اعظم الاثام ويستوجب صاحبه جهنم النار وقد وكان والدا محمد مشركين ولما طلب من المولى ان يغفر لها لم يجب طلبه فورد في سورة براءة ٩ : ١١٤ (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاَّ عن موعدة وعدها اياهُ فلما تبين لهُ انهُ عدوٌّ لله تبرأ منهُ) الى آخره فذهب المفسرون الى ان هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عم النبي والد علي وفي اب محمد وأُمه فان النبي اراد ان يستغفر لهم بعد موتهم فنهاهُ الله عن ذلك ويدل على هذا (اولاً) ما روي عن سعيد بن المسيب قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءهُ الرسول فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال أي عم قل لا إله الاَّ الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل الرسول يعرضها عليهِ ويعودان لتلك المقالة حتى قال ابو طالب

آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا إله الا الله فقال الرسول والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عن ذلك فنزلت الآية ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى ونزل في ابي طالب (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) اخرجاه في الصحيحين وعن العباس ابن عبد المطلب عم الرسول قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانهُ كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح (١) من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وقيل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيهِ تغلي منهُ ام دماغهِ وفي رواية يغلي منهُ دماغه من حرارة نعليهِ

(ثانياً) قال ابو هريرة وبريدة لما قدم الرسول مكة اتى قبر امه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الخ وروى الطبري وابن الجوزي عن بريدة قال كل واحد منهما ان النبي مرّ بقبر امه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي ان استغفر لها فزجرت زجراً فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الاّ هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى

(ثالثاً) قال قتادة قال النبي لاستغفرنّ لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فنزلت هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالاً من اصحاب الرسول قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني

(١) الضحضاح في الاصل ما رق من الماء على وجه الارض ما يبلغ الكعبين واستعاره للنار

ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم فقال النبي بلى والله لاستغفرنّ لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ثم اعتذر الله عن ابراهيم حسب قولهم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاّ عن موعدة وعدها اياه فالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ناطقة بان ابا محمد وامهُ وعمهُ كانوا مشركين ومقر كل مشرك جهنم النار حسب شهادتهِ وكلامهِ ولما حاول ان يستغفر لهم نهي عن ذلك وزجر زجرًا ابكاه اما استغفار ابراهيم لوالديهِ فكان عن موعدة وعدها الله لهُ حسب كلامهم والموكد الذي لا شبهة فيه انهُ لا شفاعة بعد الموت فيجازي كل انسان حسب عملهِ خيرًا كان ام شرًّا فالكافر مقرهُ في جهنم والمؤمن في النعيم الدائم وعلماء المسلمين مسلمون بوجود والدي محمد في النار لانهُ لا يسعهم انكار نص القرآن الناطق بذلك وتوهم اصحاب الوساوس انهُ لا يبعد ان يكون الله اقامهما من الموت ليؤمنا ثم اماتهما وهي خرافة ونقول اذا كان المولى سبحانه وتعالى زجر محمدًا عن الاستغفار لهما فكيف يقيمهما وهل يخل الله بعدالتهِ وقداستهِ وكمالاتهِ ويرضى لذاتهِ المحاباة مراعاة لمخلوق حاشا وكلاّ والحاصل ان ابوي محمد هما في النار حسب شهادة القرآن وشتان بين جدودهِ وجدود المسيح حسب الجسد واين الثرى من الثريا فجدود المسيح هم انبياء وملوك اشتهروا بالتقوى الحقيقية ومعرفة الله الحي وعليهم نزلت الكتب المقدسة والوحي الالهي في وسط الكفر والضلالة والالحاد ولا عجب اذا وقع بعضهم في معصية ثم تابوا واستغفروا الله لانهم بشر والطبيعة البشرية تميل الى الانحراف والمسيح اتى واتخذ جسدًا من هذه الطبيعة البشرية ليرفع قدرها كما قلنا



﴿ الفصل السابع ﴾

(في خطيئة رأوبين ويهوذا)

قال ورد في سفر التكوين ص ٣٥ : ٢٢ وحدث اذ كان اسرائيل ساكناً في تلك الارض ان رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرّية ابيه وسمع اسرائيل فقال المعترض انه لم يجرِ الحد والتعزير عليه قلنا اما من جهة الحد والتعزير فقد لعنه ابوه ولم ينسَ خطيئته وهو مشرف على الموت كما ترى في ص ٤٩ من سفر التكوين وراوبين هذا لم يكن بنبي من الانبياء ولا رسول من الرسل نعم لا ينكر ان اباه كان من المشهورين بالايمان والتقوى ولكن النار قد تخلف الرماد نخلف آدم قايين وتقدم ان نوحاً خلف حسب قولهم كنعان وهو شرير والحقيقة هي انهُ خلف حاماً ولم يكن تقياً ونسب القرآن الى رأوبين الغدر بأخيه كما ورد في سورة يوسف ١٢ : ٨ و ٩ (اذ قالوا لَيُوسُفُ واخوهُ أَحبُّ الى ابينا منا ونحن عُصبة ان ابانا لفي ضلال مبين · اقتلوا يوسف أَوِ اطرحوهُ أَرضاً يخلُ لكم وجهُ أَبيكم) قال المفسرون لما قوي الحسد وبلغ النهاية من اخوة يوسف قالوا فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن أَبيهِ وذلك لا يحصل الاَّ باحد طريقين اما القتل مرّة واحدة او التغريب الى ارض يحصل اليأس من اجتماعهِ بأَبيهِ بان تفترسهُ الأُسدُ والسباع او يموت في تلك الارض البعيدة · اما نسبة أَبيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر ونص (آية ١٠) من سورة يوسف (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوهُ في غَيَابتِ[1] الجب يلتقطهُ بعض السيارة[2] ان كنتم فاعلين) قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا

(١) اي قعرة · (٢) الذين يسيرون في الارض

على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب لهُ والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم ثم ادعى ان الله عفا عن ذلك كله حتى لا ييأس احد من رحمة الله انتهى بحروفه · ومن المعلوم انهُ لا يوجد تفاوت في صفات الله فليست صفة اعظم من صفة أُخرى فرحمة الله ليست اعظم من عدلهِ وعدلهُ تعالى يستلزم قصاص المذنب ولا يمكن ان الله يعفو عن اخوة يوسف الاَّ بالكفارة والايمان والتوبة

وقال وهب وغيره من اهل السير والاخبار المسلمين ان اخوة يوسف قالوا له اما تشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا لهُ انسأل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بنيَّ قال نعم يا ابتِ اني ارى من اخوتي اللين واللطف فاحب ان تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقتهُ ويحب مرضاتهُ فاذن لهُ وارسلهُ معهم فلما خرجوا بهِ من عند يعقوب جعلوا يحملونهُ على رقابهم و يعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنهُ وصاروا الى الصحراء أَلقوهُ على الارض واظهروا لهُ ما في انفسهم من العداوة واغلظوا لهُ القول وجعلوا يضربونهُ فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث بهِ ضربهُ فلما فطن لما عزموا عليهِ من قتلهِ جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل بهِ من اخوتهِ لأَحزنك ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدًا فاخذهُ رو بيل وجلد بهِ الارض ثم جثم على صدرهِ واراد قتلهُ فقال لهُ يوسف مهلاً يا اخي لا تقتلني فقال لهُ يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوي عنقهُ الى آخر القصة وهي مذكورة في تفاسيرهم ومع انها لا تخلو من الخبط والخلط والزيادة والنقصان الاَّ انها تدل على الشر الكامن في افئدة اخوة يوسف فلم تأْخذهم عليهِ شفقة ولا رقة وفعلهم هذا اشتمل كما قال محمد بن اسحق على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب لهُ والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم فخطية رأوبين مع سرية والدهِ ليست بافظع من هذهِ الكبائر التي نسبوها اليهِ على ان التوراة ناطقة بانهُ دافع عن يوسف واجتهد في انقاذه من مخاليبهم ولما رأَى انهم باعوه مزَّق ثيابه لانهُ كان غائبًا وقت بيعه ولكن ادعى

علمآء الاسلام انهُ ضرب الارض باخيهِ وجثم على صدره والحقيقة هي انهُ هو الذي اشار بالرأفة باخيهم ويهوذا هو الذي اشار ببيعهِ ولم تأخذهُ عليهِ شفقة ولا رحمة فلا عجب اذا اقترف خطايا أُخرى كخطية الزنا وبيان ذلك انهُ كان ليهوذا ابنان عير وأُونان اما عير فكان شريرًا فاماتهُ الرب ولما كانت العادة الجارية عند الامة الاسرائيلية انهُ اذا مات انسان بدون عقب وجب على اخيهِ ان يقيم نسلاً لهُ حتى لا ينطفي اسمهُ من عشيرته تزوَّج أُونان بامرأَة اخيهِ لهذهِ الغاية ولكنهُ افسد على الارض لكيلا يعطي نسلاً لاخيه فقبح في عيني الرب فاماتهُ وكان ليهوذا ابن ثالث اسمهُ شيلة فاخبر يهوذا امرأَة ابنهِ الذي مات بدون عقب ان تمكث في بيتها الى ان يكبر الابن الثالث واتفق ان ماتت امرأَة يهوذا فمضت مدة مديدة ولم يقترن بزوجة ولما كانت ثامار امرأَة ابنهِ الذي مات بدون عقب ترغب اقامة نسل وكان يهوذا ضرب عنها صفحًا تزيت بزي زانية واغرت يهوذا على الزنا بها واخذت خاتمهُ وعصابتهُ وعصاهُ لتبرئة نفسها مما فعلتهُ وعقابًا لهُ على عدم مراعاة الشريعة وقد كان يجوز للعم الاقتران بزوجة ابن اخيه لاقامة النسل فلما عرف يهوذا حقيقة الامر قال انها ابرُّ مني لاني حجبت شيلة ابني عنها ولم اعطها لهُ فيتضح من هذه القصة ان يهوذا وقع في تجربة عظيمة ولا سيما انه كان مترملاً وفرق علمآء المسلمين في احوال الزناة فذنب الزاني البكر يختلف عن ذنب الثيّب وهو المحصن فالواجب النظر في ظروف احوال هذا الرجل وانصافه وثانيًا ان غاية الامرأَة الارمل اقامة النسل ولولا ذلك لما قال انها ابرُّ مني ولو كانت غايتها الفسق لخرجت مع الزناة ومع كل ذلك فلا ينكر انهما اقترفا اثمًا عظيماً فاستغفرا ربهما عن هذا الاثم وصرَّح الكتاب المقدس بقولهِ انهُ لم يعد يعرفها فندم كل منهما على عملهِ وتابا ولا يصح ان نعتبر كلاًّ منهما بمنزلة الزاني المصر على خطيئتهِ فيوجد فرق عظيم وبون جسيم بينهما فالمصر هو شيء ومن وقع في هفوة شيء آخر ومما يؤيد ذلك ما ورد في سورة آل عمران (ولم يصروا على ما فعلوا) اي لم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرَّةً وروي لا كبيرةَ مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وتقدم ان القرآن شاهد بان يهوذا اقترف خطية جسيمة مع اخوته في حق اخيه يوسف وفي حق ابيه انظر مدارك التنزيل

قال المعترض لا يتصوَّر ان رذيلان من الارذال يعطي عمامتهُ هذهِ على اجرة فعل مثل هذا الفعل الشنيع قلنا لم يرد في التوراة ان ثامار اخذت عمامته

بل ذكرت انها اخذت خاتمهُ وعصابتهُ وعصاهُ فالعصابة ليست هي العمامة بل هي كل ما عصبت بهِ رأسك من عمامة او منديل او خرقة والظاهر انها كانت منديلاً او رباطًا يضعونهُ على الرأس فان غاية الامرأة اخذ اثر من اثرهِ لتبرئة نفسها واعترض على قتل المولى لاونان الذي تزوّج ثامار بعد اخيهِ قلنا ان الله عاقبهُ لانه كره اخاهُ المتوفي واصر على اطفآء اسمهِ وذكرهِ ففعل بهِ الرب ما قصد ان يفعلهُ باخيهِ فان الحصاد هو من جنس الزرع كما تقدم . قال ان داود من ذرية فارس بن ثامار المولود منها بالزنا وان ابن الزنا لا يدخل في جماعة الرب حين يمضي عليهِ الجيل العاشر كما هو مصرح بهِ في سفر التثنية (ص ٢٣ : ٢) فكيف دخل داود واباؤهُ من جماعة الرب بل صار من رؤساء الانبياء وصاحب كتاب والهام قلنا ان الكلام الوارد في هذا الاصحاح هو عن الوثنيين الذين كانوا يستبيحون الفسق والآثام فحذر الله بني اسرائيل من وقوف احدهم في جماعة الرب بل حذرهم من مخالطتهم ومعاشرتهم لئلا تفسد اخلاقهم وآدابهم بل لو كان المقصود من هذهِ الآية العموم لكان المراد منها المصر على الفسق فلا يجوز ان يدخل في جماعة الرب المصر على المعصية واجمعت أئمة المسلمين الثلاثة الحنفي والشافعي والحنبلي على جواز قبول من رجع وتاب وعدم اجرآء الحد عليه كما لا يخفى عليهِ من لهُ المام بشرعهم

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في عجل بني اسرائيل وفي التابوت والكروبين)

قال ورد في سفر الخروج (ص ٣٢ : ٢) ان هرون صوّر العجل وعبدهُ وامر بني اسرائيل بعبادتهِ هذا هو اعتراضهُ وهو ليس في محله فانهُ افترى على

هرون فقد ورد في الاصحاح ٣٢ من سفر الخروج انهُ لما رأى بنو اسرائيل ان موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمعوا على هارون وألزموه على عمل آلهة تسير امامهم فقال لهم انزعوا اقراط الذهب التي في آذانكم وكانت غايتهُ صرفهم عن ذلك اذ لا شيء اعز عند المرأة من حليها فكان يظن ان نساءهم يبخلن بحليهن فلا يتحقق هذا الطلب وكان مقصودهُ ايضاً اكتساب مهلة الى ان يأتي موسى لعجزهِ عن مقاومتهم بالقوَّة ولكن لم يتحقق ظنهُ فأخذ الحلي وصوَّرهُ بالازميل فقالوا هذهِ آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر انتهى وقد اخذ القرآن هذهِ القصة وذكرها في جملة محال فذكرها في سورة البقرة وسورة الاعراف وسورة طه وغيرها فقال لما رأى موسى من هرون خور العزيمة لعنهُ وجرَّهُ من شعر رأسهِ ومن لحيتهِ واعتذر لهُ هرون بان قال له انهم استضعفوني وخفت ان يقتلوني ومرَّة قال أنا خفت على بني اسرائيل من التفريق والتمزيق وصيرورتهم احزاباً وها نورد نص الآيات القرآنية ونكتفي بايراد البعض فنقول ورد في سورة الاعراف ٧ : ١٤٦ — ١٥٠ (واتخذ قوم موسى من بعده عجلاً جسدًا لهُ خوارٌ ألم يروا انهُ لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً · اتخذوه وكانوا ظالمين · ولما سُقِطَ في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفرْ لنا لنكوننَّ من الخاسرين · ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسِفًا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعَجِلْتم امر ربكم وألقى الالواح واخذ برأس اخيه يجرُّهُ اليهِ قال ابنَ أمَّ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين · قال ربِّ اغفر لي ولأخي هذا هو نص القرآن وورد في سورة طه ٢٠ : ٨٧ — ٩٥ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري · فرجع موسى الى قومه غضبان أسفًا · قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا أفطال

عليكم العهد ام اردتم ان يحلَّ عليكم غضب من ربكم فأَخلفتم موعدي · قالوا ما اخلفنا موعِدَكَ بِملْكِنا ولكنا حُمّلنا اوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فأَخرج لهم عجلاً جسدًا لهُ خُوارٌ فقالوا هذا الهكم وإِله موسى فنسيَ · افلا يرون أَلاَّ يرجع اليهم قولاً ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا · ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم بهِ وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا ان نبرح عليهِ عاكفين حتى يرجع الينا موسى · قال يا هرون ما منعك اذ رأَيتهم ضلوا أَلاَّ تتبعنِ افعصيتَ امري · قال يا ابنَ أُمَّ لا تأْخذ بلحيتي ولا براْسي اني خشيت ان تقول فرَّقت بين بني اسرائيل ولم ترقُب قولي انتهى

فهذه الاقوال دالة على انهُ لما عاد موسى من الجبل وبخ هرون بقوله بئسما خلفتموني من بعدي (٢) كسر موسى الالواح من شدة غيظه (٣) انهُ جرَّ اخاهُ من شعر رأْسه وشده من لحيته (٤) اعتذار هرون فمرَّة قال انهم استضعفوني وكادوا يقتلونني ومرَّة قال خفت ان يصيروا احزابًا فيقتتلوا (٥) توبيخ موسى لهرون بقوله لماذا لم تتبعني قال ابن عباس اوقد هرون نارًا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مرَّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال لهُ ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادعُ لي فقال هرون اللهمَّ اعطهِ ما سأَلك على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معهُ من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله فأَخرج لهم عجلاً الى اخره فلو كان للمعترض المام بقرآنه او باقوال المفسرين والعلماء لما اعترض على التوراة بشيء فان القرآن اخذ هذه القصة منها واتى بالزيادة والنقصان وخلط فان ذكر السامري يدل على جهل تام بالتاريخ وبعلم توقيع البلدان ولا نعلم من اين اتى هذا السامري هل نزل من السماء او طلع من الارض

وكان الاقرب الى العقل ان يقول عوضاً عن السامري انهُ اتى مع بني اسرائيل مصري من مصر وعمل لهم العجل ايس معبود قدماء المصريين فان الاسرائيليين كانوا في طور سينا ولم يكونوا وصلوا الى ارض كنعان ولم يكن للسامرة اسم ولا رسم فذكر السامري غلط ومما يشبه ذلك قوله تربة حافر فرس جبريل وثالثاً ادعاؤهُ بان للعجل خواراً وجسداً فمثل هذه الامور تقع على آذان العارف بحقائق التوراة كخرافات فاقوال التوراة هي الصحيحة وهي تنزيل الحكيم العليم

قال ونظير ذلك ما زعموهُ في حق موسى عليه السلام من انهُ أمر بان يصنع من ذهب صورة كروبين باسطين اجنحتهما الى فوق ووجه كل واحد منهما الى الآخر ويوضعان فوق غطاء تابوت الشهادة الذي فيهِ نسخة التوراة كما في سفر الخروج ص٣٧ مع ان موسى نهي عن اتخاذ الصور والتماثيل كما في سفر الخروج ص ٢٠ هذا نص اعتراضه قلنا ان الكروبين كان من متممات التابوت الذي كان يتجلى فيهِ المولى عزَّ وجلَّ ويعلن لانبياء بني اسرائيل اوامرهُ ويرشدهم الى ما يجب ان يفعلوهُ ولا نعرف كيف خفي على المعترض وهو مذكور في القرآن وجعلهُ من آيات الله للمؤمنين فورد في سورة البقرة آية ٢٤٧ بانهُ لما طلب بنو اسرائيل من احد انبيائهم وهو صموئيل ولم يذكره بصراحة اللفظ لخفائه عليه بان يولي عليهم ملكاً ليخرجوا ويقاتلوا أعداءهم اخبرهم نبيهم ان الله بعث لهم طالوت ملكاً لهم (صوابه شاول) فتذمروا على هذا الملك فأخبرهم ان الله اصطفاهُ عليهم وزاده بسطةً في العلم والجسم فطلبوا من النبي آية على ذلك فقال في آية ٢٤٩ من سورة البقرة ما نصه (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيهِ سكينة من ربكم وبقية مما ترك آلُ موسى وآلُ هرون تحملهُ الملائكة ان في ذلك لآيةً لكم ان كنتم مؤمنين)

« فقال مفسروهم ذكر علماء السير والاخبار ان الله انزل على آدم تابوتاً فيهِ صورة الانبياء وكان التابوت من خشب الشمشاد طولهُ ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى فكان يضع فيهِ التوراة ومتاعاً من متاعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل صوابه صموئيل واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب هي ريح خجوج اي شديدة المرهفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة لهُ رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة ولهُ جناحان وقيل لهُ عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون بهِ على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربّى اشمويل صوابه عالي الذي ربى صموئيل ابنان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم فاحدث ابناهُ في القربان شيئاً لم يكن فيهِ وكانا يتشبثان بالنساء اللواتي يصلين فانذره الله وسلط العمالقة حتى اخذوا التابوت ووقع عيلي وانكسرت رأسه الى ان بعث الله طالوت ملكاً واخذ التابوت من العمالقة ولما كان في بيت اصنامهم وقعت الاصنام الى غير ذلك من الروايات والمطلع على تاريخ الكتاب المقدس يرى تاريخ بني اسرائيل وملوكهم وانبيائهم مستوفياً اما روايات القرآن وروايات اصحاب السير والاخبار الذين لم يطالعوا التوراة فهي في غاية التشويش والخلط فيأخذون من قصة طرفاً ثم يأتون بطرف من قصة أُخرى

لا مناسبة بينها وبين الاخرى بل تكون بعيدة عنها في الزمان والمكان بعدًا قاصيًا شأن ناقل القصص التي كانت متواترة على ألسن الناس بدون تثبت ولا تروٍ ولا تحرٍ ولهم عذر في ذلك لانهُ لم تكن الكتب في تلك الاعصر متداولة ولم تكن المعارف منتشرة كانتشارها في العصر الحاضر ولكن لا عذر لاحد الآن اذا استمر على جهالته او تمادى على ضلالته وغمض عينيه حبًّا في الظلمة وكراهة في النور فالله يطالبه على اضاعة الفرص لان اضاعتها غصص فلو اراد المعترض معرفة التابوت لوجب عليهِ ان يطالع التوراة يجد ما يروي الغليل ويشفي العليل و يعرف حقيقته وغايته وتاريخه بالحق اليقين وكان يتخلص من الظن والتخمين ومع ذلك فالقرآن الذي يتمسك بهِ ذكر التابوت وبعض لوازمه وجعلهُ من الآيات للمؤمنين بل عبر عن الكروبين بلفظ السكينة كما يعلم من تعريف علي ومجاهد لها وهي غير الصور والتماثيل التي نهى الله عن اتخاذها ويظهر مما تقدم سقوط اعتراضه وجهله بكتابه ومع ذلك فاخذ يقول اللهمَّ لا تزغ قلوبنا اللهمَّ اهدنا اللهمَّ لا تضلنا كأنهُ يظن ان الغلبة لا تكون الاَّ بالصياح والصخب ولو طالع أوَّل سورة في قرآنه لما اعترض على ذكر لفظ الكروبين

﴿ الفصل التاسع ﴾

(في خطيئة موسى)

قال وقد زعموا في حق موسى انه استعفى واستقال من النبوة والرسالة فاشتد غضب الله تعالى عليه حيث قال للرب ارغب منك يا سيدي ان ترسل غيري كما في الاصحاح الرابع من سفر الخروج فكيف يتصور غضب الله على موسى مع انه من انبيائهِ واصفيائه وغضبهُ يكون على اعدائه وكذلك حرمانهُ مع اخيه

هرون عن دخول الارض المقدسة واعراض الله عنهما في آخر حياتهما (قلنا) ورد في الاصحاح الرابع من سفر الخروج وآية ١٠ لغاية آية ١٥ بان موسى قال للرب انا ثقيل الفم واللسان فقال الرب من صنع للانسان فما او من يصنع اخرس او اصم او بصيرًا او اعمى أما هو انا الرب فالان اذهب وانا اكون مع فمك واعلمك ما تتكلم به فقال استمع ايها السيد ارسل بيد من ترسل فحمي غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوي اخاك انا اعلم انه هو يتكلم وايضاً ها هو خارج لاستقبالك الى قوله تعالى وانا الان مع فمك ومع فمه . فموسى لم يرد التوجه الى فرعون لثقل لسانه اقرارًا بعجزه وتواضعاً منه ولم يحجم عن امتثال الامر مخالفة منه وانت تعلم ان القرآن اخذ ذلك وذكر في سورة (الشعراء ٢٦: ١١-١٤) (قال ربِّ اني اخاف ان يكذبونِ . ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون . ولهم عليَّ ذنبٌ فاخاف ان يقتلونِ . قال كلاَّ فاذهبا بآياتنا إنَّا معكم مستمعون) فهذه الاقوال تدل على انه لما امر الله موسى اعتذر عن التوجه بسبب العقدة التي في لسانه وبانه قتل احد المصريين وطلب من المولى ان يرسل الى اخيه هرون بان يبلغ الرسالة فاخبره المولى بانه سيكون معه وامره بان يتوجه مع اخيه هرون وهي مأخوذة من التوراة وانما دأب القرآن الاستخفاف بالخطايا فاضرب عن ذكر غضب الله عليه اما التوراة الشريفة فذكرت بصريح اللفظ ان المولى سبحانه وتعالى غضب عليه لانه كان يجب امتثال الامر حالاً وسريعاً بدون اعتذار ولا اظهار عجز لان من يكون الله معه يصبح في غنى عن كل شيء . فاذا كان ضعيفاً وكان الله معه كان قوياً واذا كان جاهلاً كان حكيماً واذا كان ألكن اصبح فصيحاً فموسى ترك الافضل فالانسان ضعيف مهما كانت درجته ومنزلته ثم انه كان الواجب على المعترض ان يشطب من قرآنه هذه

القصة قبل الاعتراض على التوراة الشريفة على ان القرآن نسب الى موسى خطايا اخرى غير ما ذكر فنسب اليه (اولاً) انه قتل كما في سورة القصص ٢٨ : ١٤ (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزهُ موسى فقضي عليه قال هذا من عمل الشيطان انهُ عدوٌّ مضلٌّ مبين قال ربِّ اني ظلمت نفسي فاغفر لي الخ) فقتل القبطي مع انه لم يكن ذلك مباحاً ولم يكن قتله على سبيل الخطإ بل كان قتل عمد وعدوان لقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ربِّ اني ظلمت نفسي وقوله في سورة الشعراء ٢٦ : ١٩ قال فعلتها اذاً وانا من الضالين وغاية ما اعتذر عنه المفسرون ان ذلك كان قبل النبوة (ثانياً) ورد في سورة الشعراء ٢٦ : ٤٢ (قال لهم موسى أَلقوا ما انتم ملقون) فقال علماء الاسلام انهُ اذن لهم في السحر واظهاره حرام فيكون اذنه ايضاً حراماً واجابوا عنه بعدة اجوبة منها ان السحر كان جائزاً وهو جواب في غير محله ومنها انه اراد اظهار معجزته في عصاه وتلقفها لما افكوه (ثالثاً) ورد في سورة الاعراف ٧ : ١٤٩ (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أَسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أَعجلتم امر ربكم وأَلقى الالواح واخذ برأْس أَخيه يجرهُ اليه) وفي آية ١٥٠ (قال ربِّ اغفر لي ولأَخي) فموسى الذي كان مشهوراً بالوداعة والحلم وقع في ضدها فسبحان من تفرَّد بالكمال وحدهُ (رابعاً) ورد في سورة الكهف ١٨ : ٧٠ قول موسى للخضر (فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اي الخضر قال أَخرقتها لتغرق أَهلها لقد جئت شيئاً إِمراً وفي آية ٧٣ لقد جئت شيئاً نُكراً) مع انهُ لم يكن فعل الخضر منكراً لانهُ كان بامر الله حسب دعواهم وفي آية ٧٤ (قال أَلم أَقل لك انك لن تستطيع معي صبراً)

قال البيضاوي زاد فيهِ لك مكافحةً بالعتاب على رفض الوصية ووسماً بقلة الثبات والصبر لما تكرَّر من الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوِ بالتذكير اوَّل مرَّة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرَّة انتهى والظاهر ان محمدًا اخذ هذه القصة من اقوال اهل عصرهِ او من خرافات اليهود فانه لا وجود لها في التوراة التي هي اقدم كتاب في الدنيا فنسب القرآن الى سيدنا موسى القتل وشد شعر راس اخيهِ وانهُ جرَّهُ كما يجر البهيمة واستقباحه امر الله وعدم ثباته وعدم صبره وعدم ارعوائه بالتذكير وطلبهُ من الله ان يرسل اخاهُ الى فرعون اما التوراة الشريفة فلم تذكر سوى اعتذارهِ بثقل لسانه ولا يخفى ان خطيئة واحدة مما نسب اليهِ هي كافية لحرمانه من مشاهدة ارض الموعد فان الله عزَّ وجلَّ المذكور في التوراة هو قدوسٌ طاهرٌ يعاقب على أقل خطية بخلاف الإله المذكور عندهم فانهُ يتساهل بالخطايا و يغفرها وحاشا لله الحق من ذلك فان عدلهُ وقداستهُ يستلزمان عقاب اصغر الخطايا ما لم يكفر عنها بالذبيحة

❋ الفصل العاشر ❋
(في خطيئة سليمان)

قال والأعجب من هذا ما نسبوهُ لسليمان انهُ في آخر عمرهِ ارتد وعبد الاصنام وبنى المعابد كما في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الاوَّل وشنع في جراءة بني اسرائيل لانهم نسبوا كبار الانبياء الى المعاصي وانهم ادخلوا هذا البهتان العظيم في التوراة قلنا ذكر في التوراة ان النساء الغريبات أملن قلب سليمان حتى بنى لالهتهنَّ المرتفعات فغضب الله عليهِ ومزق المملكة من بعدهِ عقاباً لهُ لان للملك سكرة وللنساء صولة وغاية المولى سبحانه وتعالى ان يعلّم الملوك ان لا ينهمكوا في اللذات والشهوات التي تلهيهم عن تدبير الامور وسياسة الجمهور

وعن القيام بالواجبات الدينية وقد ورد في القرآن ما يفيد انهُ اشتغل بالأمور الدنيوية التي ألهتهُ عن عبادة الله وثانياً ورد فيهِ انهُ سمح بعبادة الاصنام في بيتهِ وقالوا انهُ لم يقدم المشيئة لله ولم يتوكل عليهِ تعالى فورد في سورة ص ٣٨ : ٣٠ - ٣٢ ما نصه (اذ عُرض عليهِ بالعشيّ الصافنات الجياد فقال إني أحببت حبّ الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب رُدُّوها عليَّ فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) ومع اختلاف المفسرين في هذه الآية الاّ انها دالة على ان الخيل ألهتهُ عن الصلوة حتى قالوا انهُ ذبحها وورد في آية ٣٣ و ٣٤ (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب . قال ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي) وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر وهي صيدون وبها ملك عظيم الشأن فاخذها عنوةً وقتل ملكها واخذ ابنتهُ اسمها جرادة لم يرَ مثلها حسناً وجمالاً فاتخذها لهُ امرأة واحبها حباً لم يحبهُ شيئاً من نسائه وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على ابيها. فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحكِ ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت

اني اذكر أبي وما كان فيهِ وما اصابهُ فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله بهِ ملكاً هو اعظم من ملكهِ وسلطاناً اعظم من سلطانهِ قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرتهُ اصابني ما تراهُ من الحزن فلو أنك امرت الشياطين فصوّروا لي صورتهُ في داري التي أنا فيها أراها بكرةً وعشيّةً رجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلي عني بعض ما اجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منهُ شيئاً فمثلوهُ لها حتى نظرت الى ابيها بعينهِ الاّ انهُ لا روح فيهِ فألبستهُ ثياباً مثل ثيابهِ التي كان يلبسها وكانت تغدو اليهِ في ولائدها فتسجد لهُ ويسجدنَ معها كعبادتهنَّ في ملكهِ واستمرّت على ذلك اربعين صباحاً وبلغ ذلك آصف بن برخيا فأتى سليمان فقال يا نبيّ الله كبر سنّي ورقّ عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببتُ ان اقوم مقاماً

قبل الموت أذكر فيهِ من مضى من انبيآء الله واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فجمع لهُ سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من انبيآء الله حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحكمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك في صغرك وابعدك عن كل ما يكرهُ الله في صغرك ثم انصرف فغضب سليمان من ذلك فلما دخل دارهُ دعا آصف وقال لهُ ذكرت من مضى من انبيآء الله فاثنيت عليهم خيرًا فلما ذكرتني جعلت تثني عليّ خيرًا في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في آخر عمري فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحاً في هوى امرأة ثم رجع سليمان الى دارهِ فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم خرج الى فلاة من الارض وحدهُ وامر برماد ففرش لهُ وجلس عليهِ وتمعك بهِ في ثيابهِ تذللاً الى الله وتضرعاً اليهِ يبكي و يدعو و يستغفر مما كان في دارهِ فلم يزل كذلك يومهُ حتى امسي ثم رجع الى دارهِ وكانت لهُ أم ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمهُ وكان ملكهُ فيها اي في خاتمه فاعطاها يوماً فأتاها شيطان اسمهُ صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منهُ شيئاً . فقال خاتمي امينة فناولتهُ اياهُ فجعلهُ في يدهِ ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وخرج سليمان فاتى امينة وقد تغيرت حالتهُ وهيئتهُ عند كل من رآهُ فقال يا امينة خاتمي قالت من انت قال سليمان بن داود فقال كذبت قد جاء سليمان واخذ خاتمهُ وهو جالس على سرير ملكهِ فعرف سليمان ان خطيئتهُ قد ادركتهُ فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان ابن داود فيحثون عليهِ التراب و يقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انهُ سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق و يعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيهِ بارغفةٍ ويشوي الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك اربعين صباحاً مدة ما كان يعبد الوثن في دارهِ فانكر آصف وعظمآء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نسآء سليمان وقال لهنَّ هل انكرتم من ابن داود ما انكرنا فقلنَ اشد . ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة و بعد مضي اربعين صباحاً طار الشيطان عن مجلسهِ ثم مرَّ بالبحر فقذف الخاتم فيهِ فبلعتهُ سمكة فاخذها بعض الصيادين واعطى لسليمان سمكتين اجرة يومهِ فباع سليمان سمكة بارغفةٍ و بقرَ بطن السمكة الأخرى ليشويها فوجد الخاتم فتختم بهِ ساجدًا لله وعاد اليهِ الملك فعلى هذا يكون المراد بقولهِ (جسدًا) الوارد في القرآن هو صخر ولولم يذكر المفسرون مثل البيضاوي

والخازن وغيرهما هذه القصة لضربنا عنها صفحاً ولكن قد ذكرناها لتوضيح الاقوال القرآنية

ومع انها مشحونة بالخزعبلات الاّ انها كافية في الدلالة على ان سليمان اظهر ضعفاً وخور عزيمةٍ حتى تساهل مع نسائهِ الغريبات وراعى خاطرهنّ حتى نزع الله الملك منهُ واذلّهُ وصار يستعطي اربعين يوماً واين هذه الاقوال من اقوال التوراة البسيطة الخالية من التزويق والتلفيق وكان الواجب على المعترض ان يحذف من قرآنه العبارات المؤذنة بسقوط سليمان في الخطيئة بان يحذف قولهُ (فتنّا سليمان) وقولهُ (والقينا على كرسيه جسدًا وقولهُ (ثم اناب) وقوله (ربِّ اغفر لي) فان هذه العبارات دالة بصراحة اللفظ على وقوعه في الخطيئة وروى مرفوعاً انهُ قال لأطوفنّ على سبعين امرأة تأتي كل واحدةٍ بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهنّ فلم تحمل منهنّ الاّ امرأة جاءت بشق رجل فو الذي نفس محمد بيدهِ لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرساناً وقيل ولد لهُ ابن فأجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوهُ في السحاب فما شعر بهِ الاّ ان أُلقي على كرسيه ميتاً فتنبه على خطائه بانهُ لم يتوكل على الله وقس على ذلك ما اشبههُ من التلفيق الذي ذكروهُ لتفسير الآية ومهما كان فيدل على خطيئة سليمان . ومن طالع آخر كتاب سفر الجامعة ظهر لهُ انهُ تاب ورجع الى المولى . وسبحان من تنزّه عن النقص فهو المختص بالكمال وحدهُ

قال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا واستنتج من ذلك عدم وقوعه في الخطيئة التي نسبها اليه القرآن ولو طالع تفسير هذه الآية لما استشهد بها لتأييد دعواهُ فان جميع المفسرين قالوا ان المراد منها تبرئته مما نسبهُ اليهِ اليهود من السحر قالوا ان اليهود انكروا نبوته وقالوا انما حصل لهُ هذا الملك وسخرت الجن والانس لهُ بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم

اخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك ولكن الشياطين كفروا يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال يعلمون الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقال السيوطي في كتاب اسباب النزول قالت اليهود انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الانبياء انما كان ساحرًا يركب الريح فنزل واتبعوا ما تتلو الشياطين ويتضح من كل ما تقدم ان المراد من هذه الآية غير ما ذكره المعترض

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾
(في خطيئة داود)

قال وقد زعموا في حق والده انه اقترن بزوجة اوريا الحثي وحمل منها بولد واهلك زوجها بالمكر كما في الاصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني وانذره ناثان بموت ابنه كما في ١٢ : ١٤ وشنع وجعجع كأنه يظن تأييد الدعوى بالثرثرة وليس بالبرهان وقبل ان نورد اقوال القرآن والاحاديث المؤيدة لوقوعه في الخطيئة نورد اولاً آيات التوراة التي اقتبسوا من انوارها فنقول مع ان النصوص الواردة في التوراة ناطقة بتقوى داود وبطهارة قلبه وخلوص نيته وصدق طويته وبكرم اخلاقه ومسامحته اعداءه فكم من مرة وقع شاول ألد اعدائه في يده وسامحه حتى شهد له عدوه بانه ابرّ منهُ ومع كل ذلك فوقع في الخطيئة التي لم يسلم منها انسان فاشتهى امرأة اوريا وزنا بها وعرّض زوجها في ميدان القتال لسلاح العدو فقتلهُ فارسل المولى سبحانه وتعالى النبي ناثان ووبخه على هذا العمل الوخيم وزجره باللطف اشارة فقال لهُ كان رجلان في مدينةٍ واحدة واحد منهما غني والآخر فقير وكان للغني غنم وبقر كثير جدًّا واما الفقير فلم يكن لهُ شيءٌ الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً تأكل من

لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة فجاء ضيف الى الرجل الغني فعفا ان يأخذ من غنمهِ ومن بقرهِ ليهيئ للضيف الذي جاء اليهِ فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء اليهِ فحمي غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان حيٌّ هو الرّب انهُ يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة اربعة اضعاف لانهُ فعل هذا الامر ولانهُ لم يشفق فقال ناثان لداود أنت هو الرجل الى قوله تعالى قد قتلت أوريّا الحثي بالسيف واخذت امرأته لك امرأةً واياهُ قتلت بسيف بني عمون والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد وهانذا أُقيم عليك الشر واخذ نساءك امام عينيك واعطيهنّ لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس لانك انت فعلت بالسر وانا افعل هذا الامر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس فاستغفر داود عن ذنبه فاخبرهُ ناثان بان الرب قد نقل عنك خطيئتك لا تموت وضرب الرّب الولد الذي ولدهُ فمات والقصة مذكورة في التوراة (٢ صموئيل ص١٢) بألطف عبارةٍ وافصحها فاخذها القرآن فجاءت مقتضبةً مضطربةً وحذف وزاد ومع ذلك فتدل على المراد وهو وقوع داود في الخطيئة فورد في سورة ص٣٨ : ٢٠ – ٢٣ (وهل اتاك نبأُ الخصم اذ تسوّروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا اخي لهُ تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجهِ وان كثيرًا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم وظنّ داود أنّما فتناهُ فاستغفر ربهُ وخرّ راكعًا واناب فغفرنا لهُ ذلك) الخ فكل من أُوتي ذرّة من الفهم جزم بان هذه الاقوال مأخوذة من التوراة وقد ذكرت مقتضبة

كعادته ولكنها كافية في الدلالة على المراد كما قلنا وها نورد الاحاديث واقوال علمائهم التي فسروا بها اقوال القرآن لزيادة البيان فنقول

« قال المفسرون ان داود رأى من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب بهِ ابائي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليهِ انهم ابتلوا ببلايا لم تبتلَ بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح و بذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود ربِّ لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضاً فاوحى الله اليهِ انك مبتلي في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعدهُ الله بهِ دخل داود محرابه واغلق بابهُ وجعل يصلي و يقرأ في الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءهُ الشيطان وقد تمثل لهُ في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبهُ حسنها وقيل انها طائر من طيور الجنة فمد يدهُ ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسهُ من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها لهُ فأبصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل راها على سطح لها فرآها من اجمل النساء خلقاً فعجب داود حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظلهُ فنفضت شعرها فغطى بدنها فزادهُ اعجاباً بها فسأل عنها فقيل هي نشابع امرأة اوريا وزوجها في غزاة بالبلقاء فكتب داود الى رئيس الجيش ان ابعث اوريا وقدمهُ قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل لهُ ان يرجع وراءهُ حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح لهُ فارسل داود الى رئيس الجيش ان ابعثهُ الى عدو اشد منهُ باساً فبعثهُ فقتل في المرّة الثالثة »

وروي البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله يقول ان داود النبي حين نظر الى المرأة فهم ففظع على بني اسرائيل اوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرّب فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او يهزم عنه الجيش. فقتل زوج المرأة وقال النسفي في تفسيره المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل وقال غيره ايضاً اتفق ان داود وقعت عينه على امرأة اوريا فاحبها فسأله النزول لهُ عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انه مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلاً ليس لهُ الاَّ امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به . قال ابن عباس وغيره ان داود لما دخل عليه الملكان فقضي على نفسه تحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما قصداه فسجد فمكث اربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده ربِّ زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب ربِّ ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال قد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال ربي دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لأفعلنّ قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل فقال سألت الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى

فان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً عن دمك انتهى ومع ما في هذه الاقوال من الاغلاط الا انها دالة على ان اقوال القرآن والاحاديث دالة على وقوع داود في اشنع الخطايا وقد تواترت هذه القصة في ايام الصحابة واتخذها الاراذل مسوغاً لشهواتهم فزجرهم علي عن التحدث بها ولم يكن زجره انكاراً لحقيقتها بل لصرف الناس عن الاشتغال بالمثالب فان النفس تميل الى الاشتغال بعيوب الغير وترك الاشتغال بعيبها وسببه الهوى (ان المرآة لا تريك خدوش وجهك في صداها * وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها) قال علي من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه . فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحبُّ اليَّ مما طلعت عليه الشمس . وقالوا ان القصة التي اتت في القرآن جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ في التوبيخ

✻ توبة داود ✻

قال المفسرون سجد داود اربعين يوماً لا يرفع رأسهُ الا لحاجةٍ او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً تمام اربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسهِ وهو ينادي ربهُ عز وجل ويسألهُ التوبة وكان من دعائهِ في سجودهِ سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشآء سبحان خالق النور الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوّي ابليس فلم اقم لفتنتهِ اذ نزلت بي (وقد حذفنا كلمة سبحان خالق النور لانها تكرَّرت قبل كل عبارة) الهي انت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا اليهِ صائر . الهي الويل لداود يوم يكشف الغطآء فيقال هذا داود الخاطئ

الهي باي عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي . الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين . الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده . الهي انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك . الهي انا لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم . الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصابهُ . الهي كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث كانوا . الهي قد تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي . الهي اغفرلي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني . الهي اعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني . الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين وقيل مكث داود اربعين يوماً لا يرفع رأسهُ حتى نبت المرعى من دموع عينيهِ حتى غطى رأسهُ فنودي يا داود اجائع انت فتطعم اظمآن انت فتسقى امظلوم انت فتنصر . فاجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئتهِ بشيءٍ فحزن حتى هاج ما حولهُ من العشب فاحترق من حر جوفهِ ثم انزل الله تعالى لهُ التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاهُ نداءٌ اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدًا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا اسمعهُ نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبرهِ ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذي قطع عليَّ لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبيَّ الله قال اسألك ان تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك اليَّ قال قد عرَّضتك للقتل قال بل عرَّضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله تعالى اليهِ يا داود ألم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت ألا اعلمتهُ انك قد تزوَّجت امرأتهُ قال فرجع فناداهُ فاجابهُ فقال من هذا الذي قطع عليَّ لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبيَّ الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امراتك وقد تزوَّجتها قال فسكت ولم يجبهُ ودعاهُ مرةً فلم يجبهُ وعاودهُ فلم يجبهُ فقام عند قبرهِ وجعل التراب على راسهِ ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لهُ حين يسحب على وجههِ مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاهُ نداءٌ من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبي لم يعفُ عني قال يا داود اعطيهِ يوم القيامة من الثواب ما لم ترَ عيناهُ ولم تسمع أذناهُ فاقول لهُ رضيت عبدي فيقول يا رب من اين لي هذا ولم يبلغهُ عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال

يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله (فاستغفر ربه وخرّ راكعاً واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب)

قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليهِ بكى على خطيئتهِ ثلاثين سنة لا يرقأ دمعهُ ليلاً ولا نهاراً وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائهِ ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار لهُ فيها اربعة آلاف محراب فيجتمع اليهِ الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونهُ على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوتهُ بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوتهُ ويبكي وتبكي معهُ الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوتهُ ويبكي فتبكي معهُ الحيتان ودواب البحر وطين الماء (لا تتعجب من مثل هذا والقرآن يقول في سورة الانبياء ٢١ : ٧٩ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) فاذا كان يوم نوحهِ على نفسهِ نادى مناديهِ ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيبكي داود مع الرهبان حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنهُ سليمان فيحملهُ وعن الاوزاعي مرفوعاً الى الرسول ان مثل عيني داود كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة فرسم الله تعالى خطيئته في يدهِ اليمنى فما

رفع فيها طعاماً ولا شراباً الاّ بكى اذا رآها الخ وعن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الاّ الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شراباً الاّ مزجه بدموع عينيهِ وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليهِ حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليهِ الملح والرماد فيأكل و يقول هذا أكل الخاطئين الى غير ذلك مما يطول شرحه

فيتضح من كل ما تقدم من الاقوال القرآنية والاحاديث المرفوعة واقوال الصحابة المتنوعة واقوال المفسرين المستفاضة ان داود وقع في الخطيئة وأخذ امرأة اوريا وامر بان يقدم زوجها في الحرب ليتخلص منهُ وانهُ تاب وهذه القصة مذكورة في التوراة الشريفة ببساطة الحق خالية عن التزويق والحشو الفارغ والاغلاط الفاضحة وأعرب عن توبتهِ في المزمور الحادي والخمسين فاعترف بخطيئته وتاب وندم وكان يجب على المعترض ان يزيل من قرآنه واحاديثه وكتب التفاسير ذكر خطيئة داود ثم يعترض على التوراة قال المعترض

ان الشيخ السنوسي قال بعد ان انكر قصة داود ان في كتب بني اسرائيل تخليطاً عظيماً لا يليق ان يلتفت اليهِ قلنا ان التعصب على الكتب الالهية اعماهُ عن المثل الوارد في القرآن عن داود في التسعة وتسعين نعجة وهو مأخوذ بالحرف الواحد من التوراة فانهُ لما سقط داود في الخطيئة اتاهُ النبي ناثان ووبخهُ وضرب لهُ هذا المثل كما تقدم فعلى هذا يكون في القرآن تخليط لأخذه هذه القصة من التوراة وهل ينكر حضرة الشيخ الاحاديث النبوية الجمة الدالة على خطيئة داود وهل ينكر اقوال المفسرين وتوبة داود واستغفاره

(عصمة الانبياء)

الظاهر ان المعترض توهم ان النبي ينبغي ان يكون الهاً معصوماً عن كل

خطيئة والحقيقة هي غير ذلك ولكنه معصوم في تبليغ الاقوال الالهية فقط فلا يغلط فيها مطلقاً قال فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلالة فان ذلك غير جائز عليهم (الثاني) ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والاَّ لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدًا ولا سهوًا ومن الناس من جوَّز ذلك سهوًا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن (الثالث) ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انهُ لا يجوز خطاؤهم فيها على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو (الرابع) ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الأمة فيهِ على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائي الرابع انهُ لا يقع منهم الذنب الاَّ على جهة السهو والخطأ الخامس انهُ لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة وغير ذلك من الاختلافات ومن جرَّد نفسهُ عن الهوى ونبذ الوساوس التي تغلب على ضعاف العقول ظهريًّا جزم بجواز وقوعهم في الخطيئة كما هو نص القرآن والاحاديث ولكنهم معصومون في تبليغ اقوال الله ولا يجوز ان يغلطوا فيها لا عمدًا ولا سهوًا لان الله هو الحافظ لهم في ذلك وهو الناطق على السنهم بروحهِ القدوس وهم آلات في يدهِ وهذا القول هو الموافق للنقل والعقل

(نتيجة ما تقدم)

فينتج مما تقدم بطلان اعتراضات المعترض على التوراة وقرآنه اقتبس جُل

تواريخ الانبياء منها جسب روايات يهود عصره الشفاهية لهُ فلا عجب اذا اتت مقتضبة مضطربة ومع ذلك فهي كافية في دحض اعتراضات المعترض والحقائق التي دونت فيهِ هي كنقطة من بحر التوراة الزاخر وأنىّ يدرك شأْو ذلك النور الباهر وعلماء الورى مسلمون بانها هي اقدم كتاب في الدنيا ولم يأْتِ احد من العلماء او الفهماء الاَّ اغترف من بحورها وسرى في نورها وقد ثبت بشهادة القرآن والاحاديث المحمدية ما يأْتي وهو (١) ان القرآن نسب الى يوسف الخطيئة فقال انهُ همَّ بها والتوراة نزَّهتهُ عن ذلك (٢) ان آدم كان نائبًا عن ذرّيته فلما اخطأ اخطأْوا وان عند المسلمين عهد الاعمال وليس عندهم عهد النعمة وان آدم عصى وغوى واغتر بترهات ابليس واطاعهُ وصدَّقهُ وخالف المولى سبحانه وتعالى (٣) ان نوحًا سكر وقال المسلمون انهُ اوَّل من غرس الكرم وانهُ ترك الاولى وطلب ما لا يجوز طلبهُ بشهادة القرآن ومع ذلك فالتوراة والانجيل شاهدان بتقواهُ وعظم ايمانه (٤) مع ان ابراهيم هو ابو المؤْمنين وخليل الله ويضرب المثل بايمانهِ الاَّ انهُ وقع في عدم الايمان بان اعتمد على الحيلة البشرية وقال محمد انهُ كذب ثلاث كذبات الى آخر ما تقدم (٥) قد وقع اسحق ويعقوب في خطيئة الكذب فانهما ليسا بأَفضل من ابراهيم (٦) ان لوطًا البار سكر وفسق وتقدم ان التكليف ساقط عن الغفلان والسكران والمجنون الخ (٧) ان المسيح اتى من أُمة بني اسرائيل التي فضلها على العالمين فمنهم ظهر الانبياء وعليهم نزلت التوراة والزبور ولم ياخذ جسدًا من المشركين وتقدم الكلام على ابوي محمد (٨) ان رأُوبين فسق وكذلك يهوذا في ظروف احوال خصوصية والقرآن شاهد بأَنهما اقترفا مع باقي إخوانهم جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأْفة بالصغير الذي لا ذنب لهُ والغدر بالامانة وترك

العهد والكذب مع ابيهم الخ (٩) ان هرون صوّر العجل بسبب صلابة بني اسرائيل (١٠) ان الله امر بعمل التابوت والكروبين بشهادة القرآن (١١) وقع موسى المشهور بالحلم في ضده ونسبوا اليهِ خطايا اخرى من انهُ شد لحية اخيه وغيرها (١٢) ان سليمان تساهل مع اهل بيتهِ في عبادة الاصنام وعاقبهُ المولى وقد تاب (١٣) ان داود سقط في الخطيئة مع امرأة اوريا وقتلهُ وتاب (١٤) ورد في القرآن ان يونان النبي المسمى بذي النون في سورة الانبياء ٢١ : ٨٧ اخطأ وخالف امر الله فاذا كان اولئك الافاضل الذين اشتهروا بالايمان والتقوى واختصوا بمعرفة الله سقطوا في الخطايا فما بالك بغيرهم ممن لم يصل الى درجتهم ومرتبتهم لعمري ان الجميع اخطأُوا واعوزهم مجد الله

﴿ احوال النوع الانساني ﴾

وبصرف النظر عما ذكر فالحوادث التاريخية والوقائع العمومية والخصوصية التي حصلت من اول الخليقة لغاية الان شاهدة بانحراف الطبيعة البشرية عما خلقت عليه من الطهارة والقداسة فتلوثت بالشرور وتدنست بالفجور فتاريخ عالمنا مشحون من اولهِ الى آخره بالغدر والكفر واللؤم والخسة والطمع والجشع والفتك والبتك وسفك الدماء وبلغت منهم القسوة مبلغاً جسيماً حتى بنوا الابراج من جماجم بني آدم وكم من ابنٍ قام على ابيه وجرعه غصص المنون وكم من اخٍ فتك باخيه للحطام الفاني وكم من قساة اهلكوا الحرث والنسل وجعلوا البلاد العامرة اطلالاً بالية وهدموا القلاع والحصون وسفكوا دماء الامم ولم يشفقوا على كبير لكبره ولا صغير لصغره ولا امرأة لضعفها واخذوا الناس بالغدر والاحتيال واغتالوهم اي اغتيال وبالاختصار لا نرى في تاريخ الدنيا سوى جزّ الرؤُوس وحزّ الرقاب وفت الاعضاد وبت الاكتاد · وتشويه

الوجوه واسالة العيون · وبطن البطون · وصك المسامع وارغام الانوف واذلال العرانين وهشم الثغور · وحطم الصدور · وقصم الظهور · ودق الفقر · وشق السرر واذابة القلوب واستحلال الفروج وابادة النفوس وسبك الاشباح وسلب الارواح هذه هي حال الطبيعة البشرية وتاريخ ذات الخلفاء هو كغيره من تاريخ العالم مشحون بالمظالم والغدر والمكر والقتل وقد عيّر حزب علي ابا بكر بانهُ احرق لجأة المازني بالنار مع انهُ كان مسلماً (٢) ان ابا بكر قطع يسار السارق وهو خلاف الشرع (٣) انكر عمر على ابي بكر عدم قتل خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة وهو مسلم طمعاً في امرأته لجمالها ولذلك تزوّج بزوجته من ليلتهِ وضاجعها فاشار عليهِ عمر بقتله قصاصاً لهُ فلم يرضَ ابو بكر (٤) منعهُ فاطمة ارثها لفدك وهي قرية بخيبر كانت لمحمد ومات عنها وكانت فاطمة مستحقه لنصفها (٥) انهُ قاتل مانعي الزكاة ولما تولى عمر رد السبايا والاموال اليهم واطلق المحبوسين منهم (٦) رماهُ حزب علي بالجهل في بعض المواريث وغير ذلك وقال عمر ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله الناس شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوهُ اما عمر فلما تولى قال الناس لابي بكر وليت علينا فظاً غليظاً ومما يدل على قسوته ان احد النجارين اشتكى لهُ من ثقل خراجه فلم يسمع لهُ فطعنهُ بخنجر فمات وتاريخ عثمان وتوليتهُ الاحكام لأقاربه الاصاغر وغدرهُ ومكرهُ وما كان احدثهُ من الفتن هو اشهر من ان يذكر وقس على ذلك اعمال علي وطمعهُ في الملك واكاذيبهُ وحروبهُ ووقائع الجمل وغيرها الى ان قتل غدراً وقد ذكر ابو بكر الخوارزمي رسالة عن اعمال الخلفاء وهي مطبوعة في مصر والاستانة في رسائله فذكر كيف غصبت فاطمة من ميراثها وسُمّ الحسن وقُتل أخوهُ وصلب زيد بن علي وذكر اسماء كثيرة في ثمان صحيفات الى ان

قال وماذا يقال في اهل بيت منهم نبغ البغاء وفيهم راح التخنيث وغدا · وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدي مغنياً · وكان المتوكل مؤنثاً موضعاً وكان المعتز مخنثاً وكان ابن زبيدة معتوهاً مفركاً وقتل المأمون اخاهُ · وقتل المنتصر اباه وسم موسى بن المهديّ أُمهُ · وسمّ المعتضد عمهُ · ولقد كان في بني أُمية مخازي تذكر ومعائب تؤثر · كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين · وأُمهُ اكلة اكباد الشهداء الطاهرين · وابنهُ يزيد القرود · مربي الفهود · وهادم الكعبة · ومنهب المدينة وقاتل العترة · وصاحب يوم الحرّة · وكان مروان الوزغ بن الوزغ لعن النبي اباهُ وهو في صلبه · فلحقتهُ لعنة الله ربه · وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الارض وشملت · وهي توليته الحجاج بن يوسف الثقفي فاتك العباد · وقاتل العباد · ومبيد الاوتاد · ومخرب البلاد · وخبيث أُمة محمد الذي جاءت بهِ النذر · وورد فيهِ الاثر · وكان الوليد جبار بن امية وولي الحجاج على المشرق وقرَّة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن الذي قتلهُ بطنه كظه ومات بشماً وتخمه وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة الذي نسخ الجهاد بالخمر · وقصر ايام خلافته على العود والزمر · واوّل من اغلى سعر المغنيات · واعلن بالفاحشات · وماذا اقول فيمن اعرق فيهِ مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب · فهو ملعون بين ملعونين · وعريق في الكفر بين كافرين · وكان هشام قاتل زيد بن علي مولي يوسف بن عمر الثقفي وكان الوليد بن يزيد خليع بن مروان · الكافر بالرحمن · الممزق بالسهام القرآن · واوّل من قال الشعر في نفي الايمان وجاهر بالفسوق والعصيان · والذي غشي أُمهات اولاد ابيه · وقذف بغشيان اخيهِ · وهذهِ المثالب مع عظمتها وكثرتها · ومع قبحها وشنعتها · صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس الذين بنوا مدينة الجبارين وفرّقوا في الملاهي

والمعاصي اموال المسلمين . هؤلاء ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون . الذين مضوا بالحق وبهِ يعدلون . بذلك يقف خطيب جمعتهم . وبذلك تقوم صلاة جماعتهم الخ وهذا هو وصف تاريخ النوع الانساني وهذه الاحوال تدل على افتقارنا الى فادٍ كريم يرفع الطبيعة الفاسدة من وهدة الانحطاط بتبريرها اوَّلاً من الاثام التي تستوجب الهلاك وتقديسها بروحهِ القدوس وهذا الفادي هو يسوع المسيح كلمتهُ الازلية فانهُ اتخذ جسدًا من جسدنا واحتمل فيهِ ما كنا نستوجبهُ من العقاب في جهنم النار فاحتمل البار القصاص عوضاً عن الأثمة فيا سعادة من آمن بهِ واتكل عليهِ ويا شقاوة من رفضه ومثلهُ كمثل انسان بريء تقدم من تلقاء ذاته واحتمل قصاص شخص مذنب استوجب الموت حبًّا فيهِ هذا هو فحوى سر الفداء الغريب وقبل ختام هذا الباب نذكر نبذة من خطايا محمد وسبب عدم درجنا لهُ مع باقي الانبياء الكرام هو كثرة خطاياهُ وثانيًا عدم اعتقاد المسيحيين واليهود بنبوَّته فلذا لم يدرج مع الانبياء الكرام

❊ الفصل الثاني عشر ❊

(في احوال محمد)

(١) تقدم في الفصل السادس ان ابوي محمد وعمه كانوا مشركين بالله وانه لما اراد الاستغفار لهم نهاه الله بل زجره زجرًا ابكاه اما محمد فقد كان على ديانة امته وعشيرته وقبيلته فصرف اربعين سنة في العبادة الوثنية يعبد اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والدليل على ذلك ما ورد في سورة الضحى ٩٣ : ٧ (ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) فهذه الآية ناطقة بانه كان على عبادة اهله وعشيرته والضلالة من اعظم المعاصي وكل معصية في النار وتقدم حكم الاشراك اما الانبياء الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالته فكانوا من الامة الاسرائيلية التي

اصطفاها الله على العالمين وميزها بامتيازات خصوصية نخصها بحراسة كتبه واقامة فرائض عبادته وغير ذلك بخلاف محمد ولنورد ما قاله علماؤهم على الاية المتقدم ذكرها فنقول ذهب بعضهم الى انه كان على دين قومه يعبد اللات والعزى كما هو صريح الاية غير ان الزمخشري رد عليهم بان قال ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله انتهى قلنا اذا كان لم يكن على دين قومه فماذا كان دينه لعمري انه كان على دين عشيرته وقد اورد في جمع الجوامع في الجزء الثاني اقوالاً عن دينه فقال اختلف العلماء هل كان محمد مكلفاً قبل النبوّة بشرع فمنهم من نفى ذلك ومنهم من اثبتهُ واختلف المثبت في تعيين ذلك الشرع فقيل انهُ كان مكلفاً بشرع نوح اي كان على دين نوح وقيل كان على دين ابراهيم وقيل كان على دين موسى وقيل كان على دين عيسى وقالوا غير ذلك وقد كانوا في غنى عن هذا التكلف والتعسف ما دام القرآن ناطقاً بصريح اللفظ بانهُ كان ضالاً بل اذا سلمنا بانهُ كان على دين احد اولئك الانبياء أولي العزم فكان الواجب عليهِ حض قومه على التشبه والاقتداء بهِ لان دين موسى وعيسى هو حق وكامل بل لم يكن داع ولا باعث الى الاتيان بطريقة أُخرى وديانة جديدة فلم يكن داع الى دين الاسلام قال البيضاوي (ووجدك ضالاً) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر ولهم في تفسير الآية بعض خرافات وهي انهُ بينما كان محمد راكباً ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فاخذ بزمام ناقتهِ فعدل بهِ عن الطريق فجاء جبريل ونفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد الرسول الى القافلة فمنَّ الله عليهِ بذلك وقس على ذلك ولكن مما يؤيد اشراكه ما يأتي

(٢) من اقوى الادلة على حيدانه عن عبادة الله الحق وميله الى الاصنام هو مدحه آلهة قريش وتقديم العبادة لها واغرب من ذلك اعتذار الله عنه وتسلية خاطره وهذا هو الفرق الجسيم بين القرآن و بين التوراة فلم يذكر الله في التوراة خطيئة صغيرة ولا كبيرة الا اوضح شناعتها وبشاعتها ومرارتها وعقابها ونتائجها المريعة واحوالها الشنيعة بخلاف القرآن فيستخف بها كانها لا شيء وعلى هذا لما وقع محمد في عبادة الاصنام ومدح اللات والعزّى ادعى ان الله عزّاه بان انزل عليه ما يأتي في سورة الحج ٢٣ : ٥١ (وما ارسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيّ الا اذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليمٌ حكيم) قال ابن عباس وجميع المفسرين سواء كانوا متقدمين او متأخرين لما رأى محمد تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه ان يأتيه من الله ما يقارب بينه و بين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوماً في مجلس لقريش فانزل الله سورة والنجم فقرأها محمد حتى بلغ افرأيتم اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى (القى الشيطان على لسانه ما كان يحدّث به نفسه ويتمناه) وهو (تلك الغرانيق العُلى وان شفاعتهنّ لترتجى) فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى محمد في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الاّ سجد غير الوليد بن المغيرة وابي أحيحة سعيد بن العاصي فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم و يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي و يميت و يرزق ولكن آلهتنا هذه

تشفع لنا عنده فان جعل محمد لها نصيباً فنحن معهُ فلما أمسى الرسول اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك بهِ عن الله فحزن محمد حزناً شديداً وخاف من الله تعالى خوفاً كبيراً فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزّيه وكان بهِ رحيماً وقد كان لهذه الحادثة طنة ورنة في عصره والدليل على ذلك ما يأتي قالوا وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب محمد وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحبُّ الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا حدّثوا بهِ من اسلام اهل مكة كان باطلاً فلم يدخل احد منهم الاَّ بجوار او مستخفياً فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغيَّر ذلك . وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان محمد قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شرًّا الى ما كانوا عليهِ وشدة على من اسلم . وقوله (وما ارسلنا من قبلك من رسولٍ الاَّ اذا تمنى) اي احب شيئاً واشتهاهُ وحدَّث بهِ نفسهُ مما لم يؤمر بهِ (القى الشيطان في أُمنيتهِ) اي في مراده هذا هو نص اقوال جميع المفسرين والعلماء فكان محمد يظن ثبوت الرئاسة لهُ على قومه بهذه الأُلعوبة ولكنهُ لما رأى انهم اتخذوا ذلك سلاحاً في يدهم وطعنوهُ بهِ وزادوا رسوخاً وثبوتاً على دينهم اضرب عن هذه الطريقة ومع ان جميع المفسرين ذكروا العبارة التي حاول بها اغراء قومه على اتباعه ومدح بها آلهتهم وهي قوله (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهنَّ لترتجى) الاَّ انهم حذفوها من نص القرآن مع انهُ صلى بها واعتذر بعض المفسرين عنهُ بقولهم ان الشيطان نطق بها على لسانهِ ونقول ما المانع من ان يكون الشيطان هو الذي نطق بباقي القرآن على لسانه ولا سيما انهُ ورد في الحديث انهُ ليُغانُ على قلبي فاستغفرُ الله في اليوم سبعين مرَّةً وفي حديث آخر انهُ

ليُغان على قلبي واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرَّة وقولهُ يُغان اي ان الشيطان يغشى قلبهُ · ومع ان التوراة الشريفة ذكرت للانبياء بعض الخطايا والهفوات الاَّ انهُ لم يظهر نبي من الانبياء الصادقين مثل هذا التلاعب ومسايرة الناس على شركهم وعباداتهم الكاذبة ولا مناسبة بين خطيئته وبين خطيئة سيدنا سليمان فسيدنا سليمان اباح لبعض نسائه الاجنبيات عبادة آلهتهنَّ ولم يقع هو في هذه العبادة ومع ذلك فعاقبهُ الله بأشد عقاب بان مزق مملكته واتى عليها بالرزايا والبلايا وسفك الدماء وهذا بخلاف محمد فانهُ لما وقع هو ذاته في عبادة الاصنام ادعى ان الله انزل بعض الاقوال لتعزيته وتسليته وحاشا لله من ذلك فانهُ لا يخل بقداسته وطهارته مراعاة لاضعف مخلوقاته

(٣) كان محمد لا يستنكف عن التعبد بآلهة قومه للتقرب منهم ثم ينقلب عليها لما يرى عدم الفوز بمرغوبه فورد في سورة بني اسرائيل ١٧ : ٧٥ (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلا) قيل كان سبب نزولها ان محمداً كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما عليَّ ان افعل ذلك والله يعلم اني كارهٌ لها بعد ان يدعوني استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فنزلت هذه الاية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على محمد فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هنَّ قالوا لا نجبي في الصلوة اي لا نحني ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال محمد لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود · واما ان لا تكسروا اصنامكم بايديكم فذاك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انَّا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم

تُعطِ غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فنزلت الاية (وان كادوا) اي هموا (ليفتنونك) اي ليصرفونك عن الذي اوحينا اليك وقال البيضاوي نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نُعشَر ولا نُحشَر ولا نُجبي في صلاتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرّم وادينا كما حرّمت مكة فان قالت العرب لِمَ فعلت ذلك فقل ان الله امرني · وقيل نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلمّ بآلهتنا وتمسها بيدك · وهذا هو سبب ما ورد في هذه السورة ١٤ وهو قوله (ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) وانت تعلم انه لما كان احد ملوك بني اسرائيل يعقد عهداً مع احد المشركين كان يضربه المولى بان يسلمه ليد اعدائه فيذلونه ويخربون مملكته ويسبون رعاياه ونساءه واولاده ويزيلون ملكه ويجرعونه غصص المنون بل كثيراً ما كان يعاقب المولى من يعزم على التحالف مع المشركين او من يظهر ليناً لهم وتساهلاً معهم لان المولى سبحانه وتعالى يطلب من كل انسان ولا سيما الذين انتصبوا لهداية الناس وادعوا النبوة تسليم كل القلب وكل الفكر وكل القوة له تعالى ومحمد اظهر غاية التساهل مع المشركين ووافقهم على آلهتهم

(٤) لما كان المشركون يرون منه ميلاً الى آلهتهم كانوا يطلبون منه ان يذكر شفاعتها فكان كثيراً ما يجيب دعوتهم ثم يرجع عن ذلك ويدعي ان الله نهاه فورد في سورة الاحزاب ٣٣ : ١ (يا ايها النبي اتق الله ولا تُطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً · واتبع ما يوحى اليك من ربك) فلو لم يقع في شيء لما نهاه روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي

قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه و بينهم وقام منهم ابن أبي ومعتّب بن قُشَير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ومما يشبه هذه الحادثة قوله في سورة الزمر ٣٩ : ٦٥ (لئن اشركت ليحبطَنّ عملك ولتكونَنّ من الخاسرين) وكما انه كان يقدم على المنكر المنهي عنه كان يتأخر عن اداء المأمور به لانه كان يخشى بأس قومه ولما كان يرى ان موافقتهم لم تأتِ بفائدة ولا ثمرة كان يتخلص من ذلك بان يدعي ان الله زجره فورد في سورة المائدة ٥ : ٧١ (يا ايها الرسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته) روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل هذه الاية وقيل نزلت في تعيير اليهود لمحمد فسكت يعني اخشى من تبليغ الرسالة فانه عجز عن الظهور امامهم كنبي لان عندهم الكتاب فكان يتروّى ويتحرى الى ان يهتدي الى الاقرب الى الصواب وقال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما أُنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي فلو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئاً مما انزله الله ومن المعلوم ان الله سبحانه وتعالى كان يلهم الانبياء الصادقين ويقوّيهم على تبليغ الرسالة فكانوا ابطالاً في ذلك لتأكدهم من صدق رسالتهم ولعدم مبالاتهم بانفسم فلا عجب اذا نُشر بعضهم ورُجم البعض الآخر وعرض للحيوانات المفترسة وغير ذلك .

(٥ً) مما يدل على انقياد محمد الى الشهوات الحيوانية وعدم قدع نفسهِ التي هي اكبر اعدائهِ عدم استنكافه عن اخذ امرأَة زيد الذي تبناهُ مع ان قومه عيّروهُ الاّ انه لم يبالِ بتعييراتهم لان الشهوة اذا استولت على المجرد من النعمة الالهية اماتت منه الاحساس نعم ان داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الامرين فلم يأخذ داود امرأَة ابنهِ وثانياً انهُ استغفر ربهُ واعترف

بذنبه وتاب كما تقدم ومع ذلك فعاقبهُ الله بان كدر عيشتهُ وسلط عليهِ من اخذ نساءهُ واذلهُ لان الله عادل اما محمد فجعل هذه الخطيئة سُنَّةً لكل انسان فادعى ان الله امرهُ بذلك وحاشا للقدوس الطاهر ان يصادق على عمل الشهواني فورد في سورة الاحزاب ٣٣ : ٣٧ ما نصهُ (واذ تقول للذي انعم الله عليهِ وانعمت عليه امسِكْ عليك زوجك واتقِ وتخفي في نفسك ما الله مبديهِ وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاهُ فلما قضى زيدٌ منها وَطَرًا زوَّجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرجٌ في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منها وطرًا) ولو لم يكن في القرآن غير ذلك لكفى قال المفسرون هذه الآية نزلت في زينب وذلك ان محمدًا لما زوجها من زيدٍ مكثت عنده حينًا ثم ان محمدًا اتى زيدًا ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش وقعت في نفسهِ واعجبهُ حسنها فقال سبحان الله مقلّب القلوب وانصرف فلما جاء زيدٌ ذكرت لهُ ذلك ففطن لذلك ووقع في نفسهِ كراهة صحبتها واتى الرسول فقال اني اريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيءٌ قال لا والله ما رأيت منها الاّ خيرًا ولكنها تتعظم عليَّ بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي أمسك عليك زوجك واتقِ الله في أمرها ثم ان زيدًا طلقها. فترى انهُ وقعت محبتها في قلب النبي واشتهاها ولا يخفى ما فيه من اعظم الحرج وما لا يليق بمنصبهِ من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا. ولا يليق مقارنة اقوال المسيح لهُ المجد وتعاليمهُ الطاهرة بهذا القانون الذي وضعهُ محمدٌ في مسألة زيد تنزيهًا لأقوال المسيح عن الخبائث ومع ذلك لنذكر قانونًا من قوانينه توضيحًا للحق من الكذب والطهارة من النجاسة والاقوال الالهية من الاختراعات البشرية قال المسيح ان كل من ينظر الى امرأةٍ ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه . فان كانت

عينك اليمنى تُعثرك فاقلعها والقِها عنك · لانهُ خيرٌ لك ان يهلك احد اعضائك ولا يلقى جسدك كلهُ في جهنم · وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك · لانهُ خيرٌ لك ان يهلك احد اعضائك ولا يلقى جسدك كلهُ في جهنم (مت ٥ : ٢٨ – ٣٠) ومعنى ذلك انه اذا كانت الخطيئة عزيزة عند الانسان بحيث يكون الاقلاع عنها بمنزلة قلع العين او اليد اليمنى فالاولى مفارقتها لانها ذميمة وعواقبها وخيمة فاذا قدع الانسان نفسهُ ولم يُنلها شهوتها كان احسن من ان يعطيها منيتها ويتعذب في جهنم النار هذا هو الحق والطهارة ولنرجع الى ما كنا فيهِ فنقول روي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديهِ وتخشى الناس واللهُ أحقُّ ان تخشاهُ) قلت يقول لما جاء زيد الى محمد فقال يا رسول الله اني أُريد ان اطلق زينب اعجبهُ ذلك وقال أمسك عليك زوجك فعاتبهُ الله وقال لِمَ قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك فان قلت فما الفائدة في امر النبي زيدًا بامساكها قلت ان الله تعالى اعلم نبيهُ انها زوجتهُ فنهاهُ النبي عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمهُ الله بهِ فلما طلقها خشي قول الناس · يتزوَّج امرأة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته وقيل كان في امره بامساكها قمعًا للشهوة وردًّا للنفس عن هواها هذا هو كلام مفسريهم ولا نعرف من هو الاله الذي يشجع ويحض على اقتراف المنكر واخذ امرأة الابن وهل يجوز ان نقول عن مثل هذا الاله قدوس طاهر يمقت الدعارة والنجاسة لا شك ان الاله المذكور في التوراة والانجيل هو غير المذكور في القرآن فالمذكور في التوراة والانجيل يمقت الخطيئة والنجاسة ويحب العفة والطهارة والقداسة · ولا يعاقب على فعل

الخطيئة فقط بل على العزم على فعلها فيعاقب على مجرَّد النظر والشهوة لان قداسته لا تحد . وعن انس قال لما انقضت عدة زيد قال محمد لزيد ما اجد احدًا اوثق في نفسي منك اخطب عليَّ زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وتزوَّجها ودخل بها وما اولم على امرأَة من نسائهِ ما أَولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار اه . ولو كان زيدٌ من اصحاب البطش والشوكة لما رضي بهذا العار ولكن لعن الله الفقر الذي يحمل صاحبه على التفريط بعرضهِ وترك امرأَته وما اقبح الشهوة التي تلزم صاحبها على اخذ امرأَة الابن ولكن قال محمد ان من علامات نبوَّتهِ انهُ جعل في ظهرهِ من القوَّة على النكاح مقدار قوَّة اربعين رجلاً نكاحاً

ومما يناسب ما تقدم مسأَلة عائشة فقد تحدث الناس بما فعلهُ صفوان بن المعطل في رجوعهم من غزوة المصطلق في عائشة زوجة محمد فانها تخلفت عنهم فرموها بالفسق ومكثت في بيت ابيها مدة وقال لهُ علي بن ابي طالب لم يضيق الله عليك والنسآء سواها كثير. ولكن علي لم يعرف انها كانت آخذة بمجامع قلبهِ لانها كانت بكرًا ولا يوجد احدث سنًا منها في نسائهِ فلا عجب اذا توجه اليها وقال يا عائشة بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فيبرئك الله وان كنت أَلممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليهِ فان العبد اذا اعترف بذنبهِ ثم تاب تاب الله عليهِ ولما كان شديد الميل اليها ولا سيما انهُ أُوتي من القوة على النكاح مقدار قوَّة اربعين رجلاً نكاحاً أَتى بتبرئتها كما في سورة النور فقال ان الذين جاؤُا بالافك عصبة منكم الى آخرهِ ولو ذكرنا هذهِ القصة لملأْت ثمان صحيفات اقل ما يكون وشحن بها المفسرون كتبهم وقد اكتفينا بالاشارة اليها لضيق المقام . ومما يناسب ما تقدم ايضاً ما ذكر في السيرة الحلبية وغيرها ان محمدًا كان في ذات يوم في بيت حفصة وهي احدى ازواجهِ فاستاذنتهُ في زيارة ابيها فاذن لها فارسل الى مارية وهي احدى سراريهِ فادخلها بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة فابصرت مارية معهُ في بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت لهُ اني رأَيت من كان معك في البيت

وغضبت و بكت وقالت لهُ لقد جئتَ اليَّ بشيء ما جئتَ بهِ الى احد من نسائك في يومي وفي بيتي وعلى فراشي فلما رأى في وجهها الغيرة قال لها اسكتي اما ترضين ان احرّمها على نفسي ولا اقربها ابدًا . قالت بلى وحلف ان لا يقربها والظاهر انهُ ندم وادعى ان الله انزل عليه ما ياتي (يا ايها النبي لِمَ تحرّم ما احلّ الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم) يعني ان الله يغفر الحنث الذي وقع من محمد فتأمل في سلوكهِ مع نسائهِ

(٦ً) من تأمل في تاريخ نبيهم ظهر لهُ انه اشتهر بالقسوة والحقد فكان يغتال بالغدر والعدوان من عارضه ونذكر بعض امثلة يستدل منها على الباقي فمن ذلك انه ارسل عمير بن عدي الى عصماء بنت مروان وامره بقتلها لانهـا ذمتهُ فجاءها ليلاً وكان اعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفرٌ من ولدها نيام منهم من ترضعهُ فجسها بيده ونحّى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم رجع فاتى المسجد فصلى الصبح مع محمد واخبره بما حصل فقال محمد لا ينتطح فيها عنزان واثنى على عمير ثناءً جميلاً ثم اقبل على الناس وقال من احبّ ان ينظر الى رجلٍ كان في نصرة الله ورسوله فلينظر الى عمير بن عدي ومن الحوادث المريعة ما يأتي ايضاً وهو انه ارسل سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي ليغتالهُ وكان بلغ من العمر ١٢٠ سنة وكان يقول الشعر في محمد ففي ليلة صائفة اي حارّة نام ابو عفك بفناء منزله وعلم سالم به فاقبل اليه ووضع سيفـه على كبده فقتله . ومن حوادث الغدر ايضاً هو انه لما بلغه ان كعب بن الاشرف كان يهجاه و يحرّض قريشاً عليه ارسل خمسة رجال منهم ابو نائلة اخو كعب من الرضاعة لقتله فمشى معهم محمد الى بقيع الفرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهمّ أعنهم ثم رجع الى بيته وهو في ليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصن كعب وكان حديث عهد بعرس فهتف ابو نائلة فوثب في ملحفته خارجاً آمناً اذ عرف صوتهُ فغدروا بهِ وقتلوهُ واخذوا رأسهُ ثم عادوا راجعين حتى

بلغوا بقيع الفرقد فكبروا . فلما سمع محمد تكبيرهم كبَّر وعرف انهم قتلوهُ ثم انتهوا اليه وهو قائم يصلي فقال افلحت الوجوه . قالوا وجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديهِ ومن الحوادث الشنيعة ايضاً هو انهُ لما قُتل عمهُ حمزة في غزوة احد غضب وحلف ان ينتقم من قريش ويقتل منهم سبعين نفرًا عوضاً عنهُ ولما غزا بني قريظة وهم قبيلة من اليهود وحاصرهم قبلوا بالتسليم بشرط ان يستحييهم بشفاعة قبيلة اوس وبعد ذلك فوَّض الحكم الى سعد بن معاذ فقرَّر قتل الرجال وتقسيم الاموال وسبي الذراري والنساء فاستحسن محمد هذا الحكم فأمر ببني قُرَيظة فادخلوا المدينة فحُفر لهم اخدود في السوق وجلس محمدٌ واصحابهُ وأُخرجوا اليهِ وضربت اعناقهم وكانوا بين ٦٠٠ و ٧٠٠ نفر . ومن اعماله ايضاً انهُ ارسل عبد الله بن عتيك ومعهُ اربعة رجال لقتل ابي رافع عبد الله لمعاداته لمحمد فلما هدأت الاصوات جاءوا الى منزله فصعدوا درجة لهُ وقدموا عبد الله بن عتيك لانهُ كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئتُ ابا رافع بهدية ففتحت لهُ امرأته فلما رأت السلاح ارادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليهِ فعلوهُ باسيافهم وقتلوهُ ومن ذلك انهُ ارسل عبد الله بن جحش ومعهُ ثمانية من المهاجرين وسلبوا عير قريش كانت حاملة زبيباً وادماً في آخر يوم من رجب وكان القتال فيهِ حراماً فعيره قريش ولكنهُ اتى بالآية ٢١٤ في سورة البقرة يجوز بها عمله هذا ويسوغ اخذ خمس الغنيمة لنفسه ونص الآية (يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيهِ قل قتالٌ فيهِ كبير وصد عن سبيل الله وكفر بهِ والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ اهلهِ منهُ اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل) وهي مذكورة بالتفصيل في السيرة الحلبية وكتب التفسير وغيرها ويلزم لاستيفاء ذكر هذه الاعمال الدالة على الغدر نحو مجلد وقبل الانتقال الى غير ذلك نقول

لمعرفة الفرق بين نبيهم وبين انبياء الله نذكر ما فعلهُ داود بألد اعدائه فنقول مع ان شاول بذل غاية جهده للفتك بداود فاخذ ثلاثة آلاف رجل من ابطال بني اسرائيل لاهلاك داود الاَّ انهُ لما وقع في يده لم يمسهُ بضرر وبيان ذلك ان شاول دخل في كهف وكان داود ورجاله في مغابن الكهف فقال لهُ رجاله ان الله دفع عدوَّك في يدك قم اقتله فقام داود وقطع طرف جبة شاول ووبخ رجاله على ما طلبوه بل ان قلب داود ضربه على قطعه طرف جبة شاول ثم خرج من المغارة ونادى شاول واخبره بما كان فرفع شاول صوتهُ وبكى فانظر الى كرم اخلاق داود وعاد شاول يطلب نفس داود فانتخب ثلاثة آلاف رجل فوقع شاول في يد داود مرَّة ثانية فانهُ كان نائمًا فاخذ داود رمحهُ وكوز الماء من عند رأسه فتأَثر شاول ثانية فعليك ايها القارئ ان تقيس بين الامرين واحكم بالانصاف او اين حقد محمد من قول المسيح لهُ المجد احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وقوله لا تقاوموا الشر وقولهُ لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير وغير ذلك

(٧) كثيرًا ما كان يخطئ في اعماله والدليل على ذلك ما ورد في سورة الانعام ٨ : ٦٨ (ما كان لنبي ان يكون لهُ اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرَض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) روي انه أُتي يوم بدر بسبعين اسيرًا فيهم العباس وعقَيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوّي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء وحضه على جزرهم فلم يرضَ وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون أَلين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلَك يا ابا بكر مثل

ابراهيم فقال من تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال يا ربِّ (لا تذر على الارض من الكافرين ديارًا) نخيّر اصحابه فاخذوا الفداء والظاهر انه تأسف على ذلك لانهم اتعبوه فادعى نزول هذه الآية وفي ذات يوم دخل عمر على محمد فاذا هو وابو بكر يبكيان فاستفهم عن السبب وقال اخبرني ان اجد بكاءً بكيت والاَّ تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض عليَّ عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فقوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر (ثانيًا) ادعى ان الله سبحانهُ وتعالى امره وامر قومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم (ثالثًا) ان النبي حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب (رابعًا) ان محمدًا وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله

ومما يشبه ذلك ما ورد في سورة براءة ٩ : ٤٣ (عفا الله عنك لِمَ اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهولاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمر بن ميمون الاودي اثنتان فعلهما محمد لم يؤمَر بشيءٍ فيهما اذنهُ للمنافقين واخذه الفداء من اسارى بدر ومع ذلك فقالوا ان الله عاتبهُ ولكن لو كان الاله الحقيقي هنا لعاقبه اشد عقاب ففي التوراة لما اخذ عخان بعض الاشياء المحرمة ضرب الله الامة الاسرائيلية بتمامها وسلط عليها من هزمها ولما كان احد ملوك بني اسرائيل يبقي احدًا من الذين امر الله باعدامهم عقابًا لهم على خطاياهم كان يضربه ضربة شديدة بخلاف الحال هنا فاذا اقترف المنكر الذي يستوجب اشد عقاب وانكى عذاب يعاتبه الله ويلاطفهُ ويراعي

خاطره فاين عدل الله وقداسته

(٨) قد كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكترات بالفقير والمسكين فمرة قطب وجهه في الاعمى ولم يلتفت اليه مع انه كان آتياً ليتعلم منه ديانته ولما عرف ان هذا لا يليق ادعى بان الله وبخه فورد في سورة عبس ٨٠ : ١ — ١٠ (عبس وتولى ان جاءه الاعمى · وما يدريك لعله يزّكّى · او يذّكّرُ فتنفعه الذكرى · اما من استغنى فانت له تَصدّى وما عليك الاّ يزّكّى · واما من جاءك يسعى · وهو يخشى فانت عنه تلهى) الخ روي ان ابن ام مكتوم اتى النبي وهو يتكلم مع عظماء قريش فقال له اقرئني وعلمني مما علمك الله فلم يلتفت محمد اليه وقال في نفسه يقول هولاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجههُ واعرض عنه · واقبل على القوم الذي كان يكلمهم فكان رجلاً دنيوياً

ومما يؤيد ذلك ما ورد في سورة الانعام ٦ : ٥٢ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشيّ يريدون وجههُ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهم فتكونَ من الظالمين) فقالوا جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا محمداً قاعداً مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حولهُ حقروهم فقالوا لمحمد لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هولاء وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك ونحب ان تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هولاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم حيث شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً فاتى بالصحيفة

ودعا علياً ليكتب ولما راجع نفسه ورأى انها احبولة ادعى ان جبرائيل نهاه وقال ابن عباس ان ناساً من الفقراء كانوا مع النبي فقال ناس من اشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخر هولاء الذين معك فليصلوا خلفنا فكاد ان يجيب الطالب ولما رأى ما فيه من الظلم وانه يكون موجباً للقيل والقال تخلص منه بان ادعى ان الله نهاه عن ذلك

(٩) اعترف القرآن بان خطايا محمد هي جمة وانها ابهظت ظهره يعني انهُ كغيره من بني البشر فورد في سورة ألم نشرح ٩٤ : ٢ (ووضعنا عنك وزرك · الذي انقض ظهرك) اي حططنا عنك وزرك سواء كان في الجاهلية او غيرها وبما ان الجميع اخطأوا ولا يخرج من هذا الحكم كبير ولا صغير ولا نبي ولا ولي وادعوا ان جبريل اتى الى محمد وهو يلعب مع الصبيان فاخذهُ وصرعهُ وشق عن قلبه فاستخرج منهُ شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمهُ ثم اعادهُ الى مكانه · ومع ان كل عاقل يرى ان هذه الحكاية هي من الخرافات الملفقة الا انها دالة على كون الخطيئة الاصلية في قلب كل انسان وزد عليها الخطايا الفعلية ولو كان تطهر كما ادعوا لما فعل ما فعله في حياته والحاصل انهُ لم يتقدس من الخطيئة الاصلية وثانياً زاد عليها الخطايا الفعلية التي ذكرنا بعضها وهذه قاعدة تعم الجميع واذ ثبت ذلك ثبت افتقار الورى الى فادٍ كريم يخلص كل من آمن بهِ ولا يمكن غفران الخطايا بغير هذا فان العدل الالهي مطالب بحقه فقولهُ في سورة الفتح ٤٨ : ٢ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) لا يمكن تحقيقه بغير طريقة الفداء اما الخطايا المشار اليها في هذه الآية فهي الخطايا التي كانت قبل ادعائه النبوّة والخطايا التي بعدها ومما يدل ايضاً على انهُ خاطئ قوله في سورة المؤمن ٤٠ : ٥٧ واستغفر

لذنبك وفي سورة محمد ٤٧ : ٢١ فاعلم انهُ لا إله الاَّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) وفي الحديث توبوا الى ربكم فوالله اني لأتوب الى الله عزَّ وجلَّ مائة مرَّة في اليوم وعن ابي هريرة قال سمعت الرسول يقول اني لأستغفر الله واتوب اليهِ في اليوم سبعين مرَّة وفي رواية اكثر من سبعين مرَّة والتوبة هذه لا تكون الاَّ عن المعصية

(١٠) تقدم انهُ غدر باعدائهِ وجرعهم غصص المنون وهم نيام وغير ذلك ونقول ايضاً انهُ كان جائرًا في احكامه ولما حصحص الحق لم يسعهُ سوى الاذعان لهُ فورد في سورة النساء ٤ : ١٠٦ (إنَّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله ان الله كان غفورًا رحيماً) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال لهُ طِعمة سرق درعاً من جار لهُ يقال لهُ قتادة بن النُعمان وكانت الدرع في جراب فيهِ دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأَها عند رجل من اليهود يقال لهُ زيد بن السمين فالتُمست الدرع من عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما لهُ بهِ من علم فاتبع اصحاب الدرع اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأَخذوها منهُ فقال اليهودي دفعها الى طعمة · زاد في الكشاف وشهد لهُ جماعة من اليهود وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى محمد وسأَلوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهمَّ محمد ان يعاقب اليهودي وان يقطع يدهُ فلو لم يذنب لما استغفر من ربهِ ولو كان نبياً لعرف الحرامي الحقيقي من اوَّل الامر اما ارتيابه وشكوكه في التعاليم وغيرها فاضربنا عنها لضيق المقام

(١١) استنتج احد علماء المسيحيين من الاحاديث الكثيرة انهُ كان بمحمد داء الصرعة ومن أُصيب بهذا الداء يتصوَّر صورًا وخيالات شتى فروي انهُ قال

لخديجة اذا خلوت سمعت نداءً ان يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نورًا اي يقظة لا منامًا واسمع صوتًا وقد خشيت ان الذي يناديني يكون تابعًا من الجن واخشى ان اكون كاهنًا وفي رواية اخشى ان يكون بي جنون ومن الاحاديث اذا نزل عليهِ الوحي تزبد وجههُ وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر محمرّة عيناهُ الى غير ذلك من الاحاديث التي أيد بها دعواهُ وعلى كل حال لنختم هذا الفصل بما يأتي ونفوض الحكم بانصاف للمطالع فان كلامنا هو من اقوال علماء المسلمين

(١٢) قل اعوذ برب الفلق قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم محمدًا فدبت اليهِ اليهود فلم يزالوا بهِ حتى اخذ من مشاطة رأس محمد وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيهِ وقال البخاري ومسلم عن عائشة ان النبي سُحِرَ حتى يخيل اليهِ انهُ يصنع الشيء ولم يصنعهُ وفي رواية انهُ يخيل اليهِ فعل الشيء وما فعلهُ حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاهُ ثم قال اشعرت يا عائشة ان الله قد افتاني فيما استفتيتهُ فيهِ قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبهِ ما وجع الرجل قالوا مطبوب اي مسحور قال ومن طبهُ قال لُبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فبماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر وهو وعاء طلع النخل قال فاين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة من قال في بئر بني زريق فذهب محمد في اناس من اصحابهِ الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأنّ ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قالت يا رسول الله فاخرجهُ قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وخفت

ان اثير على الناس منهُ شرًّا وفي رواية للبخاري انهُ كان يرى انهُ يأْتي النساء ولا يأْتيهنَّ قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك · عن زيد ابن ارقم قال سحر رجل من اليهود محمدًا فاشتكى ذلك اياماً فأَتاهُ جبريل فقال ان رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقدًا في بئر كذا فارسل محمد عليًّا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام محمد كأَنما نشط من عقال وروي انهُ كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيهِ مشاطة من رأْس محمد واسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليهِ احدى عشر عقدة وقيل كان مغروزًا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشر آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأَ آية انحلّت عقدة حتى انحلّت العقد كلها فقام محمد كأَنما نشط من عقال وروي انهُ لبث ستة اشهر واشتد عليهِ ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان وعن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى محمدًا فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤْذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

هذا هو نص اقوالهم في نبيهم ومن كان بهذه الصفة لا يجوز التعويل على اقواله ولا على افعالهِ بل اليهودي الذي سحرهُ يكون اقوى منهُ عزماً وقوّة وبطشاً لانهُ غيّر عقلهُ حتى كان يتخيل انهُ صنع الشيء ولم يصنعهُ والتوراة والانجيل ناطقان بان السحر من اعظم الاكاذيب والاضاليل وناهيك ان سحرة المصريين لم يقدروا ان يقفوا امام موسى لان اعمالهم كانت مبنية على الكذب والضلالة وخير للانسان ان يعيش في هذه الدنيا بلا إلهٍ ولا دين من ان يتبع شرع نبي يؤثر فيهِ احد اليهود بسحره وشعوذته ويغيب عقلهُ ولا لزوم الى تطويل الكلام بل

لنرجع الى باقي ما قالوهُ في ذلك فنقول

« قال الامام المازري مذهب اهل السنَّة وجمهور علماء الأُمة على اثبات السحر وان لهُ حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافاً لمن انكر ذلك ونفى حقيقتهُ واضاف ما يقع منهُ الى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكرهُ الله في كتابه وذكر انهُ مما يتعلم وذكر ما فيهِ ·اشارة الى انهُ مما يكفر بهِ وانهُ يفرق بين المرء وزوجهِ وهذا كلهُ لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة لهُ وهذا الحديث الصحيح مصرّح باثباتهِ ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج بين قوي لا يعرفها الاّ الساحر وانهُ لا فاعل الاّ الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منهُ هل هو بقضاء الله وقدرهِ أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأْمر بالاستعاذة مع ان ما قُدّر لا بد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوُّذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما يأْتي وهو ان ابا خزامة سأَل محمدًا وقال يا رسول الله ارأَيت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى بهِ وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا قال هي من قدر الله وعن عمر نفرُّ من قدر الله الى قدر الله تعالى »

فعلماء المسلمين اثبتوا ان محمدًا تغير عقله بالسحر وان اليهود سحروه · ومما يشبه هذا ما حصل لهُ وقت مرضه فقال البخاري عن عبد الله بن عباس انهُ لما اشتد بمحمد مرضه الذي مات فيهِ قال ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعدي فقال عمر ان رسول الله قد غلبهُ الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال محمد قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع قال ابن عباس الرزّية كل

الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله هذه بعض احوال هذا الرجل الذي كادوا ان يوصلوهُ الى المرتبة الالهية

الباب الثاني

﴿ الفصل الأوّل ﴾

(في صحة التوراة والانجيل)

قال رحمة الله صاحب كتاب اظهار الحق ان الكتب المقدسة هي محرفة واستعان على تأييد قوله بالمشاغبة والمغالطة وسنوضح بالأدلة العقلية والنقلية تنزه الكتب المقدسة عن شوائب التحريف والتبديل ومما يدل على انها تنزيل الحكيم العليم هو اتفاق معناها ووحدة فحواها فمع انها تشتمل على ستة وستين كتاباً انزلت في ستة عشر جيلاً على ستة وثلاثين نبياً من الانبياء الكرام الاّ انها في غاية المطابقة ووحدة الغاية وهي فداء النوع الانساني بواسطة فادٍ كريم ينتشلهُ من وهدة الانحطاط والكتاب من أولهِ الى آخره مؤيد لهذه الحقيقة المهمة وبما ان صاحب اظهار الحق ذكر اسماء الكتب المقدسة وعبارتهُ لا تخلو من تشويش وخلط وجب ان نذكرها مرتبة لافادة المطالع فنقول ان التوراة او كتب العهد القديم تشتمل على تسعة وثلاثين كتاباً وهي سفر التكوين · وسفر الخروج · وسفر اللاويين · وسفر العدد · وسفر التثنية · وكتاب يشوع بن نون · وسفر القضاة · وسفر راعوث · وسفر صموئيل الاول والثاني · وسفر الملوك الاول والثاني · وسفر اخبار ايام الاول والثاني · وسفر عزرا · وسفر نحميا · وسفر استير · وسفر ايوب · وسفر المزامير · وسفر الامثال · وكتاب الجامعة · ونشيد الانشاد · ونبوّات اشعيا · ونبوّات ارميا ومراثيه · ونبوّات حزقيال · ونبوّات دانيال ·

وهوشع · و يوئيل · وعاموس · وعو بديا · ويونان · وميخا · وناحوم · وحبقوق · وصفنيا · وحجي · وزكريا · وملاخي · فهذه كتب اليهود المقدسة وحافظوا عليها بالحرص الشديد كما سنوضحه اما كتب العهد الجديد فهي :

انجيل متى · وانجيل مرقص · وانجيل لوقا · وانجيل يوحنا · واعمال الرسل · ورسالة بولس الرسول الى رومية · ورسالته الى كورنثوس الاولى والثانية · ورسالته الى غلاطية · وافسس · وفيلبي · و كولوسي · وتسالونيكي الاولى والثانية · وتيموثاوس الاولى والثانية · وتيطس · وفليمون · والعبرانيين · و يعقوب · ورسالة بطرس الاولى والثانية · ورسالة يوحنا الاولى والثانية والثالثة · ورسالة يهوذا · ورؤيا يوحنا · وجميعها سبعة وعشرون سفراً

فاليهود يتمسكون بالقسم الاوّل وهوكتب موسى والمزامير وكتب الانبياء اما المسيحيون فيتمسكون بعروة كلا القسمين و يرجعون اليهما في الاعتقادات لان مضمون التوراة والانجيل هو واحد · وقد وضع البعض كتباً مدسوسة اسمها الابوكريفا اي الكتب التي لا يصح التعويل عليها ولا الرُّجوع اليها وهي كناية عن حوادث تاريخية وحكايات خرافية وبعض حكم ادبية فالحقوها بالتوراة وهذه الكتب هي كتاب طوبيا و يهوديت وكتب الحكمة وكتاب ابن سيراخ وتسبحة الثلاثة فتيان وقصة سوسنا وكتابا المكابيين وبما ان اليهود هم حفظة الكتب الالهية ومنهم اخذ الجميع فكلامهم في مثل هذه القضية هو المعوَّل عليهِ وقد نبذوا هذه الكتب ظهرياً لاعتقادهم بانها غير موحى بها للاسباب الآتية وهي (اولاً) ان لغتها ليست عبرية وهي لغة انبياء بني اسرائيل ولغة الكتب المنزلة وقد تأكدوا ان بعض اليهود كتب هذه الكتب باللغة اليونانية (ثانياً) لم تظهر هذه الكتب الاَّ بعد زمن انقطاع الانبياء فان ملاخي آخر انبياء اليهود قال في

الاصحاح ٤ : ٤ — ٦ من نبوَّته لا يقوم نبي بعده غير يوحنا المعمدان الذي يأتي بروح ايليا فاجمع أئمة اليهود على ان آخر انبيائهم هو ملاخي وورد في كتاب الحكمة أحد الكتب المفتعلة انه نزل على سيدنا سليمان ومما يثبت كذبه استشهاده ببعض اقوال النبي اشعيا وارميا مع انهما كانا بعد سليمان بمدة مديدة ومما يدل على افتعاله قوله ان اليهود كانوا اذلاء مع انهم كانوا في عصر سليمان في غاية العزّ والمجد (ثالثاً) لم يذكر في كتاب منها انها وحي بل اعتذر في كتاب حكمة سيراخ عن السقط والغلط ولو كانت وحياً لما طلب من المطالع فيها غض الطرف عما بها من الزلل (رابعاً) لم يعتبر اليهود هذه الكتب من كتبهم المنزلة ولم يستشهد بها سيدنا يسوع المسيح المذخر فيه كل حكمة وعلم ولا احد من الحواريين ولم يأتِ لها فيلو ولا يوسيفوس بذكر مع ان المؤرخ يوسيفوس ذكر في تاريخه اسماء كتب اليهود المنزلة واوضح تعلق اليهود بها وانه يهون على كل يهودي ان يفديها بروحه (خامساً) لم يدَّعِ أحد بتنزيل هذه الكتب الاّ بعد اربعمائة سنة من التاريخ المسيحي ولم يعدها احد من ائمة المسيحيين الافاضل من الكتب المنزلة ولم يذكرها مليتو اسقف ساردس الذي كان في الجيل الثاني من التاريخ المسيحي من الكتب المقدسة وكذلك لم يذكرها اورجينوس الذي نبغ في القرن الثاني ولا اثناسيوس ولا هيلاري ولا كيرلس اسقف اورشليم ولا ابيفانيوس ولا جيروم ولا روفينوس ولا غيرهم من ائمة الدين الاعلام الذين نبغوا في الجيل الرابع وكذلك لم يأتِ لها بذكر المجلس الديني الذي التأم في لاودقية في الجيل الرابع مع انه حرَّر جدولاً باسماء الكتب المقدسة الواجب التمسك بها والكاثوليك ذاتهم يرجعون الى قراره (سادساً) انها منافية لروح الوحي الالهي فذكر في حكمة سيراخ تناسخ الارواح والتبرير بالاعمال وجواز

الانتحار والتشنيع عليهِ والكذب وغير ذلك وغاية صاحب كتاب اظهار الحق من خلط مثل هذه الكتب المفتعلة بالكتب المقدسة ان يحط بقدر الكتب الموحى بها قال المعترض ان الكاثوليك يعتقدون بتلك الكتب قلنا بما ان الأُمة اليهودية هي التي أُؤتمنت على الكتب الالهية كانت هي الحكم الفصل وحكمها هو الذي يعوَّل عليهِ وقد اجمع ائمتها في الاعصر القديمة والمتأخرة على انهُ لم يظهر بينهم نبي نزلت عليهِ هذه الكتب ولكن من المؤكد ان احد اليونان وضعها ولو كانت معروفة عند اليهود لوجد لها اثر في كتاب التلمود فانه جمع الشوارد والنوارد فقبول الكاثوليك لها او عدم قبولهم ليس بدليل على صحتها او عدم صحتها

قال انه التأم مجلس العلماء المسيحيين للنظر في الكتب المشكوكة (قلنا) يؤخذ من كلامه انه لا خلاف في الكتب الموحى بها وهو الصواب لانها مؤيدة بالروح القدس وبالآيات الباهرة التي تفحم كل من تصدى لها فالانبياء الكرام والحواريون انصار الله أيدوا رسالتهم وتعاليمهم بالمعجزات الباهرة التي اخرست من تصدى لهم فتأكد الجميع حتى المعارضون ان اقوالهم هي تنزيل الحكيم العليم الذي بيده النواميس الطبيعية فقبلوا كتبهم بالاحترام الديني والتبجيل وتمسكوا بها واتخذوها حرزًا منيعًا ولم يحصل ادنى خلاف بين اعضاء المجلس النيقاوي على صحة الكتب المقدسة لانها غير مفتقرة في تأييدها الى مجالس فانها في غنى عن ذلك

اما الكتب الموضوعة فتحتاج الى المجالس لتجردها عن المعجزات ولما لم يأتِ صاحب القرآن بآيات باهرة لاقناع المعارضين احتاج اصحابه لما شرعوا في جمع القرآن بعد وفاة صاحبه بنحو عشرين سنة اقل ما يكون الى المداولة والمشاورة والشهود ولم يقبلوا فقرة ولا سورة الاَّ بعد شهادة شاهدين وانت تعرف ان العرب كانوا اجلافًا مجردين عن الذمة فلا يبعد ان يزيدوا وينقصوا حسب اغراضهم

وقس على ذلك الاحاديث المنسوبة الى نبيهم فان الديانة الاسلامية مبنية على القرآن والسنة اي الاحاديث التي رووها عن محمد وهي مستقلة بالاحكام كالقرآن بل هي اهم منه كما سيأتي في تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الاوزاعي الكتاب احوج الى السنة من السنة الى الكتاب وقال يحيي بن ابي كثير السنة قاضية على الكتاب ومن قوانينهم المرعية في علم الاصول انه لا مانع اذا نقل احاديثهم من كان صبياً وجرت العادة من بعد الصحابة من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ان يحضروا الصبيان مجالس الروايات ولم ينكر ذلك احد وقال الرازي في المحصول اختلف في قبول رواية المبتدع على اقوال والحق انه لا يقبل فيما يدعو الى بدعة ويقويها لا في غير ذلك وقالوا في الصحيحين كثير من احاديث المبتدعة غير الدعاة استشهاداً واحتجاجاً كعمران بن حطاب وداود بن الحصين وغيرهما والمسلمون يجوّزون الاخذ عن الفاسق فلا عجب اذا كثر في السنة الضعيف والموضوع والكاذب فاليهود والمسيحيون لم يأخذوا كتب دياناتهم من الصبيان ولا من المبتدعين ولا غيرهم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في السند المتصل للكتاب المقدس)

قال صاحب كتاب اظهار الحق لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد القديم او الجديد وانه لا بد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم ان يثبت اولاً بدليل تام ان هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل الينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل وان الظن والوهم لا يكفي في اثبات انهُ من تصنيف ذلك الشخص قلنا ان الادلة التي تؤيد صحة سندها الى الانبياء المنسوبة اليهم هي جمة (اوّلاً) انهُ لما انزل المولى

سبحانه وتعالى التوراة على سيدنا موسى افرز سبطًا خصوصيًا وهو سبط لاوي من الاثني عشر سبطًا للمحافظة عليها واقامة سننها وفرائضها واحكامها واختص هذا السبط بامتيازات خصوصية ليتفرغ للعبادة بل ان اقامة اليهود للفرائض المدونة في شريعتهم ومراعاتهم لأحكامها في المعاملات واستشهادهم بها في المناظرات والمباحثات وتعبدهم بقراءتها في ايام مواسمهم واعيادهم ومراعاتهم لاحكامها في الامراض والعاهات وما يجوز من الزواج وما لا يجوز لغاية الآن وتسليم السلف للخلف هذه كلها من اقوى الادلة على حفظهم اياها بل هو اقوى سند متصل على ان هذه الكتب نزلت على اولئك الانبياء المنسوبة اليهم وانهم عملوا المعجزات الباهرة لتأييد دعواهم وكما انهُ لا ينكر احد ان صولون سن قوانين لسكان اثينا وكانت مرعية عندهم وان ليكارجوس سن قوانين لسكان اسبارتا وكانوا يقيمون حدودها وسننها ولم يشك احد في نسبة القوانين التي وضعها كل منهما اليها فكم بالحري الكتب المقدسة التي اتخذها بنو اسرائيل دستورًا في عباداتهم ومعاملاتهم فلا ينكر احد نسبتها الى موسى ولا الى الانبياء وزد على ذلك انه لا يجسر سبط بتمامه مؤلف من مئات الوف على تغيير نسبتها او تبديلها وانبياء اليهود الذين اتوا بعد موسى استشهدوا بها في اقوالهم وحضوا الأمة على التمسك بفرائضها وسننها بل ان ذات محمد اقتبس كثيرًا من الحقائق المدونة في التوراة فاقتبس القرآن بعض القصص التي وردت بخصوص سقوط آدم وقصة ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف واعمال موسى مع فرعون وغيره فاذا كانت نسبتها متغيرة فلماذا اقتبس القرآن بعض حقائقها (ثانيًا) تداول كتب موسى والانبياء كان من اعظم الادلة على صحة نسبتها الى الانبياء المنسوبة اليهم وقد كانت الغاية من نزولها نشرها بينهم والدليل على ذلك ان

المؤرخ يوسيفوس قال ان موسى النبي امر بتوزيع نسخة على كل سبط من اسباط بني اسرائيل هذا خلاف السبط الذي خصصه المولى لاقامة شعائر ديانته وهو سبط اللاويين فاذا ثبت انتشارها بين اليهود كان يتعذر طبعاً تغييرها او تبديلها او تحريف نسبتها الى غير من هي له لانه اذا تجرأ سبط من اسباط بني اسرائيل على ذلك قامت عليه الاسباط الاخرى وهل يعقل ان الامة اليهودية تغير او تحرف الكتب المقدسة التي تخولها امتيازات جمة وبركات مهمة بل هي الواسطة في تمتعها بالنعيم الدائم لعمري ان هذا بعيد كبعد السماء عن الارض فيثبت ان نسبتها الى الانبياء المنسوبة اليهم هي صحيحة وانه أُفرز سبط بتمامه للمحافظة عليها وان تداولها بين الامة هو من اقوى الادلة على صحة نسبتها (ثالثاً) لما ظهرت الكتب المقدسة بين تلك الامة ظهرت باسماء اولئك الانبياء نعم ان الشيء الذي يخل بنسبتها هو انهُ اذا ذكر كاتبها حوادث ادعى حصولها ولم تحصل وموسى قال انهُ غلب سحرة المصريين وشق البحر الاحمر وانزل الله عليه المنّ والسلوى والقرآن ذاته نسب هذه الحوادث اليهِ فليخبرنا صاحب كتاب اظهار الحق ما هي الحادثة التي نسبت الى احد الانبياء ولم تحدث (رابعاً) ان الادلة المؤيدة لنسبة الكتب المقدسة الى اصحابها هي اقوى من الادلة لنسبة القرآن او الاحاديث او معلقات العرب الى اصحابها وان المسيحيين الاوّلين كانت لهم فرصة مناسبة للانتقاد والبحث اكثر من المسلمين وغيرهم (خامساً) عدم اعتراض احد من علماء الوثنيين على نسبة هذه الكتب الى اصحابها هو برهان على صحتها (سادساً) مما يدل على صحة نسبتها كيفية لغة كل نبي فلغة كتب موسى غير لغة غيره من الانبياء فان لكل لغة ادواراً فلها دور الطفولية والشبوبية والهرم فلغة معلقات العرب هي غير لغة قصائد الشعراء

المخضرمين والمتأخرين وكذلك طرق المراسلات فاختلاف نفَس الانبياء من الادلة على صحة نسبتها الى كل واحد وقد ألف بعضهم كتباً في ذلك

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في تو تر التوراة وتاريخها)

قال المعترض الامر الاول ان تواتر هذه التوراة ينقطع قبل زمان يوشيا ابن أمون والنسخة التي وجدت بعد ١٨ سنة من جلوسهِ على سرير السلطنة لا اعتماد عليها بل ضاعت في حادثة بختنصر قلنا كانت متواترة بين الاسباط كما تقدم وأمر موسى اللاويين حملة تابوت عهد الرّب بوضع الكتاب في جانب التابوت شهادة عليهم كما هو مذكور في سفر التثنية ٣١ : ٢٤ — ٢٦ ولما اعيد بناء هيكل سليمان وضع الكتاب فيهِ مع جميع كتب الانبياء ولما اتى بختنصر وخرب الهيكل لم يمس كهنتهم بشيء لانهُ لم يكن مطمح نظره استئصال ديانتهم نعم انهُ اخذ ذخائر الهيكل والاواني المقدسة وكان ذلك طمعاً في المال اما الكتاب المقدس فلم يلتفت اليهِ كما في سفر ٢ ملوك ص ٢٥ و ٢ ايام ٣٦ وارميا ٥٢ ومع ذلك فلما سباهم الى بابل اخذ اليهود معهم نسخاً من الكتب المقدسة كما يستدل من استشهاد النبي دانيال بالشريعة (دانيال ٩ : ١١ و ١٤) وقد ذكر ايضاً نبوّات ارميا كما في (دا ٩ : ٢) (ثانياً) ورد في سفر عزرا ٦ : ١٨ بانه لما تم بناء الهيكل في السنة السادسة من حكم داريوس أعيدت عبادة اليهود حسب ما هو مكتوب في كتاب موسى فلو لم تكن عندهم نسخ من كتب موسى لتعذر عليهم عبادة الله حسب ما هو مدون في الشريعة ومما يدل على انه كان عندهم نسخ من الكتاب المقدس بعد السبي الى بابل هو ان اليهود الذين كانوا في السبي طلبوا من عزرا ان يأتي بسفر شريعة موسى فاتى

بها وقرأ فيها من الصباح الى نصف النهار امام الرجال والنساء كما هو مذكور في سفر نحميا ٨ : ١ — ٦ فلو لم تكن موجودة لما تيسر ان يقرأ فيها من الصباح الى الظهر وفي عهد هوشيا ملك اسرائيل في سنة ٦٧٨ قبل المسيح رجع احد الكهنة الذين كانوا في سبي بابل الى السامرة ليعلم اهلها شريعة موسى وفي عهد يهوشافاط ملك يهوذا سنة ٩١٢ قبل المسيح امر هذا الملك الصالح بالاهتمام الزائد بحفظ السنن والفرائض المدونة في الشريعة (ثالثاً) لا يخفى انه لما مات الملك سليمان انقسمت المملكة الى قسمين فانه شذت عشرة اسباط من اسباط بني اسرائيل واستقلوا عن سبطي يهوذا وبنيامين ومع ذلك فحافظت العشرة اسباط على التوراة وتسمى نسختهم بالتوراة السامرية وهي محفوظة لغاية عصرنا هذا وهي مثل التوراة التي عند سبطي يهوذا وبنيامين فلو ضاعت او تغيرت كما ادعى المعترض لوجد فيها اختلاف فعدم وجود اختلاف بينهما مع شدة العداوة بين الفريقين من اعظم الادلة على انتشارها وبقائها على اصلها (رابعاً) في سنة ٢٨٦ قبل المسيح امر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر بترجمة التوراة الى اللغة اليونانية فاحضر اثنين وسبعين من علماء اليهود فترجموها فانه لما انتشر اليهود في انحاء الدنيا قضت الضرورة الى ترجمتها الى اللغة اليونانية فكان يتعذر تغييرها وتبديلها بعد انتشارها وترجمتها (خامساً) ان عزرا النبي جمع الاسفار المقدسة قاطبة في مجلد واحد بمساعدة اعضاء مجلس اليهود وكان من اعضائه الانبياء حجي وزكريا وملاخي فجمع هؤلاء الانبياء الكرام الكتب المقدسة ما عدا سفر عزرا وسفر نحميا ونبوة ملاخي فان شمعون الورع الذي كان آخر اعضاء المجمع اليهودي ضمها الى الكتاب المقدس فليخبرنا المعترض هل صادف قرآنه من العناية والاهتمام والحفظ مثل ما صادف الكتاب المقدس فاذا جرد نفسه عن

الهوى أجاب بالسلب فان كتابه كان مبدداً مشتتاً وكابدوا في جمعه المشاق التي لا تطاق وزادوا وحذفوا كما سنذكره في آخر هذا الباب

قال صاحب كتاب اظهار الحق ان انطوخيوس ايفانوس ازال الكتاب المقدس لما خرب الهيكل قلنا اجمع المحققون على بطلان ذلك فالتاريخ ناطق بان يهوذا المكابي قام وهزم جيوش ذلك العاتي فاعاد الديانة اليهودية الى رونقها وبهائها وبنى الهيكل واعاد التابوت ووضع الكتب المقدسة فيه

« فهذا هو تاريخ الكتب المقدسة من وقت نزولها على الانبياء لغاية مجيء المسيح اما تاريخها من عصر المسيح الى عصر القراءة المأثورة فهو ان اليهود تشتتوا وكانت اللغة المتداولة وقتئذٍ يونانية فاستعملوا النسخة السبعينية في انحاء المملكة اليونانية ولما اتى المسيح لهُ المجد الى عالمنا هذا كان يحثهم على مطالعتها والتحرّي في معانيها والنظر في مبانيها ومع انهُ كان يوبخهم على غلاظة عقولهم الاّ انهُ لم يدعِ عليهم بتبديل كتبهم بل كان يوبخهم على تمسكهم بالقشور والاعراض والاقتصار على الاشياء الخارجية وعدم المبالاة بالامور الجوهرية فقال لهم فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حيوةً أبدية وهي التي تشهد لي يو ٥ : ٣٩ وقال ايضاً ضللتم اذ لا تعرفون الكتب مت ٢٢ : ٢٩ وكثيراً ما استشهد بها في اقواله يو ١٠ : ٣٥ وهو الذي قال لا بد ان تتم هذه الكتب مت ٢٦ : ٥٤ والرسول بولس قال انها وحي إلهي (٢ تي ٣ : ١٦) وانها اقوال الله رو ٣ : ٢ وكلمة الله رو ٩ : ٦ وكان اليهود والمسيحيون منكبين على مطالعتها بالتدقيق فلو كانت مغيرة او مبدلة او محرفة لما كان المسيح لهُ المجد يحث على مطالعتها ولما كان يستشهد بها الحواريون انصار الله في خطاباتهم وكتاباتهم »

اما تاريخ التوراة من عصر القراءات المأثورة لغاية تاريخ الطبع فهو انهُ لما

خرب الرومان اورشليم وتبدد شمل اليهود في انحاء المملكة العثمانية وجه بعض اليهود الذين في الشرق انظارهم الى التحلي بحلية الادب وانضوا في ركابه الطلب وفتحوا مدارس مهمة لمطالعة الكتب المقدسة ومن أجلّ هذه المدارس مدرسة طبرية في فلسطين وقال جيروم انها كانت موجودة في القرن الخامس فأفرغوا عقولهم في التمكن من نحو الكتب المقدسة وتبحروا في التحقيق والتدقيق وبالغوا في حفظها حتى عدد حروفها فقالوا وردت في التوراة العبرية الالف نحو ٤٢٣٧٧ والبت وهي الباء نحو ٣٨٢١٨ والجمل وهي الجيم ٢٩٥٣٧ والدالث ٣٢٥٣٠ والهاء نحو ٤٧٥٥٤ والفو ٧٦٩٢٢ والزين ٢٢٨٦٧ والشيث ٢٣٤٤٧ والتاث ١١٠٥٢ واليود ٦٦٤٢٠ والكاف ٤٨٢٥٣ واللامد ٤١٥١٧ الخ وهذا ليس بغريب على هذه الأمة التي تتعبد بتلاوة التوراة

✵ الفصل الرابع ✵

(في الكلام على خمسة أسفار موسى)

« قال الامر الثاني جمهور اهل الكتاب يقولون أن السفر الاوّل والثاني من اخبار الايام صنفها عزرا عليهِ السلام باعانة حجي وزكريّا الرسولين عليهما السلام فهذان الكتابان في الحقيقة من تصنيف هؤلاء الانبياء الثلاثة ثم ادعى بوجود تناقض في ص ٧ و ٨ من سفر الايام الاوّل في اولاد بنيامين بان خالفوا التوراة في الاسماء والثاني في العدد فانه يفهم من الاصحاح السابع ان ابناء بنيامين ثلاثة ويفهم من ص ٨ انهم خمسة ومن التوراة انهم عشرة وادعي ان اهل الكتاب قالوا ان ما وقع في السفر الاوّل غلط انتهى كلامهُ »

قلنا ان مجرّد الدعوى لا ينفع وها نورد جميع العبارات التي ادعى انها متناقضة فنقول ورد في سفر التكوين ٤٦ : ٢١ ما نصه وبنو بنيامين بالع وباكر واشبيل وجيرا ونعمان وايحي وروش ومفيم وحفيم وآرد وهاك العبارة الواردة

في سفر الايام الاوّل ٧ : ٦ لبنيامين بالع وباكر وبديعيئل. ثلاثة وفي عدد ٧ ما نصهُ وبنو بالع اصبون وعزّي وعزيئيل ويريموث وعيري. خمسة ثم قال انهم جبابرة بأس وبلغ عددهم ٢٢٠٣٤ وانهُ بلغ عدد بني باكر ٢٠٢٠٠ جبابرة بأس وبنو يدعيل ١٧٢٠٠ وذكر في الاصحاح الثامن الرؤساء منهم فاذا تأمل المنصف لا يجد ادنى تناقض في هذه العبارات فغاية موسى ان يذكر اولاد بنيامين فقط وغاية النبي من الاصحاح السابع من سفر الايام ان يوضح كيف تناسل بعضهم وتكاثروا وصار منهم رجال اشداء في الحرب واذا توهم المعترض ان قولهُ ثلاثة بعد ان ذكر ثلاثة من اولاد بنيامين هو الحصر كان توهمهُ في غير محلهِ فان النبي ذكر اسماء ثلاثة من بنيهِ واوضح انهم ثلاثة ثم اوضح كثرة عددهم فاقتصارهُ على ثلاثة لنكتة وهي بركة المولى عليهم حتى نموا وكثروا وتأكيدهُ بلفظ ثلاثة هو المعهود في كل لغة وهو كقوله ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فاعاد ذكر العشرة للتاكيد ونحو قوله لا تتخذوا إلهين اثنين للتثنية فلفظة اثنين هي صفة تؤكده ومن ذلك قولهُ فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وقولهُ فاذا نفخ في الصورِ نفخة واحدة وغير ذلك ومن تتبع سفر الايام رأى اغلب اسماء اولاد بنيامين مذكورة فيهِ وعليهِ لا يوجد ادنى تناقض فقولهُ ان علماء اهل الكتاب قالوا ان التوراة هي غلط ليس في محلهِ ثم قال انها مجموع قصص وروايات قلنا ان محمدًا اتخذ هذه القصص والروايات في كتابه وادعى انها تنزيل الحكيم فاخذ خلق العالم وسقوط آدم وحواء وحصول الطوفان ونجاة نوح وبناء الفلك وقصة ابراهيم واضافته للملائكة وتبشيرهم لهُ بولادة اسحق وقصة لوط وتخريب سدوم وعمورة وقصة يعقوب ويوسف وبيعه ومراودة المرأة لهُ وقصة موسى حتى قال العلماء المسلمون ان القرآن كلهُ موسى واستغربوا عدم وجود سورة باسمهِ واقتبس القرآن

ايضاً من التوراة معجزاته واعجازه سحرة المصريين وصعوده الى جبل سينا ونزول الشريعة عليهِ ورؤْيته للمولى عزَّ وجلَّ وعمل بني اسرائيل العجل وتفضيل الله لبني اسرائيل وقصة داود وسليمان و يونان فلا عجب اذا قال عن القرآن (وانهُ لفي زُبر الاوَّلين) ٢٦ : ١٩٦ وذكر هذه القصص مقطعة مشتتة مبددة ففي كل سورة ترى جملة او جملتين بخلاف التوراة فانها مذكورة بالترتيب العجيب و بساطة الصدق وسبب تشتيت هذه القصص في القرآن انهُ كان يلتقط من افواه بعض اليهود والمسيحيين شطرًا منها وبعد مضي مدة كان يلتقط من افواه البعض الآخر شطرًا فلا عجب اذا جاءَت مقتضبة و بعضها ناقص والبعض الآخر ملآن من الحشو والحاصل انهُ اذا جرّد القرآن من هذه القصص المذكورة في التوراة لما بقي فيهِ شيء لايقرأ ولا يذكر فاذا كانت التوراة مجرَّد قصص وروايات فلماذا اقتبسها القرآن وادعى انها نزلت عليهِ

(قال الامر الثالث) يوجد تناقض بين نبوَّات حزقيال ص ٤٥ و ٤٦ و بين سفر العدد ص ٢٨ و ٢٩ وغايتهُ من ذلك ان يقول ببطلان التوراة (قلنا) لما كان حزقيال مع بني اسرائيل في سبي بابل ذكر لهم الهيكل والفرائض المقدسة ليؤَكد لهم انهُ سيعيدهم المولى سبحانهُ وتعالى الى وطنهم وتشويقاً لهم الى تلك الاوقات السعيدة وثانياً ان عبارتهِ نبوية يشير بها الى امجاد ملكوت المسيح انظر ١ كو ٣ : ١٦ و ٢ كو ٦ : ١٦ وافس ٢ : ٢٠ — ٢٢ و١تيمو ٣ : ١٥ وقد استعمل الرسول هذهِ الاستعارة في ٢ تسا ٢ : ٤ وكذلك يوحنا الرسول في رؤ ١١ : ١٩ و ١٤ : ١٧ و ١٥ : ٥ و ٨ بل استعمل عبارات حزقيال انظر رؤ ٤ : ٢ و ٣ و ٦ الى آخر فالنبي حزقيال اطلق الهيكل على كنيسة المسيح وعلى كل حال فلا يوجد ادنى تناقض بين اقوالهِ و بين سفر العدد فان حزقيال لم

يأتِ بشريعة جديدة ولم يأتِ بما ينافي شريعة موسى· قال ورد في التوراة ان الابناء يؤخذون بذنوب الاباء مع انهُ ورد في سفر حزقيال ان النفس التي تخطيء موتاً تموت والابن لا يحمل اثم الاب وهو صوابه فانهُ وقع في التنزيل ولا تزر وازرة وزر أُخرى قلنا قد تقدم الكلام على ذلك بما فيهِ الكفاية وتقدم الكلام على قول القرآن واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وتقدم قول محمد يا داود انا الله الودود انا الله ذو بكة آخذ الابناء بما فعلتهُ الجدود الى غير ذلك انظر الفصل السادس من الباب الاوّل

(قال الامر الرابع) انهُ لو كانت التوراة نزلت على موسى لعبر عن نفسهِ بصيغة التكلم ولما كان يعبر عن نفسهِ بصيغة الغائب قلنا انهُ كان يعبر تارةً عن نفسهِ بصيغة المتكلم وأُخرى بصيغة الغائب فورد في سفر التثنية ص ٣١ : ٩ ما نصهُ وكتب موسى هذهِ التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل وحضهم على تعليم اولادهم اياها وقال في سفر التثنية ص ٣٢ وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التي انا اشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها اولادكم ليحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذهِ التوراة لانها هي حياتكم وهذا هو الالتفات وهو ان ينتقل الانسان من التكلم الى الغيبة او العكس بل ان مقتضى هذهِ القاعدة التي وضعها المعترض ان السور التي ذكر فيها محمد بصيغة الغائب ليست من القرآن فورد في سورة آل عمران ٣ : ١٣٨ وما محمد الاَّ رسول قد خلت من قبلهِ الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وفي سورة الاحزاب ٣٣ : ٤٠ قوله ما كان محمد ابا احد الخ وورد مثل ذلك في سورة الفتح وغيرها وكثيرًا ما يستعمل المؤلفون في الازمنة القديمة والمتأخرة صيغة الغائب في تأليفهم ولم يقل احد انهم لم يؤلفوا الكتب المنسوبة اليهم

لاستعمالهم هذه الصيغة مثاله كتب زنوفن وقيصر و يوسيفوس

(الامر الخامس) قال ان بعض الفقرات تدل دلالة بيّنة على ان مؤلف هذا الكتاب لا يمكن ان يكون قبل داود بل يكون اما معاصرًا لهُ او بعده انتهى كلامهُ قلنا لا يعقل ولا يتصوّر ان المولى سبحانهُ وتعالى انزل الشريعة على موسى ولم تدون الاّ بعد وفاته بخمسمائة سنة وكيف تكلف الامة الاسرائيلية بحفظ شريعة الله اذا لم تكن مدونة وكيف يأمرهم موسى بان يكتبوها على قلوبهم ويحفظوها ويقيموا سننها وفرائضها ويعلموها لاولادهم ومن الحقائق التاريخية المقرَّرة ان اليهود اعلنوا من عصر الى آخر بان موسى سلمهم الشريعة لاقامة احكامها فاذا كان لا يجوز لاحد ان يرمي سكان اثينا الذين كانوا سائرين في المعاملات والاحكام حسب قوانين سولون بخطأ في معتقدهم وكذلك اذا كان لا يجوز ان نرمي احد سكان اسبارتا الذين كانوا جارين حسب قوانين ليكارجوس بالخطأ بدعوى ان هذه القوانين ليست قوانين ذينك الرجلين فكيف يسوغ لنا ان نرمي الامة الاسرائيلية بالخطأ في قولها انها جارية حسب شريعة موسى (ثانيًا) ان داود النبي اشار الى الشريعة في مزاميره مما يدل على تداولها انظر مز ١ و ١٩ وهو يحض في اغلب مزاميره على التمسك بها وكيف يقول سليمان لقومه ان اباءنا حافظوا على الشريعة ٥٠٠ سنة اذا لم تكن موجودة عندهم وكيف يراعون اوامرها اذا لم يكونوا حافظين لها (ثالثًا) ان موسى قبل وفاته قال لهم ها أنا سلمت لكم الشريعة فاحفظوها وعلموها لاولادكم ولما قام يشوع بعد موسى امره الله في الاصحاح ١ و ٧ و ٨ بان يحفظ الشريعة فقال لهُ كن متشددًا وتشجع لكي تحفظ العمل حسب كل الشريعة التي امرك بها موسى لا تمل عنها يمينًا ولا شمالًا لكي تفلح حيثما تذهب لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهارًا

وليلاً لكي تحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه لانك حينئذٍ تصلح طريقك وتفلح الى آخر عبارات الوحي الالهي ويشوع بن نون خليفة موسى حض بني اسرائيل في اصحاح ٢٣ : ٦ بان يحافظوا على شريعة موسى ويقيموا احكامها فهل يتصوّر ان يأمرهم بحفظ شريعة ستكتب وتدوّن بعد ٥٠٠ سنة وربما كان هذا ممكناً عند صاحب كتاب اظهار الحق

(الامر السادس) قال نقل صاحب خلاصة سيف المسلمين من (بني انسكلو بيديا) من المجلد العاشر ان الدكتور اسكندر كيدس الذي هو من فضلاء المسيحية قال في ديباجة البايبل الجديد ثلاثة الامور (١) ان التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى (٢) انهُ كتب في كنعان او اورشليم (٣) ونسب تأليفه الى زمن سليمان يعني قبل ميلاد المسيح بألف سنة اي في عصر هومد تقريباً بعد وفاة موسى بخمسمائة سنة انتهى كلامهُ

قد راجعنا الجزء العاشر من (بني انسكلو بيديا) في الكلام على سفر الخروج فقال ان اسكندر كيدس هو من كبار الكفرة الالمانيين وماذا تقول في رجل يدعي على كليم الله بانهُ اخذ شريعته من المصريين غاية الامر انهُ نقحها كأن الديانة اليهودية هي اصنامية ولهُ كفريات غير ما ذكر فهذا هو حال الشخص الذي قال انهُ من الفضلاء المسيحيين وماذا يقول المسلمون اهل السنة اذا اوردنا اعتراضات بعض المعتزلة أو الشيعة على كتابهم كإعتراضات أصحاب جعفر الذين يندددون على عثمان بانهُ رفع عمدًا من القرآن جميع الآيات الواردة بشأن علي وفضله واحرق النسخ القديمة وماذا يقول المعترض اذا اوردنا مذهب الغرابية الذين قالوا محمد بعلي أشبه من الغراب بالغراب والذباب بالذباب فبعث الله جبريل الى علي فغلط جبريل في تبليغ الرسالة من علي الى محمد قال شاعرهم (غلط الامين فجازها عن حيدره) وماذا يقول اذا اوردنا لهُ اقوال المزدارية وهو راهب المعتزلة الذي قال في القرآن ان الناس قادرون على مثل القرآن

فصاحةً ونظماً وبلاغةً وبالغ في القول بخلق القرآن وكفّر من قال بقدمه فايراده لاعتراضات الكفرة وادعاؤه بانهم من افاضل المسيحيين من المغالطة وتقدم الرّد عليهم في الامر الخامس

(الامر السابع) ادعى المعترض ان الفاضل نورتن من العلماء المسيحية قال لا يوجد فرق يعتد بهِ في لغة التوراة وفي لغة سائر كتب العهد القديم التي كتبت في الزمن الذي اطلق فيهِ بنو اسرائيل من سبي بابل مع انه بين هذين الزمانين ٩٠٠ سنة واللغة تختلف باختلاف الزمان واذا قسنا حال اللغة الانكليزية الآن بما كانت عليهِ منذ ٤٠٠ سنة وجدنا فرقاً فاحشاً ولعدم وجود فرق بين لغات الكتب المقدسة قال اليوسلن ان هذه الكتب كتبت في زمن واحد »

قلنا جرت عادة صاحب اظهار الحق ان يورد اقوال الكفرة والجهلة وينسب اليهم التقوى والعالمية لمآربهِ وغاياته ومن هذا القبيل كلامه عن نورتن وغيره وقد قرّر العلماء الذين لهم إلمام تام باللغة العبرية بان اللغة تنقسم الى اربعة اقسام القسم الاوّل من ابراهيم الى موسى فان اللغة الارامية تغيرت بدخول الفاظ مصرية وعربية (٢) من عصر موسى او عصر التوراة الى عصر سليمان فبلغت اللغة في هذه المدة غاية الاتقان (٣) من سليمان الى عزرا ومع انها زادت رشاقة ولطافة الاّ انهُ دخلت فيها اصطلاحات غريبة (٤) من عزرا الى آخر عصر المكابيين فكانت لغة التوراة متفاوتة باختلاف هذه الاعصر ولما قارن العلماء المتضلعون من اللغة العبرية بين اجزاء التوراة وبين بعضها وجدوا تفاوتاً وتبايناً في اساليب التأليف فجزموا بان بعضها كتب في عصر اللغة الذهبي وبعضها الآخر كتب في عصرها الفضي والآخر في عصرها النحاسي والآخر في عصرها الحديدي وهذا من اقوى الادلة على انها نزلت في ازمنة متنوعة واذا إطلع احد العلماء المتضلعين من اللغة اليونانية على قصائد هوميرس جزم بانها لم

تكتب في عصر ديموستينوس واذا اطلع على خطب ديموستينوس جزم بانهـا كتبت في عصر اورجينوس الخ ولهذا السبب عينه جزم العلماء بان خمسة اسفار موسى لم تكتب في زمن داود ولا مزامير داود النبي كتبت في زمن اشعيا ولا نبوءات اشعيا كتبت في زمن ملاخي وجزم بان نبوءات ملاخي نزلت بعد سبي بابل فان اللغة العبرية بعد السبي انحطت وانطمست معالمها واندرست وكانت مؤلفات اليهود بعد ذلك العصر كلدية او يونانية وعجز اليهود قبل مجيء الفادي الكريم عن فهم اللغة العبرية بدون تفسيرها باللغة الكلدية هذا هو القول الصحيح وهذا هو كلام العلماء العارفين قال

(الامر الثامن) قال ورد في ص ٢٧ من سفر التثنية ان موسى امر بني اسرائيل باقامة حجارة كبيرة وتشييدها بالشيد وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس حين تعبر لكي تدخل الارض التي يعطيك الرب الملك ارضاً تفيض لبناً وعسلاً كما قال لك الرب اله آبائك حين تعبرون الاردن تقيمون هذه الحجارة التي انا اوصيكم بها اليوم في جبل عيبال وتكلسها بالكلس فاستبعد كتابة التوراة على الحجارة

قلنا غاية موسى ان ينقشوا الاقوال الاخيرة التي اوصاهم بها الرب على الحجارة لكي تكون نصب اعينهم وتبقى ثابتة على انه اذا قلنا انه طلب نقش جميع التوراة لما كان ذلك بامر كبير على امة عزيزة قوية والمعترض يعرف ان ذلك احسن براحل شاسعة من القرآن فانه كان مبدداً في العسب (اي جريد النخل) واللخاف (وهي دقاق الحصى) والرقاع (وتكون من جلد او رق) والكتاف (وهو العظم الذي للبعير) والاقتاب (وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه) وشتان بين التوراة وبين القرآن في الاعتناء والاهتمام فموسى امر بني اسرائيل بكتابة كلمات التوراة على حجارة كبيرة للمحافظة عليها ولتكون معروفة عند الخاص والعام انظر الى قوله في التثنية ٣٢ : ٤٦ و ٤٧

وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التي انا اشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها اولادكم ليحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة لانها ليست امرًا باطلاً عليكم بل هي حياتكم وبهذا الامر تطيلون الايام على الارض التي انتم عابرون الاردن اليها لتمتلكوها فتأمل في هذه الاقوال فالتوراة حياتهم وقد كانت الامم في الازمنة القديمة ينقشون على الحجارة الشيء الذي يحرصون عليهِ لتخليده فكان المصريون يشيدون البرابي و يرسمون عليها عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم وصنائعهم و ينشئون المسلات و ينقشون عليها الحوادث المهمة وقد مضت عليها الالوف من السنين وهي باقية لغاية يوم تاريخه فهم احكم من صاحب القرآن الذي كتب قرآنه على جريد النخل والعظام مما هو قابل للضياع · وكان انبياء بني اسرائيل يقيمون الحجارة تثبيتًا للعهد فيشوع النبي اوصى بني اسرائيل بحفظ شريعة الرَّب وقطع عهدًا معهم واخذ حجرًا كبيرًا ونصبهُ هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرَّب ثم قال يشوع لجميع الشعب ان هذا الحجر يكون شاهدًا علينا لانهُ قد سمع كل كلام الرَّب الذي كلمنا بهِ فيكون شاهدًا عليكم لئلاَّ تجحدوا الهكم وفي سفر (تك ٣١ : ٤٥) اتخذ يعقوب حجرًا ليكون شاهدًا فكانت العادة اقامة النصب للشهادة وتثبيت العهد وهو يؤيد ما قلناهُ من ان الامة اليهودية كانت احرص الناس على حفظ التوراة

(الامر التاسع) قال القسيس نورتن لم يكن رسم الكتابة معروفًا في عهد موسى وقال المعترض اذا لم يكن رسم الكتابة في ذلك العهد فلا يكون موسى كاتبًا لهذه الكتب الخمسة (قلنا) بما ان اقوالنا مبنية على اليقين وليست على الرجم والتخمين فنخبرهُ ان الموسيو (جر يبو) قال في رسالته التي حرَّرها على رسالة الموسيو (شومبوليون) الشهير الذي فكَّ القلم الفرعوني المصري القديم بان موسى

النبي كان يكتب على الرّق بل يوجد في دار التحف في تورين رق مكتوب بالقلم المصري يشتمل على وثيقة محرَّرة في عهد توتموزيس الثالث الذي كان قبل موسى بقرنين اقل ما يكون وفي دار التحف الانكليزي رسالة على الرّق حرَّرها احد كهنة المصريين واسمه (احميس) وهي صورة رسالة تاريخها ٣٤٠٠ سنة قبل المسيح وعنوانها حل المشكلات وهي مجموع مسائل حسابية وهندسية بالكسور والدوائر واقيسة الهرم وبعض مثلثات واشارات جبرية اشار فيها الى الكمية المجهولة بكومة والجمع برجلين اثنين متقدمين الى الامام والطرح برجلين اثنين الى الوراء وهذه الرسالة التي بخط اليد تلقب برسالة (رند) وفي سنة ١٨٨٨ اكتشف في العمارنة في دير ابي مواس في مصر اكثر من ثلثمائة قالب طوب مكتوب عليها بالقلم المخروطي ونقلوا اكثرها الى برلين واخذ البعض الآخر الى لندره وتاريخها قبل موسى بنحو ١٥٠ سنة وقد طبعت صور هذه القوالب في اعظم مطابع اوروبا واطلعنا عليها فهذه الادلة تدل على ان الكتابة كانت معروفة عند المصريين قبل سيدنا موسى باجيال عديدة والكتاب يشهد بان موسى تهذب في مدارس مصر الكبرى وتعلم حكمة المصريين وكان لهُ نفوذ عظيم بينهم وقال المؤرخ يوسيفوس لما كان عمرهُ اربعين سنة ترأَّس على تجريدة الى بلاد الحبش واستولى على مدينة سبا فلا يتصوَّر ان موسى كان يجهل الكتابة واذا ثبت انهُ كان يعرفها يثبت انهُ هو الذي كتب التوراة ودأْب المعترض ان يأتي باقوال بعض ضعاف العقول المبنية على الوهم لا على اليقين وغض الطرف عن اقوال العلماء المؤيدة بالاكتشافات التي لا ريب فيها

(الامر العاشر) قال وقع فيهِ الاغلاط وكلام موسى ارفع من ان يكون كذلك فورد في سفر تك ٤٦ : ١٥ هؤُلاء بنو ليئة الذين ولدتهم ليعقوب في

فدان ارام مع دينة ابنته جميع نفوس بنيه وبناته ثلث وثلاثون وادعى ان هذا غلط وقال لو عددنا الاسماء واخذنا دينة كان اربعة وثلاثين قلنا من تأمل في العبارة رأى انهُ لا يوجد ادنى غلط فورد في (آية ٨) ما نصهُ بالحرف الواحد (وهذه اسماء بني اسرائيل الذين جاءوا الى مصر يعقوب وبنوهُ) ثم ذكر اسماءهم ولكنهُ قال في آية ١٢ ما نصهُ (واما عيرُ واونان فماتا في ارض كنعان) وعليهِ فلم يأتيا الى مصر فيكون الذين اتوا الى مصر ٣٢ اولاد وبنات يعقوب فاذا اضفنا اليهم يعقوب لانهُ كان من الذين اتوا الى مصر (حسب الآية ٨) كان عددهم ثلاثة وثلاثين نفساً وادعى ان المفسر هارسلي قال انهُ يوجد غلط وان هذا المفسر هو من العلماء فبئس هذا العالم الذي لا يعرف الامور البديهية التي لا تحتاج الى فكر ولا الى نظر وقولهُ جميع بنيهِ وبناته ٣٣ اي مع درج يعقوب معهم ايضاً وهو من الاكتفاء مثل قوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد .

قال ومثل ذلك ما ورد في تث ٢٣ : ٢ بان من كان ولد زانية لا يدخل جماعة الرَّب وان هذا غلط والاَّ يلزم ان لا يدخل داود ولا اباؤه الى فارص بن يهوذا في جماعة الرَّب لان فارص من اولاد الزنا كما هو في تك ٣٨ وداود البطن العاشر كما يعلم من نسب المسيح المذكور من لوقا) قلنا قد تقدم ان ما ورد في سفر التثنية هو عن الأمم العمونيين والموابيين الذين كانوا يستبيحون الزنا فلا يجوز ان يقفوا امام جماعة الرَّب الاَّ بعد مضي مدة مديدة لينسوا عاداتهم الذميمة لئلاَّ يفسدوا شعب الله لان العادة طبيعة خامسة وعليه فلا يصدق هذا الكلام على داود ولا شعب الله وتقدم ان الزنا عند محمد وقرآنه اخف من الشرك بالله وان ابوَي محمد وعمهُ كانوا مشركين وانهم في النار ولما استشفع لهم زجرهُ المولى فأبكاهُ وقلنا ايضاً لا يجوز ان يقف المصر على

خطاياهُ امام الله اما من تاب وندم فتقبل توبته انظر ما تقدم ففيهِ الكفاية والهداية

واعترض على عدد بني اسرائيل فقال ورد في سفر الخروج ١٢ : ٣٧ ان عدد بني اسرائيل كان ستمائة الف وبما انه خلط فننقل العبارة من الاصل ونص العبارة هو فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت ستمائة الف ماشٍ من الرجال عدا الاولاد وصعد معهم لفيف كثير ايضاً مع غنم وبقر ومواشٍ وافرة جداً وورد في آية ٤١ انه لما كانت مدة اقامتهم ٤٣٠ سنة هذه هي نص عبارة التوراة اما المعترض فقال لا بد انهم كانوا مليونين ونصف وان ذلك غير صحيح لان عددهم لما كانوا في مصر ٧٠ نفراً وان مدة اقامتهم ٢٥٠ سنة وان المصريين كانوا يقتلون ابناءهم قبل خروجهم بثمانين سنة ويستحيون بناتهم وانه اذا كان يتضاعف عددهم في كل ٢٥ سنة كان عددهم ٣٦ الف

قلنا اجمع علماء الاسلام على ان عدد بني اسرائيل الذين خرجوا من مصر هو ستمائة الف فورد في مروج الذهب ما نصهُ بالحرف الواحد وامر الله موسى بالخروج ببني اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة الف بالغ دون من ليس ببالغ وورد في الجزء الاوَّل من تاريخ ابن الاثير ما نصهُ بالحرف الواحد وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة الف وعشرين الفاً الى ان قال وضرب موسى البحر بعصاهُ فانفلق فكان من كل فرق كالطود وصار فيهِ اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق الخ وقس على ذلك اقوال جُل بل كل المؤرخين الاسلام بل اقوال المفسرين قال الخازن في الجزء الاوَّل صحيفة ٥٨ وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفاً لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انساناً

ما بين رجل وامرأة انتهى بنصه · ويظهر في اوّل الامر ان هذا العدد جسيم ولكن اذا نظرنا الى الخدم وغيرهم الذين رافقوا يعقوب مع اولاده الى مصر لا نستغرب ذلك فذكر في التوراة الشريفة انهُ كان عند ابراهيم ثلثمائة وثمانية عشر من غلمانه المتمرنين ولدان بيته وانقذ ابن أخيهِ لوطًا تك ١٤ : ١٤ فكان بيتهُ يشتمل على الف شخص رجالاً ونساءً واولادًا اقل ما يكون ولم ينقص يعقوب ولا اسحق هذا العدد بل لا بد انهما زادا عليهِ ودليل آخر وهو انهُ ورد في تك ٣٤ : ٢٥ ان شمعون ولاوي اهلكا بخدامهما مدينة ودليل آخر وهو انهُ اذا امكن ليعقوب اعادة اراضي من الأموريين بسيفهِ وقوسهِ (تك ٤٨ : ٢٢) واذا امكن لافرام ان يحارب جت (١ ايام ٧ : ٢٠ و ٢١) لا بد انهُ كان عند أولئك الاباء خدم كثير لانهم لا يقدرون ان يفعلوا ما فعلوهُ بواسطة اولادهم فقط واذ تقرّر ذلك فلا عجب اذا بلغ عددهم مليونين او ثلاثة ملايين بل كان هو المعقول وورد في التوراة انهُ صعد معهم لفيف كثير ايضاً وقال الرسول بولس ليس الكل اسرائيليين الذين كانوا من اسرائيل يعني كان معدودًا من اسرائيل من لم يكن من ذرّيته وقد استكثر ابن خلدون هذا العدد وقال لا تسعهم الارض وهو يدل على عدم سعة اطلاعهِ بالتاريخ فقال رولين بناءً على ما ذكرهُ هيرودتس واسكوراتس وبلوتارك بانهُ لما انتشبت الحرب بين زركس وبين اليونان كان عدد جيش زركس نحو مليون وسبعمائة الف مشاة وثمانين الف خيالة وعشرين الف سائق عربات وجمال ولما عبر الهلسبونت انضم اليهِ ثلثمائة الف نفر من أمم شتى فبلغ عدد جيشه مليونين ومائة الف نفر وكانت دونمتهُ تشتمل على ١٢٠٧ مركب في كل مركب ٢٣٠ نفرًا فبلغ مجموع عددهم ١٧٧٦١٠ رجلاً والحقت بهِ الدول الاوروباوية ١٢٠٠ مركب فيها ٢٤٠ الف نفر وكان

معهُ زيادة على ما تقدم ثلاثة الآف مركب فيها ٢٤٠ الف نفر واذا نظرنا الى الخدم والطواشي والنساء والاولاد الذين ساروا في حملة زركس الى اليونان بلغ عددهم خمسة ملايين و ٢٨٣٢٢٠ نفراً وقد انهزم هذا الجيش وفني معظمهُ والتاريخ ملآن بما يشبه هذا وانت تعلم انهُ لما انتشبت الحرب بين المانيا وفرنسا كان في ميدان القتال نحو مليون نفر اقل ما يكون فابن خلدون معذور إذا لم يقدر ان يتصوَّر مثل هذه المقادير لضيق دائرة معلوماته فقول سيدنا موسى وقول جميع المؤرخين والمفسرين المسلمين انهُ كان عدد الرجال الذين خرجوا من مصر المقتدرين على حمل السلاح هو ٦٠٠ الف نفر هو المعقول واذا تيسر لجيش يبلغ نحو ستة ملايين يقطع بوغاز الهلسبونت فكيف لا يتيسر لبني اسرائيل ان يخرجوا من ارض مصر تحت قيادة موسى كليم الله وهو تعالى كان يسير امامهم في الليل وفي النهار وانزل عليهم المنَّ والسلوى بشهادة القرآن

ومما يدل على كثرة عدد بني اسرائيل قوله تعالى في سفر الخروج ١ : ٩ قال فرعون لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر واعظم منا بل لو لم يكونوا كثيري العدد لما قدروا ان يبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس والكتاب يقول ان المصريين اختشوا منهم ويقول ايضاً انهم خافوا من انضمامهم الى اعدائهم واخذ بلادهم منهم

واعترض على قوله الوارد في سفر التثنية ٧ : ٢٢ ولكن الرّب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلاً قليلاً لا تستطيع ان تفنيهم سريعاً لئلاَّ تكثر عليك وحوش البرّية بناءً على ان عدد بني اسرائيل كان مليونين ونصف قلنا بما انهُ لم تكن الاسلحة النارية معروفة في تلك الازمنة كان يخشى طبعاً من الوحوش المفترسة ولا سيما ان الاراضي كانت متسعة وكان بنو اسرائيل مفرّقين

في انحاء البلاد وحكومة الهند كما لا يخفى على المعترض قرّرت مبلغاً جسيماً تصرفهُ في كل سنة لمن يأْتي برؤُوس الحيوانات الكاسرة كالنمر وغيره في هذا العصر مع انهُ يبلغ عدد سكان الهند نحو ٢٥٠ مليون اقل ما يكون والاسلحة النارية المخترعة حديثاً اشهر من ان تذكر فلا وجه لاعتراضاته مطلقاً

وقد اقام العلماء المحققون ادلة تؤيد صدق الحوادث الكلية والجزئية الواردة في خمسة اسفار موسى واستشهد بعضهم بالآثار المصرية فألف العلامة هنكستنبرج كتاباً سماه مصر وخمسة اسفار موسى فورد في التوراة ان المصريين مرروا حياة العبرانيين بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي وادي حلفا هيكل منهُ وقال روسليني في مصر آثار من اللبن واهرام في داهشور منهُ وورد في سفر التكوين ٤١ : ٤٨ و٤٩ ان يوسف بنى مخازن لخزن الحنطة و يستدل من الاثار على كثرة هذه المخازن ووجد على بعض اسوارها اشارات تدل على مقدار الحنطة التي كانت مخزونة فيها وفي (تك ٤٤ : ٥) ان خادم يوسف كان يتفاءل بالطاس الذي وضع في فم عدل بنيامين فقال يمبليكوس ان التفاؤُل بالطاس كان من خرافات المصريين وورد في تك ٤٧ : ١٣ – ٢٦ ان ارض مصر بيعت لفرعون و يؤيد ذلك ما ورد في (ديودوروس) من ان ارض مصر كانت للملوك او للكهنة او للجند وقال استرابو كان الفلاَّحون المصريون يأْخذون الاراضي من الملوك ويدفعون عليها مبلغاً مقرَّرًا وقال ولكنسن نقلاً عن الاثار ان اصحاب الاراضي كانوا الملوك والكهنة والجند وبالاختصار فجميع الحوادث الجزئية والكلية التي ذكرت في خمسة اسفار موسى ايدوها واثبتوها من الاثار والتواريخ بحيث لا يمكن تأْييد اي كتاب في الدنيا بمثل هذه الادلة الباهرة و يلزم لاستيفاء هذا الموضوع مجلد ضخم ولكن في هذا القدر كفاية لمن أُوتي من الادراك قليلاً

❊ الفصل الخامس ❊

(في كتاب يشوع)

قال اختلفوا في كتاب يوشع فقال بعضهم انهُ نزل على يشوع وقال البعض الآخر انهُ نزل على فينحاس وقال البعض الآخر انهُ نزل على العازار وذهب الآخر الى انهُ نزل على صموئيل النبي وقال غيره انهُ نزل على ارميا مع ان بين يشوع وبين ارميا ٨٥٠ سنة

قلنا ان اليهود الذين هم حفظة الكتب الالهية جازمون بان هذا السفر نزل على يشوع بن نون ويعتبرونهُ كاعتبارهم لتوراة موسى لان المولى سبحانهُ وتعالى اجرى على يديه معجزات باهرة كالتي اجراها على يد موسى ففلق نهر الاردن وقيض لهُ النصر على اعدائه بمعجزات باهرة فاتخذوا كلامه وحياً إلهياً فتعبدوا بتلاوتهِ في مساجدهم ومعابدهم تذكاراً للمراحم الالهية وشكراً للمولى عزَّ وجل على الطائفة الجمة وطلب المعترض ان نبرز له السند المتصل لهذا الكتاب فنقول (١) ان هذا السفر سلم لسبط لاوي حفظة الكتب المقدسة بهذا العنوان ولباقي الاسباط وهم سلموهُ للخلف من جيل الى آخر (٢) ان لغتهُ تدل على قدم عهده فلغته عبرية محضة لم يشبها شيء من اللغة الكلدية فلغة هذا السفر هي مثل لغة كتب موسى وهو يدل على نزولهِ بعد موسى بقليل وبالنتيجة يكون نزل على يشوع بن نون (٣) ان الكتب المقدسة مصدقة لما ورد فيهِ من الحوادث فذكر في مز ٧٨ : ٥٣ — ٥٦ و ٤٤ : ٢ — ٤) افتتاح كنعان وتقسيمها كما ورد في سفر يشوع وكذا ورد في مز ١١٤ : ١ — ٥ وحبقوق ٣ : ٨) انفلاق نهر الاردن كما ورد في سفر يشوع وكذلك ورد في (حبقوق ٣ : ١١ — ١٢) قتل الكنعانيين كالوارد في سفر يشوع (١٠ : ٩ — ١١) وكذلك ورد في سفر القضاة ١٨ : ٣١ اقامة التابوت في شيلو وكذلك ورد في ١ صموئيل (١ : ٣ و ٩ و ١٤ و ٣ : ٢١) وقس على ذلك غيره فكتب الانبياء الصادقين مؤيدة لحوادثهِ (٤) ان قدماء

المؤرخين الوثنيين ايدوا ما ذكر في يشوع من الحوادث المهمة انظر تاريخ يوستين وطاسيتس ويستدل من الاثار القديمة على ان سكان قرطاجنة انشأوا مستعمرة في صور فهربوا من يشوع وكذلك سكان (لبتس) في افريقيا وكانوا اتوا من صيدا ونزحوا عن اوطانهم بسبب ما حلَّ بهم من المصائب فيها واقتبس القدماء قصة يشوع وبنوا عليها خرافة هرقل الفينيقي ولا يخفى انهُ ورد في سفر يشوع ان بني اسرائيل هزموا ملك باشان والعناقيين الذين كانوا جبابرة ذوي بأس فاخذها القدماء وبنوا عليها رواية انهزام الجبابرة وكذلك ذكر في سفر يشوع (١٠ : ١١) بان الرَّب انزل على اعداء بني اسرائيل زوبعة من برَد فحوَّلها شعراء القدماء الى هذه القصة وهي ان جوبيتر اثار على اعداء هرقل زوبعة وانزل عليهم حجارة في اريم وهي البلاد التي كافح فيها يشوع بني عناق والظاهر ان القرآن اخذ هذه القصة ايضاً وحوَّلها الى خرافة فقال وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيلٍ سورة الفيل (١٠٥ : ٣ و ٤) (٥) ان كتاب يشوع هذا يشتمل على ما اظهرهُ الله من المراحم العظمى للأُمة الاسرائيلية مدة ثلاثين سنة تحت حكم يشوع وكيف نصرهمْ على اعدائهم فيشتمل على فتح ارض كنعان وتقسيمها على اسباط بني اسرائيل الاثني عشر واظهار لطف الله وكرمهِ وانجاز مواعيده الصادقة التي وعد بها ابراهيم (تك ١٣ : ١٥) واسحق (٢٦ : ٤) ويعقوب (٣٥ : ١٢) ويوسف (٥٠ : ٢٤) وموسى (خر ٣ : ٨) من انهُ سيعطي بني اسرائيل ارض كنعان ويتضمن حماية الله لشعبه ووقايته لهم من اعدائهم واظهار قوَّتهِ وقدرتهِ وعظمتهِ وان الحرب هي بيده تعالى يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ويمنح من يشاء ويمنع من يشاء والمعترض مسلم حسب ما ورد في سورة البقرة وغيرها ٢ : ١١٦ بان الله فضل الأُمة الاسرائيلية على

العالمين والنعم التي خصهم بها كانقاذه لهم من فرعون وفرق البحر وغرق فرعون وتسخير السحاب لهم ونزول التوراة (٦) سبب اختلاف علماء المسيحيين الذي ذكره المعترض هو ما ورد في ص ١٥ : ٦٣ ونصهُ (واما اليبوسيون الساكنون في اورشليم فلم يقدر بنو اسرائيل على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم الى هذا اليوم) مع ان بني اسرائيل لم يستولوا على اورشليم الاّ بعد وفاة يشوع فان اليبوسيين استمروا على امتلاك حصن يهوذا الى ان طردهم داود (٢صمو ٥ : ٦ — ٨) فاختلف علماء المسيحيين الذين لا يقبلون قضية كلية ولا جزئية الاّ بعد البحث والتدقيق لان الديانة الصحيحة لا تخشى الانتقاد لانها مبنية على اساس راسخ لا يتزعزع فثبت ان بعض الانبياء وضع هذه الآية للشرح وكذا وضع في آخر هذا السفر خبر وفاة يشوع وهم انبياء في طبقة واحدة لا نفرق بين اقوالهم الالهية ما دامت مؤيدة بالمعجزات الباهرة

ولا يخفى على المعترض ان قرآنه نزل على اناس كثيرين فاتخذ محمد اقوالهم ودوَّنها في كتابه وادَّعى انها منزلة من عند الله وقد الف بعض علمائهم كتباً في ذلك ونذكر بعض امثلة منها فنقول بعد حذف الاسانيد قال محمد ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه فاخذ قوله وما نزل بالناس امر قط وجعلها آية في قرآنه وقالوا كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن واخرج البخاري وغيره قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهنَّ البر والفاجر فلو امرتهنَّ ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله نساؤُهُ في الغيرة فقلت لهنَّ عسى ربهُ ان طلقكنَّ ان يبدلهُ ازواجاً خيراً منكنَّ فنزلت كذلك واخرج مسلم عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي اسرى بدر وفي مقام ابراهيم وقال عمر ايضاً وافقت ربي او وافقني ربي في اربع نزلت هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما نزلت قلت انا فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت فتبارك الله احسن الخالقين. ولقي يهودي عمر بن الخطاب فقال ان جبريل الذي يذكره صاحبكم عدوٌّ لنا فقال عمر من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله

عدوٌّ للكافرين فنزلت على لسان عمر وكذلك لما سمع سعد بن معاذ ما قيل في عائشة قال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك . وورد انهُ لما ابطأ على النساء الخبر في أُحُد خرجن يستخبرن فاذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة ما فعل رسول الله قال حي قالت فلا ابالي يتخذ الله من عباده الشهداء فنزل القرآن على ما قالت ويتخذ منكم شهداء ورووا انهُ لما حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أُحُد فقطعت يدهُ اليمنى فاخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول وما محمدٌ الاَّ رسولٌ قد خلت من قبلهِ الرسل. أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ثم قطعت يدهُ اليسرى فحنى على اللواء وضمهُ بعضديهِ الى صدره وهو يقول وما محمدٌ الاَّ رسولٌ يومئذٍ حتى نزلت بعد ذلك فهذا هو حال القرآن

ولكن كتبنا المقدسة منزهة عن هذه التلفيقات التي تشين فلم يكتب فيها الاَّ الكلام الوحي الالهي ومع ان الآيتين الواردتين في كتاب يشوع لا تختص باعتقادات ولا بأحكام ولا غيرها غاية الامر انها شرح حال بني اسرائيل وخبر وفاة يشوع الاَّ انهُ لم يدونها سوى نبي بوحي إلهي ولكن ما بالك بالاحكام والمعاملات التي كانت تنزل على رجال ونساء ثم يأخذها نبي المعترض في كتابه ويدعي لها الوحي فالفرق بين الأمرين جسيم وعلى المطالع التأمل والحكم بالانصاف

قال ورد في يشوع ص١٣ : ٢٤ واعطى موسى لسبط جاد بني جاد حسب عشائرهم فكان تخمهم يعزير وكل مدن جلعاد ونصف ارض بني عمون الى عروعير التي هي امام ربة فادعى ان هذا الكلام مناف لما ورد في سفر التثنية ص٢: ١٩ وهو فمتى قربت الى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم لاني لا أعطيك من ارض بني عمون ميراثاً لاني لبني لوط قد اعطيتها ميراثاً

قلنا ان بني اسرائيل لم يمسوا ارض بني عمون في عهد موسى لان هذه الارض كانت في يدهم وهم المستولون عليها بانفسهم ولكن لما اخذ الاموريون جانباً عظيماً منها حارب بنو اسرائيل الاموريين واخذوا منهم ارض

بني عمون فيشوع اشار الى هذه الارض بعد ان اخذها منهم الامور يون وعبارة موسى تشير الى ما كانت عليهِ قبل اخذها والدليل على ذلك ما ورد في سفر القضاة (ص ١١ : ١٢ ـ ٢٨) من ان بني اسرائيل حاربوا الامور يين واخذوا منهم ارض بني عمون وفحوى القول انهُ لم يتعدَّ بنو اسرائيل على بني عمون ولا على ارضهم بل اخذوا بلادهم من الامور يين لعجزهم عن المحافظة عليها فلا يوجد ادنى تناقض بين القولين فبنو اسرائيل حافظوا على امر موسى ولم يتعدوا نهيهُ ولكنهم اخذوا تلك الاراضي من الامور يين اما يشوع فتكلم على الحالة التي كانت موجودة في عصرهِ ولو خرج احدهما عن ذلك لعد خروجاً عن الواقع ونفس الامر وقد اعاد المعترض هذا الاعتراض في الباب الثاني فان دأبهُ التكرار الممل بدون ثمرة .

قال المعترض ويستدل من ص ١٠ : ١٣ ان كاتبهُ ينقل بعض الحالات عن كتاب اختلفت التراجم فيه قلنا انهُ اشار الى كتاب ياشر مرة واحدة ومثلها في سفر صموئيل النبي ٢ صموئيل ١ : ١٨ ونصها (ورثى داود شاول وابنهُ وقال ان يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشر) ومعنى ياشر باللغة العبرية المستقيم او الورع وهو كتاب ترنيمات دينية مقتطفة من الكتب الالهية فلا يلزم من الاشارة اليها ان يكون وحياً وقد استشهد بولس الرسول بقول احد شعراء اليونان في خطابه لهداية الضالين الى الصراط المستقيم واذا نظرنا الى القرآن وجدنا كثيرًا ما يستشهد باقوال الانبياء والمرسلين المعدومة وغيرها وقد الَّف بعضهم في ذلك ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال محمد في آخر السورة (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) (٨٧ : ١٨ و ١٩) وكذلك سورة النجم ٥٣ : ٣٧ و ٣٧ ام لم ينبأ بما

في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ثم قال في آية ٥٧ هذا نذير من النُذُر الاولى اي القرآن ووردت فيه آيات شتى بحض محمد على النظر في الكتب الالهية اذا كان في شك وريب وكثيرًا ما يحكي حكايات الصادقين والكاذبين وهو شيء كثير جدًا فأي حرج على يشوع بن نون او صموئيل النبي اذا استشهد كل منهما بعبارة واحدة من كتاب معروف عند الامة الاسرائيلية حتى ترسخ اقوالهما في اذهان المخاطبين وتنبههم الى اليقين ثم ان عدم درج اليهود لكتاب ياشر في كتبهم المقدسة من اقوى الادلة والبراهين على حرصهم في الامور الدينية وتدقيقهم البليغ فلا يخلطون الجوهر بالعرض كتساهل أئمة المسلمين الذين جوّزوا اخذ الاحاديث عن الصبيان والمبتدعة والفاسقين ويبنون عليها احكام العبادات والمعاملات فينتج مما تقدم عدم وجود ادنى تناقض بين كتاب يشوع وبين خمسة اسفار موسى وثبت ان يشوع هو الذي كتب هذا الكتاب وان احد انبياء بني اسرائيل كتب خبر اليبوسين وخبر وفاتهِ وهو جائز فان كتابتهم هي بوحي إلهي مؤيدة بالمعجزات

الفصل السادس

(في سفر القضاة وراعوث وايوب)

قال المعترض اختلفوا في النبي الذي نزل عليهِ سفر القضاة ثم اورد بعض آراء سقيمة وضرب صفحًا عن القول الصحيح فقال هورن ذهب البعض الى ان هذا السفر نزل على فينحاس وذهب البعض الآخر الى انهُ نزل على حزقيا او ارميا او حزقيال او عزرا ثم حذف المعترض القول الصحيح الذي لا ريب فيهِ وهو اجمع علماء اليهود والمسيحيين بعد التحقيق على انهُ نزل على النبي صموئيل وهو آخر قضاة بني اسرائيل وهو يشتمل على تاريخ قضاة بني

اسرائيل مدة ٣٠٠ سنة من موت يشوع الى قيام عالي الكاهن وفي هذا الاثناء اقام الله ثلاثة عشر قاضياً لانقاذ بني اسرائيل من جور اعدائهم وعتقهم من الرق والعبودية ومنح بعضهم قوة فوق العادة وهذا السفر يوضح فوائد الهداية واضرار الغواية ونتائج الطغيان والعصيان والمروق عن الحق المبين فلما كان بنو اسرائيل يخطأون كان يؤدبهم المولى سبحانه وتعالى ولما تابوا ورجعوا اليه رمقهم براحمه العظمى وكتب هذا التاريخ لانذارنا وتحذيرنا عن المروق عن الحق وهو يحقق صدق انذارات موسى التي انذر بها بني اسرائيل وقد اشار الرسول بولس الى اولئك القضاة فذكر جدعون وباراق ويفتاح واقتطف مفسرو المسلمين ومؤرخوهم بعض الحقائق المدونة فيه نعم لا ينكر انهم خلطوا بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان وتحريف الاسماء ولكن لا نعجب من هذا والقرآن ذاته وقع في ذات هذا الخطأ فورد في سورة البقرة ٢ : ٢٥٠ فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الاَّ من اغترف غَرفةً بيده فشربوا منهُ الاَّ قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوتَ وجنودهِ قال الذين يظنون انهم ملاقو الله كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرة باذن الله والله مع الصابرين(٢٥١) ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبّت اقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين(٢٥٢) فهزموهم باذن الله وكان ذكر قبل هذه الآيات ان الملا من بني اسرائيل طلبوا من نبيهم يعني صموئيل ان يولي عليهم ملكاً فولى طالوت والظاهر انه شاول اما الاغتراف من النهر فكان مع جدعون احد قضاة بني اسرائيل ولم يكن مع طالوت فانه ورد في سفر القضاة بان الله اخبر جدعون بان كل من يلَغ بلسانه من الماء كما يلَغ الكلب فاوقفهُ وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب

وكان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلاث مئة رجل فانتصر جدعون بهولاء الثلاثمائة رجل على الالوف وهذه النصرة مذكورة في سفر القضاة بفصاحة وبساطة تؤثر في الالباب نخلطها القرآن بتاريخ صموئيل وشاول فانه كان يقتطف بعض العبارات من افواه الناس وذكر (سانخونياثو) من المؤرخين الصوريين وكان بعد جدعون وشهد (بورفيري) وهو من ألد اعداء الديانة المسيحية بان سانخونياثو هو من القدماء فهذا المؤرخ اقتبس رواياته من قصة زربابل (وهو اسم آخر لجدعون) وكان سكان رومة يحتفلون بعيد الثعالب في شهر ابريل وهو وقت الحصاد عند اليهود فكانوا يطلقون الثعالب والمشاعل في اذنابهم وهذه الرواية مأخوذة من حكاية شمشون فان الفينيقيين نقلوها الى ايطاليا وكذلك اخذ الوثنيون وغيرهم حكاية شمشون مع دليلة وحوّلوها الى صورة اخرى اما قوله ان اليهود ينسبون رجماً بالغيب نزول سفر القضاة الى صموئيل النبي فكلامه كلام متعصب لا يريد الاذعان للحق ألا يرى ان المولى سبحانه وتعالى فضل الامة اليهودية على العالمين وشرفها بالمحافظة على هذه الكتب الالهية فكان قولهم هو الجدير بالاعتماد والاعتبار ولا سيما انهم هم الذين يتعبدون بتلاوة هذه الكتب من يوم الى آخر فلا يقولون عن كتبهم الالهية الاّ اليقين

قال وكتاب راعوث فيه اختلاف فقال بعضهم انه تصنيف حزقيا وذهب البعض الآخر الى انه تصنيف عزرا وقال اليهود وجمهور المسيحيين انه تصنيف صموئيل هذا هو كلامه ونعيد ما قلناه سابقاً وهو ان المرجع في هذه الامور الى اليهود فكلامهم هو المعول عليه ولا عبرة بالقول السخيف فاذا قال بان اليهود وجمهور المسيحيين قرروا بعد التحقيق انه نزل على صموئيل النبي كان في غنى عن المماحكة وهذا السفر يشتمل على ما اشتهرت به راعوث من التقوى

الحقيقية وتعلقها بشعب الله وترك وطنها واصحابها واقربائها وانسبائها حباً في الاله الحي وديانته القويمة ويتضمن مجازاة الله لها فانه وفق لها بالسعة والرخاء بعد الضيق والشدة ورقاها الى اوج المجد فصار داود الملك من نسلها بل المسيح الفادي الكريم ليوضح لنا انه لا يخيب كل من يعتمد عليه وانه عز وجل لا يأخذ بالوجوه وليس عنده محاباة وانه باسط يديه لليهودي والوثني ونقل المعترض عن (كاتلك هرلد) ان كتاب راعوث قصة بيت وكتاب يونس حكاية انتهى ثم قال ما نصه يعني قصة غير معتبرة وحكاية غير صحيحة انتهى كلامه والظاهر ان المعترض لم ينشرح منها لانها ليست خرافة كقصة البقرة الواردة في القرآن التي لا فائدة فيها حتى انه لما طلب موسى من بني اسرائيل ان يأتوه ببقرة قالوا أتتخذنا هزوءاً ثم طلبوا المرة بعد الاخرى منه ان يستفهم من الله عن لونها ولما اتوا بها ذبحوها وضربوا قتيلاً ببعضها فبعث وفي القرآن اشياء كثيرة من ذلك وما فائدة قصة لقمان واسكندر ذي القرنين مع انهما ليسا من الانبياء ولا من الاولياء وهما من الوثنيين

اما قصة راعوث التي تهذب النفوس وتربي العقول والعائلات وتوضح فوائد التقوى الحقيقية والاتكال على المولى سبحانه وتعالى وانهُ لا يتخلى عن المتقين بل يحفظهم ويحرسهم ويغنيهم ويكفيهم وغير ذلك فهي حكاية عند المعترض غير صحيحة ومثلها عنده حكاية يونس وكأنهُ لم يدرِ ان القرآن اقتبس حكاية يونس التي ادعى انها قصة غير صحيحة فورد في سورة الانبياء (٢١ : ٨٧) وذا النونِ اذ ذهب مغاضباً فظنَّ انه لن نقدر عليهِ فنادى في الظلمات أَن لا إِله الاَّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا لهُ ونجيناهُ من الغمّ وكذلك نجي المؤمنين) فقال البيضاوي وغيره من المفسرين ذا النون صاحب الحوت

يونس بن متى وعلماء الاسلام معذورون في خلط الاسماء لعدم اطلاعهم على التوراة فان متى من الحواريين انصار الله ويونان كان قبل تجسد المسيح بمئات من السنين ولنرجع الى كلامهم قال المفسرون ان يونس غاضب قومه لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم فهاجر عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك فعاقبهُ المولى بان بلعهُ الحوت ثم قذفهُ بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام انتهى كلامهم فالمعترض كذب قرانه وهو لا يدري لتحامله على الكتب الالهية وقال محمد لا تفضلوني على يونس يعني ان يونس افضل منهُ (الحديث)

قال وكذلك اختلفوا في سفر نحميا فنقول ذهب اثناسيوس وابيفانيوس وكريسوستوم من ائمة الدين المسيحي الى انهُ نزل على عزرا النبي ولكن ثبت بعد التحقيق انهُ نزل على نحميا كما قال علماء اليهود وان ما ورد في (ص ١٢ : ١ — ٢٦) من تسجيل اسماء بعض مشاهير اليهود دوّنهُ احد الانبياء لان بعض هؤلاء الاشخاص كانوا في عصر دارا ملك الفرس وكان دارا بعد نحميا بمائة سنة ولكن جرت عادة انبياء الله ان يدرجوا في كتب من تقدمهم من الانبياء ما يحدث في عصرهم لتمام الفائدة وهذا السفر يدل على ان نحميا كان من وجهاء قومه واجلائهم وكان ذا يسار وثروة فصرف ثروته في اعلاء شان شعب الله وبذل الهمة في ايقاظهم من وسنهم ونومهم ونبههم الى واجباتهم الدينية وهو قدوة حسنة وعلى هذا فليعمل العاملون ويتنافس المتنافسون وكما ان سفر راعوث يدل على ان الفقير الذي تمسك بالمولى سبحانهُ وتعالى اغناهُ فكذلك هذا السفر يدل على الغني الذي صرف عقلهُ وثروتهُ ومالهُ حبًّا في

الله فكتاب الله كامل

قال المعترض وكتاب ايوب حالهُ اشنع من حال الكتب المذكورة وقال ان العالم اليهودي مايمونيدس قال ان كتاب ايوب هو اسم فرضي ووافقهُ على ذلك لاكلارك ومايكل ونملر واستوك وغيرهم من علماء المسيحيين (قلنا) ان المعترض هو غير امين في نقله فنقل هذه العبارة من كتاب هورن وزاد عليها قولهُ حكاية باطلة وقصة كاذبة ولم يقل اوائك العلماء ذلك غاية ما قالوهُ انها قصة فرضية الغاية منها التعليم فتصرف المعترض بغير امانة وبغير ذمة وضرب صفحاً عن باقي الكلام وها نورد بعض ما تركهُ فنقول قد ايد لوسدن وكالمت وهيدجر وكاربزوف وفان تيل وسبانهايم ومولدنهاور وشولتنس والجين ورئيس اساقفة ماجي والاساقفة باتريك وشرلوك ولوث وتوملين وجراي والعلامة كنكوت وهالس والاستاذ بترس وجود والعلامة تايلر وبرستلي وبالاختصار جميع العلماء المتقدمين والمتأخرين بالادلة المتينة ان سفر ايوب ليس حكاية فرضية وليس رواية ملفقة مصنعة بل هو حكاية حقيقية وذكر العلماء الادلة القوية على ان سفر ايوب ليس بحكاية بل هو وحي إلهي وانهُ نزل على ايوب ولولا ضيق المقام لذكرنا هذه الادلة هنا ولكن هذا شيء يطول شرحه واللبيب تكفيه الاشارة والمعترض اتخذ المغالطات دثاراً والتمويهات شعاراً فتعامى عن نتيجة التحقيقات الباهرة وضرب عنها صفحاً وادعى ان كتاب ايوب حالهُ اشنع وانهُ حكاية باطلة وقصة كاذبة وماذا يقول في قرآنه الذي لم يقتصر على ذكر ايوب وقصتهُ في موضع واحد بل قال في جملة مواضع انهُ نبي من الانبياء فورد في سورة (النساء ٤ : ١٦١) انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

وعيسى وايوب و يونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورًا الخ وفي سورة الانبياء ٢١ : ٨٣ وايوبَ اذ نادى ربهُ أني مسنيَ الضرُّ وانت ارحم الراحمين فاستجبنا لهُ فكشفنا ما بهِ من ضرّ واتيناه اهلهُ ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وورد ايضاً في سورة ص ٣٨ : ٤٠ - ٤٤) واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربهُ أني مسني الشيطان بنُصبٍ وعذابٍ أُركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا لهُ اهلهُ ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأُولي الالباب وخذ بيدك ضغثاً فاضرب بهِ ولا تحنث انا وجدناهُ صابرًا نِعم العبد اي ايوب انهُ أوَّاب) فالقرآن ناطق بأن ايوب هو شخص حقيقي وقصتهُ ليست رواية ملفقة وليست حكاية فرضية وان الله انزل عليهِ كتاباً وقد كان كتابهُ موجودًا في عصر محمد والاَّ لما كان يشير اليهِ وكتابهُ هذا هو الذي طعن فيهِ المعترض بغير وجه حق وانه حلَّ بهِ ما حل من البلاء ورد الله اليهِ اهلهُ الخ

❊ الفصل السابع ❊

(في سفر المزامير وامثال سليمان)

وقد اورد المعترض الاعتراضات السخيفة بخصوص الزبور وترك التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائقة التي اوردها (هورن) فان دأب المعترض التمسك باذناب الكلام او ايراد القول السخيف وترك تحقيقات العلماء وقد قال هورن الذي اورد طرفاً من كلامه بانه اجمع الجميع على ان كتاب المزامير او الزبور هو وحي الهي ولم يشذ احد عن هذا الرأي السديد هذا هو نص عبارته ومن طالع كلام المعترض خال لهُ انهُ ليس بتنزيل الحكيم العليم ومن الادلة على انه تنزيل العليم هو ان انبياء العهد القديم اشاروا اليه وشهد يسوع المسيح مصدر كل حكمة ورسله الكرام بانهُ وحي من الله وذهب اورجينوس وكرسوستوم

واوغسطين وامبروس واوثيماس الى ان المزامير نزلت على سيدنا داود خاصة ولكن اعترض على ذلك هيلارس واثناسيوس وجيروم واوسيبيوس وغيرهم من ائمة المسيحيين الاجلاء وثبت بعد التحري انها نزلت على داود وعلى بعض الانبياء الذين كانوا قبله بمدة عديدة والى بعض الانبياء الذين ارسلهم المولى بعده' اما الذين ذهبوا الى ان بعضها نزل على بعض الانبياء في عصر المكابيين فهو قول مردود لا اصل لهُ من الصحة · واقدم الترنيمات التي نزلت كانت على سيدنا موسى (خر ١٥) ثم نزلت ترنيمات على النبية دبورة (قضاة٥) وعلى حنة (١صموئيل ٢) غيران داود النبي اشتهر بهذه المزامير وبالتوقيع على الموسيقي فاوصلها الى درجة الكمال حتى سمي مرنم اسرائيل الحلو (٢صموئيل٢٣: ١) ونظم طغمة من الأتقياء البارعين لترتيل المزامير والترنم بها في العبادة (١ ايام ٦ : ٣١ و ١٦ : ٤ – ٨) ونسج سليمان على هذا المنوال الحسن في الهيكل الاوّل (٢ ايام ٥ : ١٢ و ١٣) ولما بني الهيكل ثانية جدد النبي عزرا هذه الفريضة المقدسة (عزرا ٣ : ١٠ و ١١) وكان بنو اسرائيل يرنمون فيها و يرتلونها ترتيلاً (مز ١٣٧ : ٣) وايد يسوع المسيح الفادي الكريم العبادة بالترتيل وحض عليهِ بولس الرسول (مت ٢٦ : ٣٠ مر ١٤ : ٢٦ افسس ٥ : ١٩ كو ٣ : ١٦ وغيره) واستمرت هذه العادة لغاية يومنا هذا فان الاقوال التي كان يتعبد بها موسى وداود وسليمان وهيمان وآصاف و يادثون هي التي يتعبد بها المسيحيون لغاية يومنا هذا لانها تصدق على احوال كل انسان وتناسبه ولاسيما ان المسيحيين يعبدون إله موسى وداود وسليمان بواسطة الفادي الكريم وهو عزَّ وجلَّ لا يزال يغدق عليهم المراحم التي اغدقها على اولئك الانبياء و يقاسون شدائد كالتي حلت بأولئك الافاضل فيرون العسر فيستغيثون و يرون اليسر فيشكرون هذا بعض ما ورد

في كتاب هورن الذي اخذ منه المعترض بعض فقر مقتضبة لا تفيد المعنى

وثبت بعد البحث العميق ان المزامير نزلت على موسى وداود وسليمان وآصاف وهيمان واثان ويادوثان وثلاثة اولاد قورح وذكر هورن ما نزل على كل واحد وذكر تحقيقات جديرة بالعلماء ولولا ضيق المقام وخوف السآمة والملال لذكرناها وانما سميت باسم داود من باب التغليب

والتغليب هو ان يغلب على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما او اختلاط كالابوين في الآب والأم والمشرقين والمغربين والخافقين في الشرق والغرب والقمرين في الشمس والقمر والعمرين في ابي بكر وعمر والمروتين في الصفا والمروة ولاجل الاختلاط اطلقت (من) على ما لا يعقل في نحو فمنهم من يمشي على بطنه

اما من جهة جامع المزامير فداود جمع المزامير التي كانت لغاية عصره ولما انزلت مزامير أُخرى على الانبياء الذين اتوا بعده الحقوها بها ولا اصل لما قيل من ان احد اصحاب حزقيا جمعها في مجلد واحد غاية الامر ان حزقيا هو الذي امر بان ترنم وترتل في الهيكل (٢ ايام ٢٩ : ٢٥ – ٣٠) ومن شدة تعنت المعترض لم يذكر شيئاً من ذلك لان غايته طمس انوار الحق

ومما يدل على تيقظ اليهود والمسيحيين وتدقيقهم في الجزئيات والكليات هو انهم تكلموا في عنوان المزامير فانهم لا يسلمون بشيء الأ بعد الدليل والبرهان فاخذوا في التحقيق والتدقيق. وقالوا انها جزء من المزامير وانها وحي الهي وقالوا ان العرب كانوا يسمون المعلقات التي علقوها في الكعبة بالمذهبات وكما ان شرف الدين البوصيري سمى قصيدته التي مدح بها محمداً البردة فكذلك سمي كل مزمور باسمه فهو جزء منه اه

قال ان آية عشرين من مزمور ٧٢ ساقطة نقول ان هذه الآية هي مكتوبة في آخر المزمور هكذا (تمت صلوات داود بن يسى) فقال ان الذين ذهبوا الى ان المزامير نزلت على داود اسقطوها وان الذين ذهبوا الى انها نزلت على داود وغيرها الحقوها بذلك المزمور قلنا ان أئمة الدين الذين كرسوا حياتهم

لتحري الحقائق الدينية لم يقبلوا مزمورًا من المزامير الاَّ بعد ان وقفوا على معناه ومبناهُ وزمن نزوله والظروف التي نزل فيها كما ترى ذلك مفصلاً في المطولات و(ثانيًا) اذا اختلف فريقان لا يجسر احدهما ان يزيد او ينقص شيئًا فان كل واحد واقف بالمرصاد للآخر و(ثالثًا) من يجسر ان يحذف شيئًا من الاصل او ينقص عليهِ والنسخة العبرية منتشرة في انحاء الدنيا وبين اسباط اليهود و(رابعًا) ان هذه العبارة وهي قوله تمت صلوات داود بن يسى لا تنصر فريقًا على آخر في عقيدة ولا في تأييد مذهب فكلام المعترض اذن ساقط وقال ان المترجمين اسقطوها فكلامهُ يدل على وجودها في الاصل وما هي مصلحة المترجم في اسقاطها ولو فرضنا صحة كلامه فالاصل الذي يرجع اليهِ موجود ومن نظر في النسخة الاصلية وجد ان هذه العبارة واردة في مزمور ٧٢ فاذا ذكر في بعض النسخ انهُ مزمور ٧١ فلا يدل على اسقاط شيء بل انهُ انضم مزمور الى آخر وعوضًا عن ان يجعلوها مزمورين جعلوهما مزمورًا واحدًا بدون فاصل

وهذا السفر هو فذلكة الكتب المقدسة فذكر فيهِ خلق العالم والعناية الالهية واعمال النعمة وخروج بني اسرائيل من ارض مصر وسفرهم في البرّية واقامتهم في كنعان ونواميسهم وطقوسهم وكهنتهم واعمال ابطالهم وشجعانهم وخطاياهم وسبيهم وتوبتهم ورجوعهم الى الله وما قاساهُ داود النبي ونصراته وحكم سليمان ومجيء المسيح وتجسدهُ ومولدهُ وحياتهُ وآلامهُ وموتهُ وقيامتهُ وصعودهُ ومملكتهُ وكهنوتهُ وحلول الروح القدس واهتداء الأُمم ورفض اليهود المسيح وتأييد الكنيسة المسيحية ونموّها ورسوخها والاخرة والدينونة وعقاب الشرير وثواب البار وقد شرح المرحوم المستر سبرجن هذا السفر في سبع مجلدات ضخمة

ورد في القرآن وآتينا داود زبورًا سورة النساء ٤ : ١٦١ وكذلك ورد في سورة بني اسرائيل ١٧ : ٥٧ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا واستشهد ببعض ما ورد في سفر المزامير فورد في سورة الانبياء ٢١ :١٠٥ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي التوراة ان الارض يرثها عبادي الصالحون فانهُ في مزمور ٣٧ وهو قوله اتكل على الرّب وافعل الخير الى قوله في آية ٩ لان عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرّب هم يرثون الارض وقوله في آية ١١ اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذذون في كثرة السلامة فانظر كيف اقتبس القرآن من المزامير التي حاول المعترض طمس اعلامها

واعترض على سفر سليمان الحكيم فادعى ان حاله سقيم واورد من (هورن) ما وافق هواه وترك الاقوال الصادعة بالحق وها نوضح الحقيقة بما ينفي الابهام والايهام فنقول اولاً لم يشك احد في ان سفر سليمان هو من الحكم الالهية التي تبهر العقول وتذهل الفحول لما اشتمل عليه من النصائح البديعة والوصايا الرفيعة والحض على الفضيلة والتنفير عن الرذيلة واوضح ان التحلي بالعفة ومكارم الاخلاق هو اساس السعادة في الدنيا والآخرة وان سبب البلاء والشقاء هو الرذيلة الى غير ذلك من الامثال البالغة اعلى درجة من الحكمة وهو دليل على ان الحكيم العليم العارف بما ظهر واستتر وخفي وجهر هو الذي انزلها على سليمان واتخذه آلة في يده للاعراب عن ارادته ومشيئته واذا قلنا لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا بمثل حكمة من حكم سليمان لا يأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا كان قولنا هذا مجردًا عن المبالغة واحق بان يقال على امثال سليمان لا ان يقال على غيره فان القرآن كما تقدم لا يشتمل الاّ على قصص مقتضبة كما شهد عن نفسه بقوله وانه لفي زبر الاولين

واجمع جميع العلماء على ان سفر امثال سليمان الحكيم نزل على سليمان فهو الذي كتب هذا السفر بوحي الهي لانه نطق بنحو ثلاثة آلاف مثل اقل ما يكون كما ورد في سفر الملوك الاول ص ٤ : ٣٢ وقد جمع رجال حزقيا ملك يهوذا بعض هذه الامثال فانه ورد في ص ٢٥ ما نصه (هذه ايضاً امثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا) فسفر سليمان كان مجموعاً في عصر سيدنا سليمان وانما جمع رجال حزقيا خمسة اصحاحات فامثال سليمان مجموعة في ٢٩ اصحاحاً لم يشك فيها احد وله ملحق وهو الاصحاح الثلاثون والاصحاح الحادي والثلاثون فافتتح الاصحاح الثلاثون بما نصه (كلام اجور بن متقية مساوحي هذا الرجل الى ايثيئيل الى ايثيئيل واكال) وافتتح الاصحاح الحادي والثلاثون بما نصه (كلام لموئيل[1] ملك مسا) فاهل الكتاب محافظون على اقل عبارة في كتبهم حتى على عنوان الكتاب وليسوا كالمسلمين في جمع قرآنهم الذي ذهب كثير منه وها نورد عبارة من وحي اجور قال في آية ٧ اثنتين سألت منك فلا تمنعهما عني قبل ان اموت ابعد عني الباطل والكذب لا تعطني فقراً ولا غنىً اطعمني خبز فريضتي لئلا اشبع واكفر واقول من هو الرب او لئلا افتقر واسرق واتخذ اسم الهي باطلاً . وكنا نود ان نورد شيئاً من ص ٣١

(١) ذهب البعض الى ان المراد من لموئيل هو سليمان فهو لقب له لان معنى لموئيل المكرّس ذاته لله وكذلك القول في كلمة اجور فان معناهُ مؤلف فالمراد بهِ سليمان ايضاً وذهب البعض الآخر الى انهما نبيان غير سليمان ومهما كان الحال فعدد انبياء اليهود والمسيحيين ورسلهم الكرام لا يتجاوز خمسين وقد اختلف علماء المسلمين في عدد الانبياء فقالوا مائة الف واربعة وعشرون الفاً كما في حديث ابي ذر وقيل الف الف ومائتا الف وخمسة وعشرون الفاً والمشهور الاول واختلفوا في الخضر ولقمان والاسكندر فذهب البعض الى انهم انبياء وذهب البعض الآخر الى انهم اولياء فانظر وتعجب

بالحض على الانصاف والامتناع عن المسكرات ووصف المرأة الفاضلة ولكن نشير على المطالع ان يحلي جيده بدرر هذا السفر البديع الذي لا يمكن ان يأتي بشيء مثله من أوتي كل الفصاحة والبلاغة في الدنيا هذا هو حال السفر الذي ادعى المعترض انه سقيم (ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريض يجد مرًّا بهِ الماء الزلالا)

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في سفر الجامعة ونشيد الانشاد واستير ونبوة دانيال وارميا واشعيا)

قال المعترض اختلفوا في الشخص الذي نزل عليهِ سفر الجامعة قلنا جرت عادة المعترض ان يأتي بالاراء السقيمة والاوهام الواهنة ويغض الطرف عن التحقيقات الصحيحة ولكن نقول مما يدل على انهُ نزل على سليمان الحكيم ما ورد في الاصحاح الاوَّل آية ١٢ ما نصهُ انا الجامعة كنت ملكاً على اسرائيل في اورشليم وفي آية ١٦ ما نصهُ انا ناجيتُ قلبي قائلاً ها انا قد عظمت وازددت حكمة اكثر من كل من كان قبلي على اورشليم والاصحاح الثاني من آية ٤ الى آية ٩ وكذلك ص ١٢ : ٩ و ١٠ ناطقان بان سليمان الحكيم هو الذي كتب هذا السفر فانهُ هو الذي اقتنى الثروة الوافرة والقصور الباهرة والعزّ والجاه والحكمة العظيمة وكان ملكاً هماماً طائر الصيت والسمعة ورأى ما لم يرهُ أحدٌ قبله ولا يراهُ بعدهُ ومع ذلك فقال وجدت كل ذلك باطل الاباطيل وقبض الريح فصاحب كتاب اظهار الحق تعامى عن هذه القرائن المعينة للمراد والادلة القوية لتأييد المقصود وتمسك باوهام عاطلة وغض الطرف عن الرّد عليها فقال ان لمشى احد علماء اليهود ذهب الى انهُ نزل على اشعيا النبي وان علماء التلمود ذهبوا الى انهُ نزل على حزقيا وان هروتيوس ذهب الى ان زروبابل

امر بتأليفهِ لابنه ابيهود وذهب ياهن الى انهُ نزل بعد سبي بابل وذهب (زركل) الى انهُ نزل في زمن (انطوخيوس ابيفانس) قلنا ان هذه الاقوال لا تخرج عن الظن وسببها هو انهم رأوا فيهِ عبارات من اللغات الاجنبية فذهبوا الى ما ذهبوا اليه لشدة تدقيقهم ولكن ظهر بعد التأمل والتحرّي ان سبب وجود بعض ألفاظ أجنبية في هذا السفر هو مخالطة سليمان للنساء الغريبات كما في (١ مل ١١ : ١ و ٢) فاخذ بعض ألفاظ منهنَّ و (ثانياً) ان تجارة الامة اليهودية كانت واسعة في عصره فدخل في اللغة اليهودية من الأُمم التي اختلطوا بها في التجارة بعض ألفاظ والكتاب يشهد بان الأُمة الاسرائيلية بلغت في عصر سليمان أوج المجد والثروة (ثالثاً) ان الاوصاف الواردة في هذا السفر لا تصدق على اشعيا ولا على حزقيا ولا على غيرها بل تصدق على سليمان فقط فانهُ هو الذي اشتهر بالحكمة والغنى والثروة وغيرها من الصفات المميزة لهُ عن غيرهِ (رابعاً) ان سليمان هو من كبار الانبياء وظهر لهُ المولى سبحانه وتعالى مرّتين كما في (١ مل ٣ : ٥ و ٩ : ٢ و ١١ : ٩) (خامساً) لما شرع انبياء اليهود في جمع الكتب المقدسة في مجلد واحد بعد السبي جزموا بعد التدقيق بانهُ هو من الكتب الموحي بها هذا هو بعض كلام (هورن) الذي سرق منهُ صاحب كتاب اظهار الحق اعتراضهُ

قد اورد المعترض اذناب اوهام واهية على كتاب نشيد الانشاد ولو اورد عبارة (هورن) بتمامها لكان ذلك اقرب الى العدل والانصاف ولكن المعترض لم يرضَ لنفسهِ بهذه الصفة الشريفة وقد ثبت بالادلة الشافية ان كتاب نشيد الانشاد من الكتب الموحي بها وانهُ نزل على سليمان الحكيم الذي تكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشائدهُ الفاً وخمساً كما في سفر (١ مل ٤ ·

٣٢) واستدل العلماء المتقدمون على نزولهِ على سليمان بأدلة كثيرة منها (١) انهُ ذكر في الآية الاولى من هذا السفر ما نصهُ بالحرف الواحد (نشيد الانشاد الذي لسليمان) ولا يحتاج الصبح الى دليل (٢) اشير فيهِ الى زخرفة قصرهِ (ص ١ : ٥) واشير فيهِ ايضاً الى الخيل والمركبات التي اشتراها من فرعون ملك مصر (١ : ٩) فان هذا يطابق ما ذكر عنهُ في سفر الملوك الاوَّل (١٠ : ٢٨ و ٢٩) واشير فيهِ الى ايناداب الذي كان اقترن باحدى بنات سليمان (٦ : ١٢ وا مل ٤ : ١١) واشير فيهِ الى الهيكل فانهُ كني عنهُ بكلمة تحت (ص٣ : ٩ و ١٠) فاذا قيل انهُ وردت الفاظ أجنبية فيهِ وهي تدل على انهُ ليس بقديم عهد قلنا ان بني اسرائيل كانوا مختلطين مع الامم المجاورة لهم بالمعاملات والتجارة كما ذكرنا فكان من المتوقع ان توجد في هذا السفر الفاظ قليلة من لغة تلك الامم وذهب (كنيكوت) الى ان هذا السفر نزل بعد سليمان لورود حرف (يود) في اسم داود فانهم كانوا يكتبون اسم داود بهذا الحرف بعد سليمان وهو برهان واهي ولا سيما انهُ لم يرد اسم داود في هذا السفر سوى مرَّةٍ واحدةٍ (٤ : ٤) فهل يجوز بعقل عاقل ان مجرَّد حرف واحد يهدم الادلة القوية المتينة وربما يجوز ذلك عند صاحب كتاب اظهار الحق ولماذا لا يقال ان النساخ الذي اتوا بعد سليمان كتبوا اسم داود حسب المصطلح عليهِ في عصرهم وعلى كل حال فهذا يدل على ان تدقيق العلماء المسيحيين بلغ مبلغاً زائداً فلم يقتصروا على التدقيق في اللغة بل نظروا في ذات الاحرف واستنتجوا منها نتائج وبنوا عليها احكاماً فتأمل[1]

(١) وقد اوصل علماء الاسلام الاختلاف في كلمات القرآن وحروفه وحركاته وسكناته الى اثني عشر الف اختلاف كما سيأتي (فانظر)

وايضاً ان النبي عزرا ادرجهُ من الكتب المقدسة ولم يفعل ذلك الاَّ بوحي إلهي وكان في النسخة السبعينية يعني قبل المسيح بمائتي سنة وترجمهُ الى اللغة اليونانية اكيلا وسيماخوس و (تيودوسيون) في القرن الثاني من التاريخ المسيحي وفي الجيل الثالث شرحهُ اورجينوس واجمع علماء اليهود على انهُ وحي إلهي وادرجهُ يوسيفوس المؤرخ اليوناني من الكتب الالهية واستلمهُ العلماء المسيحيون من أئمة اليهود كما هو وادرجه (مليتو) اسقف سادريس في ليديا من قائمة الكتب المقدسة سنة ١٧٠ مسيحية فانه كان سافر الى فلسطين ليستطلع من اليهود على عدد كتبهم الموحي بها فانظر الى هذه التهمة والعناية · وذكر هذا السفر اغناتيوس الذي كان تلميذ الرسول يوحنا في اوائل الجيل الثاني وذكره اثناسيوس في الجيل الثالث وذكره جيروم وروفينوس في الجيل الرابع بعد المسيح

وقيل ان (تيودور) ازدري بهذا السفر وبسفر ايوب قلنا ظهر ان اعداءهُ نسبوا اليهِ هذا القول للحط بقدرهِ وقال العلامة (لاردنر) لا يعقل ان هذا الفاضل يزدري بهذين السفرين وفي الجيل الماضي ارتاب سيمون ولاكارك في صحتهِ فرد عليهما العلامة كاربزوف وفند قولهما وذهب (اوستن) الى ان سليمان ألفهُ وهو متقدم في السن ومنغمس في الاثم وانهُ ترنيم فسقي يجب اخراجهُ من الكتب المقدسة قلنا ان اوستين هذا كان مختل العقل فلا عجب اذا اتى برأي ساقط (وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته الفهم السقيم) ولا يخفى انه ظهر في كل زمان ومكان من انكر وجود الله وتعاموا عن الادلة الباهرة الدالة على حكمته وقدرته وماذا يقول المعترض في العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد الذين انكروا كون سورة يوسف من القرآن وذهبوا الى انها قصة من القصص ولا يجوز ان تكون قصة العشق من القرآن وقد كانوا اصحاب العقل بخلاف

(اوستين) وهل يجوز عند المعترض اتخاذ كلام مختل العقل حجة

وقد استعمل المولى سبحانه وتعالى في هذا السفر وفي غيره استعارات وتشبيهات للاعراب عن النسبة بينه عزَّ وجلَّ وبين شعبه فشبه محبته لشعبه بمحبة العريس لعروسه وفي محل آخر شبه الاتحاد بينه وبين شعبه بالاتحاد الموجود بين الزوج وزوجته وبين جذع الشجرة واغصانها وبين الرأس والاعضاء وغير ذلك فان المولى سبحانه وتعالى تنازل وقرَّب لعقولنا الحقائق العقلية السامية بالصور المحسوسة المشاهدة فنسب الى ذاته عزَّ وجل الاميال والعواطف البشرية كالحب والرضا بل نسب الى ذاته الانفعالات النفسانية كالغم والغضب وغير ذلك وقد ورد في القرآن قوله يحبهم ويحبونه فاتبعوني يحببكم الله ونسب اليه تعالى صفة الغضب كقوله غضب الله عليها وصفة الرضا في قوله رضي الله عنهم وصفة العجب بل عجبتُ بضم التاء وقوله وان تعجب فعجب قولهم وصفة الرحمة في آيات كثيرة وقال العلماء كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها قال الامام فخر الدين الرازي جميع الاعراض النفسانية اعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها اوائل ولها غايات مثاله الغضب فان اولهُ غليان دم القلب وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على اوله الذي غليان دم القلب بل على غرضه الذي هو ارادة الاضرار وكذلك الحياء له اول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس فكذلك اذا ورد في هذا السفر بعض تشبيهات او استعارات وجب ان تحمل على غايتها لا على اوائلها وسبب قول المعترض انه عشق فسقي هو استعمال هذه الاستعارات فيه ولو ادعى احد الغربيين هذه الدعوى

عذرناه لجهله اصطلاحات اصحاب السلوك بخلاف الشرقي الذي تواترت عنده قصائد محيي الدين بن العربي وقصائد ابن الفارض وغيرهما فان قصائدهم في العشق الالهي اشهر من ان تذكر وقالوا في ابن الفارض

جُز بالقرافة تحت ذيل العارضِ   وقل السلامُ عليك يا ابن الفارضِ
ابرزتَ في نظم السلوك عجائباً   وكشفت عن سرٍ مصونٍ غامضِ
وشربت من بحر المحبة والولا   فرويت من بحر محيطٍ فائضِ

قال المعترض اختلفوا في النبي الذي نزل عليهِ كتاب استير قلنا انهُ نزل على عزرا وان الحوادث المذكورة فيهِ حصلت في عصرهِ ولهذا السفر منزلة كبرى عند الامة اليهودية فهو مثل كتب موسى في الاعتبار ومن الروايات المتواترة على ألسنتهم هو انهُ مهما يحصل لكتب الانبياء فالمولى سبحانه وتعالى يحفظ بعناية خصوصية كتب موسى واستير اما كتاب استير فيشتمل على ارتقاء احدى اليهوديات الى منزلة رفيعة في مملكة الفرس فجعلها المولى سبحانه وتعالى واسطة في انقاذ الامة اليهودية من سوء مكائد (هامان) ورفقائهِ ورد الله كيدهم في نحرهم بان اسقطهم في الحفرة التي حفروها لشعب الله وناهيك ان الامة اليهودية تحتفل بهذا العيد لغاية يوم تاريخه كل سنة ولا يتصوَّر ان امة تحتفل مدة اجيال متتابعة بهذا العيد كل سنة اذا لم يكن للحوادث العجيبة المذكورة في هذا السفر اصل والقرآن خلط فجعل هامان وزيراً لفرعون مع انهُ كان وزيراً الاحشويورش ملك الفرس وهو من اغلاطه الفاضحة فلم تخبرنا التوراة التي هي اقدم تاريخ في الدنيا ومنها اقتبس محمد قرآنه بانه كان لفرعون وزير اسمهُ هامان بل قالت ان هامان هو وزير لاحشويورش

(كتاب دانيال) قد اطلعنا على ما كتبهُ هورن بخصوص هذا السفر الجليل فذكر الحوادث التاريخية المصدقة لنبوَّته وافاض في الكلام على تحقيق النبوَّات وسمو التعاليم الالهية ولما كنا على وشك الانتهاء من مطالعتهِ رأينا عبارة في آخر الكلام اخذها المعترض وغض الطرف عن التحقيقات الجديرة بالعلماء الافاضل فقال ان ثيودوشن الذي ترجم التوراة الى اللغة اليونانية ادرج

بين آية ٢٣ وآية ٢٤ من الاصحاح الثالث ترنيمة الثلاثة فتيان وادرج قصة سوسنة والدراغون في ص ١٣ و ١٤ وقس على ذلك الترجمة اللاتينية وجميع تراجم كنيسة الكاثوليك انتهى كلامه قلنا قد تقدم في الفصل الاوّل من الباب الثاني الكلام على الكتب الموضوعة بما فيهِ الكفاية ولكن نخبر المعترض انه لا يعوَّل على التراجم بل المعوَّل عليه والمرجع اليهِ هو التوراة العبرية الاصلية المحافظ عليها اليهود فهي الحكم الفصل فاذا ترجم احد العارفين باللغات الشرقية القرآن الى احدى اللغات الغربية ثم وضع بعض عبارات او قصص ليست في الاصل فهل يخل ذلك بالقرآن ما دام محفوظاً عند اهله على اصله لا نظن ذلك فلا عجب اذا قام جيروم احد العلماء ورفض كل ما كان زائداً على الاصل العبري و (ثانياً) ان اليهود وائمتهم لا يعرفون هذه الحكاية الفارغة وثبت ان لغتها الاصلية هي يونانية ولا يوجد ادنى دليل على انها كتبت باللغة العبرية او الكلدية و (ثالثاً) لم يعترف احد من العلماء المسيحيين بصحتها فنبذها ظهرياً (يوليوس افريكانوس) و (يوزيبيوس) و (ابوليناريوس) وقالوا انها من الخزعبلات التي ما انزل الله بها من سلطان ونحا هذا النحو اراسموس وغيره من العلماء المتأخرين وقال جيروم انها خرافة لانهُ اذا اتى انسان ووضع زواناً (اي تعاليم كاذبة) في وسط القمح ظهر في الحال لان الزوان ظاهر من لونهِ وشكلهِ وثانياً ان نسخ التوراة كانت منتشرة بين الورى فاذا زيد عليها او نقص منها شيء ظهر في الحال

(نبوّات ارميا) قال أُلحق بهِ الاصحاح ٥٢ قلنا ذكر في آخر كتاب نبوّات ارميا هذه العبارة وهي (الى هنا كلام ارميا) فهذه العبارة تفحم كل مكابر وناطقة بالقول الفصل فان الاصحاح ٥٢ كتبهُ النبي عزرا مقدمة لمراثي ارميا اخذ جلّهُ من سفر الملوك الثاني وهو يوضح تتميم النبوّات التي تنبأ بها

ارميا وتحقيقها من خراب مملكة اليهود والهيكل الذي هو موضوع المراثي ولا ينكر انه كتب هذا الاصحاح بعد رجوع بني اسرائيل من السبي فنبوّات ارميا اذن باقية على ما هي عليهِ لم يختلف فيها اثنان اما الآية ١١ من ص ١٠ فكتبت باللغة الكلدية

ولم يقل احد من العلماء المتقدمين او المتأخرين انهذه الآية زائدة على الاصل او انها من كلام غيره كما يعلم من سياق الكلام وانما اوردها النبي باللغة الكلدية لنكتة من نكت الفصاحة والبلاغة وهي التأكيد وبيان ذلك انهُ حض الامة الاسرائيلية على التمسك بالاله الحي الحقيقي الذي اوجد العالمين بكلمتهِ وعلى ترك آلهة الكلدانيين وغيرهم واوضح لهم بطلان آلهتهم ونص آية ١١ هو (هكذا تقولون لهم الآلهة التي لم تصنع السموات والارض تبيد من الارض ومن تحت هذهِ السموات) فالغاية من ايراد هذهِ الآية باللغة الكلدية هو ان يفهم بنو اسرائيل الكلدانيين بلغتهم بطلان آلهتهم بنص عبارة النبي كما هي لان الكلام اذا كان بلغتهم يرسخ في ذهنهم وهذا يستلزم معرفة بني اسرائيل بالاله الحي لانهم اذا كانوا يفهمون غيرهم عنهُ يلزم ان يكونوا تركوا الآلهة الكاذبة ومع ان صاحب القرآن ادعي ان كتابهُ عربي الأ ان فيهِ من لغة العجم شيئاً كثيراً مثل اباريق وارائك واستبرق ودارست وسرادق وزنجبيل والصراط والطاغوت وقنطار ومجوس ومرجان ومقاليد وفردوس وقسطاس وغساق وغير ذلك فاورد هذه العبارات لعجزهِ عن التعبير بالعربي بخلاف ارميا الذي اتى بالعبارة لنكتة من نكت البلاغة فهل يعاب عليهِ ولا يعاب على محمد الذي شحن قرآنه بالفاظ كثيرة من لغات اليونان والحبش والانباط والفرس وغيرها

(كتاب اشعيا النبي) قال حصلت مناقشة طبعت في بلاد الهند فقال احد الفريقين المتناقشين سقط من كتاب اشعيا ٢٧ اصحاحاً قلنا هل هذا الخصم من الافاضل العلماء الذين يركن عليهم ام من الجهلاء الذين دأبهم المشاغبة والافتراء والتعنت ولم يقل احد من العلماء المتقدمين ولا المتأخرين مثل هذا القول فهو من الاقوال الصبيانية التي يجب على الفاضل ان يتنزّه عنها وهو مثل قولهم ان التوراة والزبور وكتب الانبياء رفعت الى السماء ومثل قولهم ان التوراة

والانجيل في القرآن والقرآن في البسملة والبسملة في الباء والباء في نقطتها يعني ان الدين هو عدم فالسكوت عن مثل هذه الاقوال هو الرد

فينتج مما تقدم (١) ان الأمة الاسرائيلية حافظت على التوراة وكتب الانبياء والزبور بغاية الاعتناء والحرص الزائد فان المولى سبحانهُ وتعالى افرز سبط لاوي للمحافظة عليها واقامة شعائرها فسلمها هذا السبط من السلف الى الخلف الى ان وصلت الينا وقال يوسيفوس الذي كان معاصرًا للرسول بولس ان التوراة وزعت على الاثنى عشر سبطًا وكان كلما يقوم ملك كان يكتب نسخة خصوصية يستنسخها من احبار لاوي كما في (تث ١٧ : ١٨) فكان يتعذر والحالة هذه تغييرها او تبديلها مع انتشارها بل ان تغييرها يضر بالامة اليهودية ويحط بقدرها ويزيل امتيازاتها وزد على ذلك ان توراة السامريين هي ذات توراة اليهود مع وجود العداوة بين الفريقين (٢) ان عزرا رتب كتب العهد القديم بوحي إلهي (٣) لما كان دانيال في السبي كان يقرأ نبوّات ارميا ولما بُني الهيكل الثاني كان ترتيبه حسب شريعة موسى واخرج عزراء الشريعة وكان يقرأ فيها من الصباح لغاية نصف النهار (٤) ان المسيح ورسله كانوا يستشهدون بها (٥) لم يحصل ادنى خلاف بين اعضاء المجمع النيقاوي ولا مجمع اللاذقية ولا مجمع قرطاجنة ولا غيرها بخصوص نزول كتب العهد القديم جميعها من رب العالمين بل قد حرّرت تلك المجامع قوائم باسماء تلك الكتب وبوجوب الاهتداء بها في العبادة (٦) مع انهُ يبلغ عدد هذه الاسفار ٣٩ سفرًا فلم يقدر المعترض ان يأتي باعتراضات سديدة لاطفاء انوارها وثبت فساد اعتراضاته وبطلانها فكان مثلهُ كمثل بيضة تناطح الصخر ويمكن ان يؤتي باعتراضات على قرآنه قدر عشرة امثال ما اعترض بهِ على تسعة وثلاثين كتابًا من كتب

انبياء الله وانما يوجد فرق آخر وهو ان الاعتراضات على القرآن تكون متينة وصحيحة بخلاف اعتراضاته وسنأتي على بيان ذلك (٧) ثبت مما تقدم ان القرآن اخذ من كتب موسى والانبياء كل قصصه وانما غلط في اشياء كثيرة شأن الناقل عن ألسن الناس (٨ بلغ تدقيق علماء المسيحيين مبلغاً عظيماً حتى بنوا نتائج مهمة على الحرف الواحد في اسم علَم (٩) ظهر ان المعترض كان ينقل اقوال المختلين وكان يتصرّف في النقل بدون ذمة ولا امانة ونقل اعتراضات الكفرة وتعامى عن الردّ عليها وثبت من كل ما تقدم صدق كتب العهد القديم

❋ الفصل التاسع ❋

(انجيل متى ومرقس ولوقا و يوحنا)

قال المعترض ان انجيل متى كان في اللسان العبراني وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية والموجود الآن ترجمته وانهُ لم يعلم اسم هذا المترجم · قلنا من المؤكد الذي لا ريب فيهِ ان متى الحواري كتب انجيله الشريف باللغة اليونانية (١) لان اللغة اليونانية كانت اللغة المتداولة في عصر المسيح ورسله ولما كانت غاية المولى سبحانه وتعالى اعلان مشيئتهِ وارادتهِ كان لا يعقل ان ينزل كتاباً بلغة غير متداولة لئلاَّ تضيع الفائدة (٢) ان متى كان عشاراً قبل دعوته للرسالة ولا يمكن ان يؤدي هذه الوظيفة بدون معرفة اللغة اليونانية (٣) ان جميع الرسل والحواريين كتبوا الاناجيل والرسائل باللغة اليونانية للمسيحيين سواء كانوا من اليهود او الأمم وعلى هذا القياس نزل انجيل متى باللغة اليونانية (٤) يوجد توافق في كثير من عباراتهِ وعبارات باقي الاناجيل ولو نزل بغير هذه اللغة لما وجد هذا التوافق

ولكن نقل المؤرخ يوسيبوس ان باپياس قال ان متى كتب انجيله باللغة

العبرية غير ان باپياس هذا اشتهر بالوسوسة وضعف الرأي وفضلاً عن ذلك فشهادته مبهمة فانه لم يقل انه اطلع على الانجيل باللغة العبرية بل كان انجيل متى متداولاً بين الناس باللغة اليونانية قبل عصره فقولهم انه نزل باللغة العبرية هو مجرد ظن وتخمين بخلاف البينات الدالة على انه نزل باللغة اليونانية ومن تتبع العبارات التي استشهد بها من كتب العهد القديم يرى انها مأخوذة من الترجمة السبعينية اي من اللغة اليونانية فلو كان نزل باللغة العبرية لكانت الآيات الواردة فيه من التوراة العبرية ولو سلمنا له جدلاً ان هذا الانجيل كان باللغة العبرية لقلنا له ان الرسول كتبه باللغة العبرية ايضاً والمؤرخ يوسيفوس كتب حروب اليهود باللغة العبرية واللغة اليونانية ايضاً لتعم الفائدة وعلى كل حال فقد كان هذا الانجيل متداولاً بين المسيحيين في الجيل الاول بعد المسيح

قال المعترض ان صاحب ميزان الحق لم يقدر على بيان السند المتصل لهذا الانجيل . قلنا ان برنابا الذي كان رفيقاً لبولس اشار الى هذا الانجيل في رسالته سبع مرّات واستشهد به اغناتيوس الذي كان في سنة ١٠٧ بعد المسيح في رسائله سبع مرّات فذكر حبل مريم العجيب وظهور النجم المؤذن بولادته وكان هذا العلامة معاصراً للحواريين وعاش بعد يوحنا الرسول نحو سبع سنين فشهادته من اقوى البينات على صحة انجيل متى واستشهد بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول بهذا الانجيل في رسالته خمس مرّات وكان هذا الانجيل منتشراً في زمن باپياس اسقف هيرابوليس الذي شاهد يوحنا الرسول وشهد كثير من العلماء المسيحيين الذين نبغوا في الجيل الاول بان هذا الانجيل هو انجيل متى واستشهدوا باقواله الالهية و (في الجيل الثاني) ألف تاتيان كتاب اتفاق الاناجيل الاربع وتكلم عليه (هيجسيبوس) وهو من العلماء الذين نبغوا

في سنة ١٧٣ مسيحية فانهُ الف تاريخاً عن الكنيسة فذكر ما كان من هيرودس حسب ما ورد في انجيل متى وكثيراً ما استشهد بهِ يوستين الشهيد الذي نبغ في سنة ١٤٠ بعد المسيح وذكر في مؤلفاته الآيات التي استشهد بها متى من نبوات اشعيا وميخا وارميا وقس على ذلك مؤلفات ايرينيوس واثيناغورس وثيوفيليس الانطاكي واكليمندس الاسكندري الذي نبغ في سنة ١٦٤ مسيحية وكلسوس وغيرهم . وفي (الجيل الثالث) تكلم عليهِ ترتوليان وامونيوس مؤلف اتفاق البشيرين ويوليوس افريقانوس واوريجنيوس واستشهدوا باقوالهِ وغيرهم . وفي (الجيل الرابع) اشتبه فوستوس في هذا الانجيل من قوله (٩ : ٩) وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى انساناً عند مكان الجباية اسمهُ متى فقال لهُ اتبعني فقام وتبعهُ فقال كان يجب ان يكون الكلام بصيغة المتكلم وما درى ان هذه الطريقة كانت جارية عند القدماء فموسى كان يتكلم عن نفسه بصيغة الغائب وكذا المسيح ورسلهُ بل نقدم ان زينوفون وقيصر ويوسيفوس كانوا يتكلمون عن انفسهم بصيغة الغائب في مؤلفاتهم ولم يشتبه احد في ان هذه الكتب هي كتبهم وفي الجيل الرابع زاد هذا الانجيل انتشاراً في انحاء الدنيا هذا هو السند المتصل لانجيل متى ولا يقدر المعترض ان يأتي بالسند المتصل لقرآنه بهذه الكيفية القوية واذا قلّبنا المسألة من اي وجه رأينا البينات ناطقة بأن انجيل متى كتبهُ هذا الرسول ونقل الينا كما كتبهُ

قال المعترض ان جيروم صرح بان بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكّون في الاصحاح الاخر من انجيل مرقص وان نورتن قال في انجيل مرقص عبارة واحدة قابلة للتحقيق وهي من الآية التاسعة الى آخر الاصحاح الاخير قلنا ان قوله ان العلماء كانوا يشكون في الاصحاح الاخير من انجيل مرقص هو افتراء محض

غاية الامر ان غريغوريوس اسقف (نسا) في كبدوكية قال ان انجيل مرقص ينتهي بقوله (وخافوا) وغض الطرف عن الاثنتي عشرة آية الاخيرة لانه لم يجدها في بعض نسخ الفاتيكان ومن المؤكد انها كانت موجودة في نسخ كريسباخ ولكن بوضع قوسين عليها غير ان الادلة المؤيدة لصحتها هي في غاية الاهمية (اولاً) ان هذه الآيات الاثنتي عشرة هي موجودة في نسخة اسكندرية (ثانياً) ان السبع الآيات الاولى التي هي محل الخلاف موجودة في نسخة (بزية) وهي موجودة في تفاسير (ثيوفيلاكت) اليونانية (ثالثاً) ان الاثنتي عشرة آية موجودة في النسخ السريانية القديمة وفي النسخ العربية وفي النسخ اللاتينية ورواها اوغسطين وامبروس وليو اسقف رومة الملقب بالجليل القدر (رابعاً) استشهاد ايرينيوس الذي كان في الجيل الثاني بالآية التاسعة عشرة من هذا الاصحاح الاخير الذي لا يشتمل الا على عشرين آية وهذا الدليل هو من أهم الادلة واقواها (خامساً) شهد هيبوليتيوس من علماء اوائل الجيل الثالث بتأييد هذه الآيات وهذه الادلة التي اوردنا لا يمكن ان يؤتى بأقوى منها لتأييد اي شيء ما في الدنيا وقوله وضع عليها علامة الشك صوابه ان يوضع عليها قوسان ونقدم ما فيه الكفاية

قال المعترض ان بعض القدماء كانوا يشكون في بعض آيات من ص ٢٢ من انجيل لوقا وان بعض القدماء كانوا يشكون في الاصحاحين الاولين منهُ ولم يكونا في نسخة فرقة (مارسيوني) قلنا عبارته توهم انهُ حصل شك في جملة آيات من الاصحاح الثاني والعشرين من انجيل لوقا وهو ليس في محلهِ والحقيقة هي انهُ لم يوجد في بعض النسخ آية ٤٣ وآية ٤٤ من ص ٢٢ وعليها في بعض النسخ قوسان فظن ايفانيوس وهيلاري وجيروم انهما ساقطتان في بعض نسخ

يونانية ولاتينية والحقيقة هي انهما موجودتان في اغلب النسخ بدون قوسين كما قال (روزنمولر) وهما موجودتان في جميع النسخ القديمة ما عدا نسخة الصعيديك وايد صحتهما يوستين الشهيد وهيبوليتيوس وايرينيوس وابيفانيوس وكرسوستم وجيروم وتيودور وتيطس من بسترا وسيساريوس وسبب حذفهما من بعض النسخ هو انه ظن بعض ضعاف العقول انهما يؤيدان بدعة الاريوسيين ولكن أنّى يتأتى لهم حذف آيتين او آية بدون ان يزيف ائمة الدين وعلماء الكنيسة المسيحية عملهما وثانياً ان اخصامهما واقفون لهم بالمرصاد فلا يجسرون على عمل شيء من ذلك بدون ان يكشفوا الامر ويفضحوا العمل ولا سيما ان هذه الاناجيل كانت تقرأ في المعابد وكانت الديانة المسيحية منتشرة في انحاء الدنيا

اما قوله ارتاب بعضهم في الاصحاحين الاوّلين من انجيل لوقا قلنا لم يشك فيهما سوى فرقة ضالة لا تعتقد بان المسيح ولد بهِ من الروح القدس بدون واسطة بشرية وهما موجودان في جميع النسخ القديمة بلا استثناء وزد على هذا ان الاصحاح الاوّل مرتبط بالاصحاح الثاني والاصحاح الثاني مرتبط بالاصحاح الثالث بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولا يمكن ان يكون اول الانجيل الاصحاح الثالث لئلاَّ يختل المعنى وقال المعترض ان مارسيئوس رئيس فرقة المارسيونية حذفهما والحقيقة هي ان مارسيئوس ابتدع بدعة في الدين فقال ان المسيح هو مجرَّد انسان وانهُ لم يولد من مريم العذراء بل ظهر رجلاً كاملاً ورفض كتب موسى والانبياء والزبور ولم يقبل من العهد الجديد سوى انجيل واحد وعشرة من رسائل بولس الرسول واخذ يتصرَّف فيها كما شاء فانتصب لدحض ضلالتهِ كثير من العلماء ولا سيما ترتوليان والمعترض يعرف انهُ ظهر كثيرون من الاسلام من يرفضون من القرآن اشياء كثيرة مثل العجاردة

الذين تقدم ذكرهم فانهم يرفضون سورة يوسف ومثل الشيعة الذين يرمون بعض الخلفاء بحذف آيات كثيرة من فضائل علي بسبب العداوة التي كانت موجودة بينهم وغير ذلك من الفرق الكثيرة فينتج مما تقدم انهُ لم يقل احد من العلماء المتقدمين ولا المتأخرين ولا احد من اعداء الدين بسقوط الاصحاحين الاولين من انجيل لوقا غاية الامر ان بعض الكفرة لم يعتقدوا بما فيهما والقرآن ذاته يعتقد بهما فاخذ منهما قصة زكريَّا و يحيى وولادة المسيح فذكر في سورة آل عمران ٤٠ — ٤٢ ونقتصر على ايراد البعض يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين و يكلم الناس في المهدِ وكهلاً ومن الصالحين قالت ربي أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشرٌ قال كذلك الله يخلق ما يشاء وورد في سورة مريم ١٩ : ٢٠ قالت أنَّى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أَكُ بغيًّا قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيّن ولنجعلهُ آية للناس ورحمة منا الى آخر القصة وفي سورة النساء ٤ : ١٦٩ انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمتهُ ألقاها الى مريم وروحٌ منهُ فبدعة مارسينوس منافية لما ورد في ذات القرآن

قال لم يثبت بالسند الكامل ان الانجيل المنسوب الى يوحنا من تصنيفهِ بل هنا امور تدل على خلافه منها طريقة التصنيف فان آية ٢٤ من ص ٢١ ونصها هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم ان شهادته حق فانتقل فيها من صيغة الغائب الى صيغة المتكلم فعلم ان كاتبهُ غير يوحنا وادعى ان كاتبهُ وجد شيئاً من مكتوبات يوحنا فنقل عنهُ بزيادة ونقصان والله اعلم انتهى كلامهُ

قلنا ان انتقال المؤلف من الغائب الى المتكلم هو من أساليب الكلام الفصيح وهو المعروف بالالتفات وهو الانتقال من أسلوب الى آخر اعني من المتكلم او الخطاب او الغيبة الى آخر منها بعد التعبير بالاول قال السكاكي اما

ذلك او التعبير باحدهما فيما حقه التعبير بغيره وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسلامة من الاستمرار على منوال واحد هذه فائدته العامة وورد في القرآن اغلب هذه الانواع ونقتصر على ايراد مثال من الغيبة الى المتكلم نحو الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه واوحى في كل سماء امرها وزينا سبحان الذي اسرى بعبده الى قوله باركنا حوله لنريه من آياتنا ثم التفت ثانياً الى الغيبة فقال انه هو السميع البصير وعلى قراءة حسن (ليريه) بالغيبة يكون التفاتاً ثالثاً وفي (انه) التفات رابع فيوحنا الانجيلي ختم انجيله بان تكلم عن نفسه بصيغة الغائب بان قال انه التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ثم اكد كلامه وانه لامراء فيه بقوله ونعلم ان شهادته حق فهو التفات وتجريد على رأي السكاكي وعلى رأي غيره هو تجريد فقط وورد في القرآن هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم تجريد والتفات اذ الضميرين في نفس الامر لشيء واحد وبالادعاء لشيئين ومنه في الشعر قوله

ولئن بقيت لارحلن بغزوة   تحوي الغنائم او يموت كريم

يعني نفسه ونقدم ان المؤلفين تكلموا عن انفسهم بصيغة الغيبة

اما انجيل يوحنا فقبله جميع المسيحيين بالاجماع ولم يشك احد في نزوله على يوحنا الرسولي فانه صرح في الآية الاخيرة من انجيله بانه هو الذي نظر وشهد وكتب وبصرف النظر عن الشهادة الداخلية فالسند المتصل على صحته هو متين فسلمه الينا ائمة المسيحيين القدماء وتكلم عليه اكلندوس اسقف رومة وبرنابا واثناسيوس اسقف انطاكية وكان تلميذ يوحنا واجتمع بكثيرين من الرسل الحواريين وكذلك كان يتعبد بتلاوته يوستين الشهيد وناتيان وكنائس

و يانة وليون وايرينيوس واثيناغورس وثيوفيلوس اسقف انطاكية واكليمندس الاسكندري وترتوليان وامونيوس واورجينوس ويوسيبوس وابيفانيوس واوغسطين وكرسوستوم وبالاختصار جميع العلماء وائمة الدين الذين ظهروا في الجيل الاول المسيحي وقس على ذلك الذين ظهروا بعد هذا الجيل والذي بعده الى ان وصل الينا بتفاسيره وشروحه فهذا هو السند المتصل لهذا الانجيل ومن العجب انه بعد هذه الادلة يتصدى بعض المتعنتين ويدعي ان الذي كتب هذا الانجيل احد المسيحيين من الجيل الثاني بعد انتقال الرسول الى دار البقاء وكذلك من الغرائب ان جروتيوس ذهب الى ان الرسول كتبه لغاية الاصحاح العشرين وان كنيسة افسس ألحقت به الاصحاح الحادي والعشرين ومن راجع جميع النسخ ثبت له بطلان هذين الرأيين ولا سيما ان الانجيل كان منتشراً في الكنائس المسيحية قبل وفاة الرسول فلو كانت كنيسة افسس زادت اصحاحاً واحداً كما توهم البعض لوجدت اقلهُ نسخة واحدة بدون هذا الاصحاح ولكن لا يوجد شيء من هذا فيثبت اذن المطلوب

قال ان بعضهم ارتاب في الاحدى عشر آية المذكورة في اول الاصحاح الثامن قلنا اثبت العلماء المحققون وجودها في جميع النسخ وقد عدّ كريسباخ ثمانين نسخة مثبتة فيها هذه الآيات فكيف وجدت في هذه النسخ اذا كانت ساقطة وأيد اوغسطين صحتها فكأن بعض النساخ استكبر عدم عقاب المسيح للامرأة التي امسكت في الزنى ولم يدرِ انه اتى ليس ليدين العالم بل ليخلص العالم ويعلمنا ان الواجب على الانسان الاشتغال بعيبه فان عيوب كل انسان تكفيه وتلهيه عن الاشتغال بعيب اخيه

وادعى المعترض بان ايرينيوس لم يشر الى هذا الانجيل مع انهُ تلميذ

بوليكاربوس تلميذ يوحنا قلنا ان ايرينيوس تكلم على هذا الانجيل وعلى غايته وهاك نص عبارته وهي انه لما كان مطمح نظر يوحنا دحض بدع وضلالات سرنثاس والنيقولاويين كتب انجيله بوحي الهي فاوضح فيه وحدانية الله الذي خلق جميع الاشياء بكلمته وفند اقوال من ذهب الى انه يوجد خالق للعالم وآخر ابو الرب وآخر ابن الخالق وآخر المسيح وقال ايرينيوس ان يوحنا تلميذ ربنا قال ما نصه واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع المسيح هو ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حيوة باسمه (يو ٢٠ : ٣١) وغاية الرسول ان يحذرنا من اصحاب البدع الكفرية الذين يشركون بالله هذه هي نص عبارات ايرينيوس وهي مستوفية وقد اثبتها اوغسطينوس وغيره فعلى المعترض الاذعان للحق

قال ان فرق الوجين التي كانت في القرن الثاني كانت تنكر هذا الانجيل وجميع تصانيف يوحنا قلنا ان عبارته هذه توهم ان فرقة الوجين هي من المسيحيين مع انها شيعة ابتدعت ضلالة كفرية وهي كبعض الفرق الاسلامية التي ذهبت الى ان علياً هو الله فان عبدالله بن سبا قال لعلي انت انت يعني انت الاله وله شيعة وزعموا ان علياً حي لم يقتل وفيه الجزء الالهي ولا يجوز ان يستولى عليه وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه سينزل بعد ذلك الى الارض ففرقة الوجي التي استشهد بها المعترض هي عند المسيحيين من هذا القبيل والحاصل انه كانت غاية يوحنا الرسول من كتابة هذا الانجيل استئصال الضلالات ولا سيما ضلالة سرنثاس وهو يهودي تهذب في اسكندرية في اواخر الجيل الاول وحاول احداث طريقة تكون جامعة لتعاليم الديانة المسيحية وضلالات اصحاب المذاهب الكفرية فرد عليه الرسول يوحنا واوضح ان المسيح هو لوغوس او كلمة الله وان الكلمة هي الله فالمسيح هو الله وانه كان

مع الله وهو الخالق لجميع العالمين وان الحياة والنور ليسا روحين بل هما الكلمة والمسيح هو الكلمة والحياة والنور وانه لم تحل في يوحنا روح خصوصية بل هو انسان مبشر بالمسيح وغير ذلك كما يعلم من المطولات

﴿ زمن نزول الاناجيل ﴾

قال اختلف العلماء في زمن نزول الاناجيل لان القدماء الاولين صدقوا الكتابات الواهية ودوّنوها فاقتفى اثرهم الذين اتوا بعدهم واورد اختلاف الازمنة التي نزلت فيها الاناجيل قلنا ان انجيل متى نزل في سنة ٣٧ او ٣٨ لانهُ لما حل الروح القدس على الحواريين ارشدهم الى تدوين الاناجيل لتثبيت المؤمنين على ايمانهم وكذلك نزل انجيل مرقص في سنة ٥٦ وانجيل لوقا في سنة ٥٣ وانجيل يوحنا في سنة ٦٨ على انهُ اذا لم يمكن تعيين زمن نزول كل انجيل بالتدقيق فهذا لا يقدح فيها والمعترض يعرف انه مع حداثة عهد القرآن فقد اختلفوا في زمن نزول سورهِ اختلافاً كبيراً فتارة قالوا هذه السورة مكية واخرى مدنية ولا يخفى ان المكي هو ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة ام بالمدينة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر من الاسفار ولهم اقوال في معنى المكي والمدني غير ما ذكر وعلى كل حال فهو يدل على اختلاف ازمنة نزول السور فاختلفوا حتى في سورة الفاتحة فقالوا انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وقيل انها مدنية وقيل ان ابليس رن حين انزلت وذهب بعضهم الى انها انزلت مرّتين مرّة بمكة ومرّة بالمدينة وقيل قول رابع انها نزلت نصفين نصفها بمكة ونصفها بالمدينة وقس على ذلك اختلافهم في سور النساء ويونس والرّعد والحج والفرقان ويس وص والحجرات والرّحمن والحديد والصف والجمعة والتغابن والملك والانسان والمطففين والاعلى والفجر والبلد والليل والقدر ولم يكن والزلزلة

والعاديات والحاكم وغيرها وهنا يوجد فرق جسيم بين الانجيل والقرآن فالقرآن حديث عهد بخلاف الانجيل وثانياً ان اختلاف المسلمين هو في ذات كل جزء من اجزاء القرآن بل في ذات الآيات اما الاختلاف الذي حصل في زمن نزول الانجيل فهو عن المجموع كله برمته وليس عن اصحاح ولا عن آية وهذا يدل على ان القرآن نزل مقطعاً وكان صاحبهُ ينقل من هذا تارة ومن ذاك أخرى في ازمنة وامكنة متنوعة فلم يعرف احد بالتحقيق زمان كتابة كلامه ومع ما في ذلك من الوصمة الاَّ انهُ لم يقل احد ان هذا اخل بهِ وكان موجباً لرفضهِ

❋ الفصل العاشر ❋

(في رسالة بولس الى العبرانيين ورسائل يوحنا و يعقوب و يهوذا)

ونقل المعترض اعتراضات على رسالة بولس الرسول الى العبرانيين وغض الطرف عن البينات الدالة على نزولها على بولس الرسول فادعى ان رسالة بولس الرسول الى العبرانيين كتبها كلمندس اسقف رومة وان لوقا الانجيلي ترجمها وان ايرينيوس اسقف ليون الذي كان في سنة ١٧٨ انكرها وان هيبولتيوس الذي كان في سنة ٢٢٠ لم يقبلها كرسالة الرسول بولس وكذلك لم يقبلها نومانوس اسقف رومة في سنة ٢٥١ وان ترتوليان اسقف قرطاجنة نسبها في سنة ٢٠٠ الى برنابا وان غايوس الذي كان يظن انهُ اسقف رومة سنة ٢١٢ قال ان رسائل بولس الرسول ثلاثة عشر ولم يعد هذه الرسالة منها وان سبريان اسقف قرطاجنة في سنة ٢٤٨ لم يستشهد بها انتهى

فنقول اما قوله انها نزلت على اكلمندس اسقف رومية فيبطلهُ ان اكلمندس هذا استشهد بها في رسالة حرَّرها في سنة ٩٦ ومن الاتفاقات العجيبة انهُ كثيرًا ما يستشهد هذا الفاضل في مؤلفاته برسالة بولس الرسول الى العبرانيين اكثر من استشهاده بغيرها من كتب العهد الجديد وقسم احد الافاضل استشهاداتهِ بهـا الى اربعة اقسام القسم الاوَّل إيراده للآيات من هذه الرسالة بنصها وفصها (٢) نقلها بالمعنى (٣) العبارات التي حذا فيهـا حذو هذه

الرسالة من التفسير والشرح (٤) اقتباسهُ الآيات الواردة فيها من العهد القديم فلا يعقل ان اكلمندس يكون كاتباً لهذه الرسالة ثم يستشهد بها لتأييد اقواله (ثانياً) أما قولهُ ان لوقا الانجيلي ترجمها من اللغة العبرية الى اللغة اليونانية فلا يوجد دليل على ان هذه الرسالة نزلت باللغة العبرية وانما استنتج البعض انها كتبت باللغة العبرية لان الغاية منها افادة العبرانيين ولكننا نقول ان كتب العهد الجديد كتبت باللغة اليونانية لانها كانت منتشرة وفاشية في انحاء الدنيا والغاية افادة الورى وعلى هذا القياس كتب الرسول بولس رسالته الى اهل رومية فلم يكتبها باللغة اللاتينية لغة سكان رومة بل كتبها باللغة اليونانية ومن تأمل في عبارات هذه الرسالة لم يجد فيها رائحة الترجمة وتكلفها وتعسفها فلغتها اصلية عليها الرشاقة والفصاحة وخالصة عن تكلف الترجمة (٢) انه متى ذكر فيها اسماً عبرياً فسره مثاله ملكي صادق ففسره بملك البر (٧: ٢) فلوكانت هذه الرسالة مكتوبة باللغة العبرية لما احتاج الى هذا التفسير (٣) ان الآيات التي استشهد بها من العهد القديم مقتبسة من الترجمة السبعينية لا من النسخة العبرية على انهُ اذا صرفنا النظر عن هذه الادلة والبراهين وقلنا ان الرسول لوقا ترجمها لما حط ذلك بقدرها فان لوقا من الرسل وهي ليست كالقرآن الذي تضيع طلاوته ومعانيه اذا ترجم الى لغة من اللغات الاجنبية لانها ملآنة من المعاني والحقائق المهمة وليست كناية عن الفاظ مزخرفة لا معنى لها (ثالثاً) اما نسبتها الى برنابا فهو في غير محله فان برنابا لم يكن في ايطاليا ويستدل من ص ١٣ : ٢٤ بانها كتبت من ايطاليا ومن قارن بين اسلوب كتابة برنابا وبين اقوال هذه الرسالة وجد بوناً عظيماً في التركيب ونسق العبارة وقد قال بطرس الرسول في رسالته الثانية (ص ٣ : ١٥ و ١٦) انها نزلت على بولس الرسول

فانهُ كان طالع رسائله واشار اليها في جملة من اقوالهِ ثانياً ان هذه الرسالة كانت موجودة في نسخ الكتاب المقدس الشرقية والغربية وتوجد في النسخة السورية القديمة التي ترجمت في اواخر الجيل الاول وفي اوائل الجيل الثاني وفي التراجم اللاتينية التي ترجمت في اوائل الجيل الثاني وكانت هذه التراجم متداولة بين الكنائس الشرقية والغربية وهذا يدل على ان رسالة بولس الرسول كانت متداولة بين المسيحيين الاول وثالثاً ان القدماء شهدوا بان بولس الرسول كتب هذه الرسالة فتكلم عليها اغناتيوس في رسائلهِ في سنة ١٠٧ وتكلم عليها بوليكاربوس اسقف ازمير في رسالتهِ الى اهل فيلبي في سنة ١٠٨ واستشهد بها يوستين الشهيد في محاورته مع تريفو اليهودي في سنة ١٤٠ وكثيراً ما استشهد بها كلمندس الاسكندري على انها رسالة بولس الرسول في سنة ١٩٤ وشهد اورجينوس في سنة ٢٣٠ بانها رسالة بولس الرسول وكذلك ديونسيوس اسقف اسكندرية في عام ٢٤٧ وثيوغنوستوس الاسكندري في عام ٢٨٢ ومثوديوس في عام ٢٩٢ وبامفيلوس في عام ٢٩٤ وارخيلارس اسقف ما بين النهرين في اوائل الجيل الرابع والمانيخيون في الجيل الرابع والبوليسيان في الجيل السابع وفي عام ٣١٣ قال اسقف اسكندرية انها نزلت على بولس وقال يوسيبوس اسقف قيصرية في عام ٣١٥ ان لبولس الرسول اربعة عشرة رسالة منها رسالة العبرانيين وصدق عليها اثناسيوس وقد اقتصرنا على ذلك فانهُ يمكن الاستشهاد بالافاضل ائمة الدين لغاية الوقت الحاضر والذين ذكرناهم هم من الكنيسة الشرقية والمعترض يعرف انهُ يمكن ان نؤتي بشهادات ائمة الدين الغربيين كما هو مدوَّن في المطوَّلات

ولا ننكر ان بعض الغربيين ارتابوا في نسبتها الى بولس الرسول وسبب ذلك هو انهم رأوا اسم الرسول مكتوباً في جميع رسائله الثلاثة عشرة ما عدا

هذه الرسالة وعند امعان النظر ومقارنة اقوالها باقوال الرسول تثبت هذه الحقيقة والرسول بولس كان لهُ المام تام بالشريعة الموسوية وقد اخذها عند ارجل غمالائيل اشهر علماء عصره فكان هو طبعاً كاتب هذه الرسالة المشتملة على الدقائق الموسوية على ان ايرينيوس الذي ادعى بانه ارتاب فيها كان يستشهد بها والحاصل ان جمهور ائمة الدين الغربيين يعتقدون بنزولها على بولس الرسول ويؤخذ من شهاداتهم انهُ عمَّ تداولها بعد نزولها بثلاثين سنة وارسل اسقف رومة التي كانت عاصمة الدنيا وقتئذٍ جواباً الى كنيسة كورنثوس يوضح فيهِ انها من الكتب المقدسة الموحي بها من الروح القدس وفي ذلك الوقت قبلها المسيحيون شرقاً وغرباً اما الادلة الداخلية الدالة على صحة نسبتها الى الرسول بولس فتحتاج الى مجلد

قال المعترض ان راجرس ذكر كثيرين من علماء البروتستانت لم يقبلوا رسالة يعقوب والرسالة الثانية والثالثة للرسول يوحنا وكذلك لم يقبلوا رسالة يهوذا ورؤيا يوحنا اللاهوتي وان الدكتور (بلس) قال ان رسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ليست من كتابة يوحنا وليست كتابة الحواريين وقد كرَّر المعترض هذه العبارة مرَّتين وفي اعتراضاته تشويش وعدم ترتيب وها نتكلم على كل رسالة ولنبدأ اولاً بالكلام على رسالة يعقوب الرسول فنقول من الادلة الدالة على ان رسالة يعقوب الرسول من الكتب الموحي بها هو انها كانت من كتب العهد الجديد التي ترجمت في اواخر الجيل الاول فلو كان علماء الكنيسة الاولى الذين كانوا مشهورين بالعدالة وبساطة الايمان يرتابون فيها لما جعلوها من الكتب التي كانوا يتعبدون بتلاوتها في معابدهم ولما اهتموا بترجمتها فهي اذن قديمة عهد ونزلت في زمن الحواريين وثانياً ان علماء المسيحيين الاول كانوا يستشهدون بها في مؤلفاتهم فاستشهد بها كلمندس اسقف

رومة مرّتين واستشهد بها هرمس سبع مرّات واستشهد بها اورجين وهيروم واثناسيوس والعلماء الذين اتوا بعدهم ولما التأمت المجامع العامة والخاصة لم يشك احد في انها من الكتب الالهية وقس على ذلك رسالة بطرس الرسول الثانية فاشار اكلمندس اسقف كنيسة رومة ثلاث مرّات الى الاصحاح الثاني ومرّة الى الاصحاح الثالث وتكلم هرمس على هذه الرسالة مرّتين وكذلك تكلم عليها اثيناغورس واثناسيوس وكيرلس اسقف اورشليم واعتمد عليها مجمع لاودقيـة وابيفانيوس وجيروم وروفينوس واوغسطين وجميع العلماء الذين اتوا بعدهم ومن البينات ان الرسول صرّح في (ص ١ : ١) بانهُ سمعان بطرس عبد الله يسوع المسيح ولا يخفى ان لوقا الانجيلي قال عن هذا الرسول بانهُ سمعان بطرس ويوحنا الرسول سماه بهذا الاسم في انجيله اكثر من سبعة عشرة مرة (ثانياً) انه قال في ص ١ : ١٤ ما نصه عالمًا ان خلع مسكني قريب كما اعلن لي ربنا يسوع المسيح والمسيح لم يعلن هذا لغير بطرس كما في يو ٢١ : ١٩ وكذلك يعلم في ٢ بط ١ : ١٦ — ١٨ بان كاتب هذه الرسالة كان مع المسيح على جبل التجلي وشاهد عظمته وجلاله وسمع صوت الآب من المجد الاسنى قائلاً هذا هو ابني الحبيب ولا يخفى انه كان مع المسيح على جبل التجلي بطرس ويعقوب ويوحنا (مت ١٧ : ١ و ٢) فكانت هذه الرسالة لاحد هولاء الرسل وبما انها لم تنسب الى يعقوب ولا الى يوحنا تعين ان كاتبها هو بطرس الرسول بل ان الرسول ذاته قال انها الرسالة الثانية (ص ٣ : ١) وانه كتبهـا الى المؤمنين العبرانيين (ثالثاً) ان كاتبها قال عن بولس بانه اخوه الحبيب (٣ : ١٥ و ١٦) ومدح رسائل بولس فلولم يكن رسولاً لما قال عن بولس بانه اخوه الحبيب (رابعاً) من تحرّى هذه الرسالة رأى الروح الرسولي ظاهرًا كالشمس في رابعة النهار

وفيها نبوّات عن المستقبل والتحذير من المعلمين الكذبة والحض على التقوى والقداسة (خامساً) من تأمل في عباراتها وجد تشابهاً بينها وبين عبارات الرسالة الاولى فذكر في الرسالة الاولى (٣ : ٢١) الطوفان ولم يذكره احد من الحواريين في رسائله وذكره في رسالته الثانية ايضاً (٢ : ٥) وذكر في كل من هاتين الرسالتين انهُ نجا من الطوفان ثمانية اشخاص فيثبت ان رسالتي يعقوب وبطرس نزلتا على الحواريين المنسوبة اليهما قطعاً

اما رسالتا يوحنا الثانية والثالثة فأيد ائمة الدين المسيحي في الاعصر الاولى نزولهما على يوحنا فاستشهد ايرينيوس في مؤلفاته بالرسالة الثانية واعتمد عليها اكلندوس اسقف اسكندرية في الاعتقادات الدينية وذكر اورجينوس هذه الرسائل الثلاث بالاعتبار الديني الواجب لمنزلتها وقال ديونسيوس الاسكندري ان الرسالة الثانية والثالثة هما ليوحنا الرسولي واستشهد اسكندر اسقف اسكندرية بالرسالة الثانية في مؤلفاته وتمسك بعروة هذه الرسائل الثلاث اثاسيوس وكيرللس اسقف اورشليم وابيفانيوس وجيروم وروفينوس وجميع العلماء الذين اتوا عقبهم ومن دقق النظر في اسلوب تركيبهما ظهر لهُ انهُ يشبه اسلوب تأليف الرسالة الاولى فلذا جزم المحققون ان كاتب الجميع هو واحد والارجح انهما نزلتا في سنة ٦٨ او ٦٩ مسيحية وهو ذات تاريخ رسالته الاولى نعم لا ينكر ان بعض الكنائس السورية اشتبهت فيهما وسببه هو ان الرسول قال انا الشيخ ولم يقل انهُ رسول فاشتبه عليهم الامر ولكن لو تأمل الفطن قليلاً لأتضح لهُ ان بطرس قال عن نفسه بانهُ شيخ (١ بط ٥ : ١) وهو لا ينافي انهُ رسول اما رسالة يهوذا فالادلة على نسبتها الى هذا الرسول هي عديدة فانها مدوَّنة في السجلات المشتملة على كتب العهد الجديد وايدها اكلندس اسقف اسكندرية

وترتوليان واورجينوس والائمة الاعلام المتقدمون واستشهدوا بها في مؤلفاتهم كما قال (يوسيبوس) وبصرف النظر عن هذه الادلة الخارجية فاقوالها تؤيد صحتها اذ لا يصح صدورها الا ممن كان رسولاً فحكم فيها على المضلين الذين اضلوا الناس وشنع في الذين اتبعوا الغواية ولصقوا بالرذيلة مراعاة للربح وحث المسيحيين على التمسك بالتقوى فلو كانت تأليف مضل لاشتملت على ضلالة او غواية واذا قيل لماذا اشتبه فيها البعض قلنا سببهُ انهُ ورد فيها الاستشهاد بأقوال اخنوخ السابع من آدم قائلاً هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم هذه هي نبوة اخنوخ وبما انهُ ليس لهُ كتاب اشتبه البعض في رسالة يهوذا ولكن قد كانت هذه النبوة متواترة على السن اليهود واذا فرض انهُ كان يوجد لاخنوخ النبي كتاب فالاستشهاد ببعضه لا يخل بالرسالة وقد تقدم وقلنا ان بولس الرسول استشهد باقوال شعراء اثينا في خطاباته ليتوصل بذلك الى تفهيم اليونان الاله الحي الحقيقي كما في اعمال الرسل (١٧ : ٢٨) واستشهد بقول (مناندر) كما في (١ كو ١٥ : ٣٣) واستشهد بابمينيدس كما في تيطس (١ : ١٢) فاذا كانت الاشياء المستشهد بها هي حقيقية لا مانع من الاستشهاد بها ولكن ماذا نقول في القرآن الذي نسب الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب كتباً منزلة مع انهُ ليس لهم كتب ولم يكتف بذلك بل نسب الى الاسباط كتباً الهية فعلى هذا لو كان القرآن في يد المسيحيين المدققين لرفضوهُ رفضاً باتاً لان صاحبهُ ادعى نزول كتب سموية على أناس لا يليق ان يكونوا انبياء كاسمعيل والاسباط وغيرهم ولكن ماذا نقول في الذين يدعون بوجود مليون من الانبياء فهل يجوز الاشتباه في رسالة يهوذا لاستشهادها باقوال اخنوخ الذي نقلهُ الله حياً الى السماء ولم يرَ الموت لايمانهِ

ونقواه هذا مع شهرته عند الأمة اليهودية

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

(رؤيا يوحنا اللاهوتي)

اما رؤيا يوحنا فقد تمسك بعروتها الوثقى المسيحيون الاولون ومع ذلك ففي الجيل الثالث خالج بعض الصدور شك وريب بسبب بعض الاراء بخصوص تسلطن المسيح ألف عام ومع ذلك فقال العلامة (اسحق نيوتون) ان الادلة والبراهين المؤيدة صحة سفر الرؤيا هي اكثر واوفر من الادلة انا أيد اي كتاب من الكتب الالهية وقال احد العلماء من تتبع عباراته جزم بانهُ تنزيل الحكيم العليم المطلع على الحاضر والمستقبل وهو بمنزلة تتمة نبوّات دانيال ولنورد بعض ادلة خارجية تؤيد صحة نسبتهِ فنقول

ان اغناتيوس الذي كان في سنة (١٠٧) مسيحية اورد في مؤلفاته ثلاث آيات من هذا الكتاب وبوليكاربوس في سنة (١٠٨) مسيحية اورد عبارات منها في رسالته التي وصلت الينا وفي وقت استشهاده ودنو النار منهُ صلى بما ورد في (١١ : ١٧) وكذلك تمسك بها بابياس في سنة ١١٦ هذه هي شهادات الافاضل ائمة الدين في الجيل الاول من العصر المسيحي

اما شهادات علماء الجيل الثاني فهي ان يوستين الشهيد الذي كان في سنة ١٤٠ مسيحية كان متمسكاً بها وشهد جيروم بانهُ علق شروحاً وتفاسير عليها وما ليتو اسقف سارديس الذي كان في سنة ١٧٧ مسيحية ألف تفسيراً عليها وكثيراً ما قال ايرينيوس اسقف ليون في فرنسا في سنة ١٧٨ في مؤلفاته بان سفر الرؤيا هو ليوحنا تلميذ الرّب واجتمع هذا الفاضل ببوليكاربوس وقال العلامة لاردنر ان شهادتهُ هي شافية كافية لا تحتاج الى برهان وقس على ذلك

شهادات اثيناغوراس وثيوفيلوس اسقف انطاكية في عام ١٨١ وابولونياس في سنة ١٨٦ مسيحية واكلندس الاسكندري ولا سيما ترتوليوس فانهُ ناضل عن هذا الكتاب من المضل مارسيوس وغير ذلك

ومن شهادات علماء الجيل الثالث شهادات هيبوليتوس بورتوانسيس في سنة ٢٢٠ مسيحية فانهُ ألف كتابين بالذود عن هذا الكتاب وكثيرًا ما استشهد بها اورجينوس في سنة ٢٣٠ مسيحية في مؤلفاته وقال انهُ انزل على يوحنا الرسول واضربنا عن ايراد شهادات كثيرين من الائمة المشهورين بالعدالة والتقوى لان ما تقدم هو كاف لمن رغب في الهدى

وفي الجيل الرابع كانت الكنائس اللاتينية بدون استثناء تتعبد بتلاوتها في معابدهم وشهد جيروم الذي كان مشهورًا بالتحقيق والتدقيق في ذلك العصر بانها وحي الهي وحذا حذوهُ علماء الكنيسة الغربية والكنيسة اليونانية والكنيسة السورية والحاصل ان جميع المسيحيين وائمتهم اعتقدوا بان الرؤيا هي تنزيل الحكيم العليم وانها نزلت على يوحنا الرسولي وذلك بالسند المتصل من الجيل الاول لغاية الجيل الرابع ومن بعد هذا الجيل كانت الكنائس المسيحية تأسست في انحاء الدنيا واطرافها واكنافها حتى بلغت الكتب الالهية مبلغ التواتر

ولنتكلم قليلاً على الادلة الداخلية فنقول ان سفر الرؤيا يطابق باقي الكتب الالهية في تعاليمه ثانيًا ان رفعة معانيه واستعاراته الفائقة هما من البراهين على انه تنزيل الحكيم في كلمة الله ينظر الى رفعة المعنى بصرف النظر عن خصائص الالفاظ اللغوية وربما تيسر لارباب القرائح ان يستعيروا قبسًا من هذه النار السموية فيقلدونها ولكنهم يستعينون بفصاحة التأليف البشرية ومع ان محمدًا اخذ جل قرآنه من الكتب المقدسة ولكنهُ لم يرتكن على ذلك فقط بل زين اقواله بزخرفة الالفاظ اللغوية ونمقها وزخرفها وادعى ان بهرجة الالفاظ هي من الادلة على الوحي ولكن لو كان بين قوم غير العرب لسقطت دعواهُ فان العلماء الراسخين لا يلتفتون الى زخرفة الكلام بل

يطلبون براهين داخلية على صدق الوحي كالمعجزات الباهرة وتحقيق النبوّات بالحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلة ويأخذون في التنقيب والتنقير وهل تعاليم النبي تناقض الكتب الالهية التي عندهم ام لا وعلى هذا نظروا في رؤيا يوحنا اللاهوتي فوجدوا ان الشروط اللازمة لصدق الوحي متوفرة فيها فجزموا بانها وحي الهي

ثالثاً ان اسلوب الرؤيا يطابق اسلوب انجيل يوحنا ورسائله واوضح بعض العلماء اوجه المشابهة فالمشابهة في اسلوب التركيب وفي العبارات هي عظيمة فلو لم تنزل على يوحنا لما وجدت هذه المطابقة واول من اعترض على كتاب الرؤيا (ديونيسوس) الاسكندري فقال ان كاتبها هو يوحنا احد مشائخ كنيسة افسس ولنورد اعتراضاته ونرد عليها

قال الاعتراض الاول ان يوحنا الرسول لم يصرح باسمه في انجيله ولا في رسائله مع انه في الرؤيا صرح باسمه قلنا مع انه لم يصرح الحواريون باسمائهم في الاناجيل ولم يصرح الرسول بولس باسمه في رسالة العبرانيين الاّ ان الاجماع والتواتر هما من الادلة القوية على صحة نسبتها اليهم بل نقول مع ان يوحنا لم يصرح باسمه في انجيله الاّ انه وصف نفسه بالاوصاف المميزة له الدالة على انه هو يوحنا اما سبب عدم ذكر اسمه في رسائله فهو ان الاشخاص الذين ارسل اليهم هذه الرسائل يعرفون من اين اتت ومن هو كاتبها وثانياً بما ان الرؤيا تشتمل على نبوات عن امور مستقبلة صرح باسمه لتاكيد الرؤيا

الاعتراض الثاني مع ان كاتب الرؤيا قال انه يوحنا لكنه لم يردف اسمه بلفظة الرسول قلنا بما انه كتب الرؤيا من جزيرة بطمس الى السبع الكنائس كانت هذه الكنائس تعرفه طبعاً وزد على هذا انه قال انه متكبد الضيق بسبب كلمة الله وشهادة يسوع المسيح في جزيرة بطمس والكنائس كانت تعرف ان يوحنا نفي الى هذه الجزيرة وقاسى مضض الاضطهاد بسبب كلمة الله فلا لزوم اذن الى زيادة الايضاح فلو كان كاتبها اسقفاً او شيخاً في الكنيسة لوجب عليه

ان يصرح بلقبه وكنيته واسم كنيسته والرسول يوحنا لا يحتاج الى هذا

الاعتراض الثالث لم يرد في الرؤيا ذكر لرسائله السابقة قلنا جرت عادة الرسل ان لا يشيروا في رسائلهم الى كتاباتهم السابقة فلم يشر بولس الرسول في رسالته الى اهل رومية الى رسائله السابقة مع انه كان ارسل غيرها الى الكنائس

الاعتراض الرابع توجد مشابهة بين انجيل يوحنا وبين رسائله في اسلوب التركيب ولكن لا توجد مشابهة بين انجيله وبين الرؤيا قلنا اذا ثبت عدم وجود مشابهة في العبارة فسببه اختلاف الموضوع فان اسلوب الاخبار هو غير اسلوب النبوّة على انه قد ثبت بعد التحري ان الاسلوب واحد وانه لا بد ان كاتب انجيل يوحنا هو كاتب الرؤيا

الاعتراض الخامس ان لغة انجيل يوحنا ورسالته هي فصيحة وهو يدل على ان كاتبها متضلع من تلك اللغة بخلاف لغة الرؤيا قلنا قرر العلماء الراسخون في علم اللغة بان اللغة في الجميع هي واحدة ولو سلمنا جدلاً بوجود فرق لقلنا ان يوحنا كتب الانجيل في سنة ٦٨ وفي رواية ٩٧ مسيحية بعد التأمل والتفكر اما الرؤيا فكتبها وهو منفي وحالما شاهدها بادر الى تدوينها

الاعتراض السادس ان عبارات هذا الكتاب مبهمة بحيث لا تفهم قلنا انها رؤيا وهي تشتمل على نبوات ولا يخفى ان اصطلاحات النبوات تحتاج الى نظر وفكر لان عباراتها بالكناية والرموز والاشارات والاستعارات مثل نبوات دانيال والمسيح صدق على نبواته كما في (مت ٢٤ : ١٥) فوجود اصطلاحات النبوات فيها دلالة على صحتها هذه هي الاعتراضات التي اوردها المعترض نقلاً عن كتب المسيحيين ولكنه غض الطرف عن نقضها ودحضها ولكن عليه ان

يعرف ان قرآنه ينقسم الى قسمين محكم ومتشابه فالمحكم لا نتوقف معرفته على البيان او هو ما عرف المراد منه اما بالظهور واما بالتأويل والمتشابه لا يرجى بيانه او ما استأثر الله بعلمه ومن المتشابه كهيعص ويس وحم وغير ذلك ولكن الكتب الالهية منزهة عن هذه الهنات غاية الامر انها تشتمل على كنايات واشارات واستعارات وتشبيهات تظهر حقيقتها عند التأمل وعند مقارنتها ببعضها

اما قوله ان الرسول بولس لم يكتب شيئاً من رسائله وان الانجيل وضعه شخص فهو انكار حقائق ضرورية لا تحتاج الى فكر ونظر واذا جمعنا اقتباسات ائمة الدين في الاعصر الاولى واستشهاداتهم برسائل بولس الرسول وبالاناجيل لكان مجموعها يشتمل على هذه الرسائل وعلى هذه الاناجيل

﴿ نتيجة ما تقدم ﴾

ينتج مما تقدم ان الحواريين الذين يشهد لهم القرآن بانهم انصار الله كما في سورة آل عمران ٣ : ٤٥ وفي سورة الصف ٦١ : ١٤ دونوا الاناجيل بالكتابة لتأييد التعاليم الطاهرة ولتكون هدًى ونوراً للناس تقيهم الضلالة وكان المسيحيون في الاجيال الاولى يتعبدون بتلاوة اناجيلهم ورسائلهم في المعابد والمساجد وكان للكتب المقدسة منزلة رفيعة عند الائمة وغيرهم فكانوا يستشهدون بها في خلافاتهم ويؤيدون بها حججهم وبراهينهم لانها نزلت على الحواريين الذين عملوا المعجزات الباهرة من اقامة الموتى وشفاء المرضى ومعرفة الغيب فكانت هذه المعجزات مؤيدة لاقوالهم وشهادة على انها تنزيل الحكيم العليم وقد ترجمت كتبهم في الجيل الثاني الى اللغة اللاتينية ثم الى اللغة القبطية والحبشية والعربية والارمنية وغيرها لان انوار الانجيل كانت انتشرت بسرعة غريبة في انحاء الدنيا وذهب بعض الكفرة الذين يجحدون كل حقيقة في الدنيا الى ان

كتب العهد الجديد لم تعتبر دستوراً للايمان والاعمال الا عند التئام مجلس لاودقية في سنة ٣٦٤ مسيحية والحقيقة هي انه لم تكن غاية هذا المجلس الاقرار على ان هذه الكتب هي الدستور الوحيد والقانون الفريد للاعمال والايمان بل النظر في قراءتها علانية وجهراً فان هذه الكتب لا تحتاج الى قرار ولا الى قول محققين لتأييد سلطتها وقوتها فانها مؤيدة بالروح القدس والمعجزات الباهرة الدالة على انها وحي الهي وشهد الكتاب المقدس لبولس الرسول بما نصه (وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة حتى كان يؤتى على جسده بمناديل او مآزر المرضى فتزول عنهم الامراض) وهكذا كان باقي الرسل فالكتب التى نزلت على اولئك الرسل الكرام لا تحتاج الى واسطة بشرية للتصديق عليها فكانت غاية المجامع شيئاً آخر وهو النظر في كيفية التعبد بتلاوتها وهذا الوصف لا يصدق على القرآن فانه لم يؤيد بمعجزة مع انها كانت ضرورية لتأييد اقواله وكثيراً ما طلب منه الذين دعاهم الى الايمان بهِ اظهار معجزة فقال ان الانبياء السابقين عملوا معجزات فرفض قومهم كلامهم وهو عذر فارغ

وقد ثبت بان كتب العهد الجديد جمعت قبل موت يوحنا الرسولي فاطلع وصدق عليها لان الله اطال في حياته بعنايتهِ الالهية لهذه الغاية المهمة واذا قيل انهُ طرأ عليها تغيير او تبديل قلنا ان المسيحيين وعلماءهم وائمتهم حافظوا عليها من جيل الى آخر بغاية الاهتمام وكانت ائمة الدين بمنزلة سبط لاوي الذي افرزهُ الله للمحافظة على الشريعة واقامة شعائرها فكان ائمة الدين المسيحي منقطعين لقراءتها وتفسيرها وشرحها والوعظ منها وكانوا شديدي الحرص عليها لانها الواسطة في خلاص انفسهم الخالدة والسبب في تمتعهم بالامجاد السموية فلا عجب اذا ترجموها وتناقلوها بالسند القوي المتصل من جيل الى

آخر وهذا الامر لا يمكن توفره في كتاب آخر في الدنيا سواء كان القرآن او معلقات العرب او ديوان ابي تمام او ديوان البحتري او المتنبي او البخاري ومسلم

وبيان ذلك ان الكتب الالهية كتبت لطوائف وأمم شتى في انحاء الدنيا وترجمت بلغاتهم لان المولى سبحانه وتعالى ألهم المسيحيين الاولين معرفة اللغات بمعجزة باهرة كما في سفر الاعمال فانه يشهد (بان الجميع امتلأوا من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بالسنة كما اعطاهم الروح ان ينطقوا) فكانت الكتب المقدسة تتلى عليهم في محافلهم ومنتدياتهم وكنائسهم وهذا بخلاف كتب الادباء او الشعراء او الفقهاء فانها كانت قاصرة على اناس مخصوصين ولم تقرأ على رؤوس الاشهاد وزد على هذا ان كتب العهد الجديد كانت تتلى في اكثر من ثلاثة ارباع الدنيا بخلاف الكتب الاخرى فانها كانت قاصرة على قوم مخصوصين في جهة خصوصية وانت تعلم انه لم يتيسر للمسلمين نشر قرآنهم بمثل هذا القدر وذلك لانهم يرون عدم جواز ترجمته الى اللغات المتنوعة لانه اذا ترجم جاء كلامه غثا لا معنى له فكان ذلك من اعظم الموانع عن انتشاره بخلاف الكتب المقدسة التي انتشرت انتشارا عظيما بحيث كان يتعذر ويستحيل ادخال شيء فيها من التغيير او التبديل لانه كيف يتصور بعقل عاقل حصول تواطؤ بين الملل العديدة المنتشرة في انحاء الدنيا على تغيير كتابهم الذي يحضهم على الامانة والصدق والحق بل ورد فيه صريحا بان من يزيد على هذا الكتاب يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب وان كان احد يحذف من اقواله شيئا يحذف الله نصيبه من سفر الحيوة فمن يقبل على نفسه هذه الضربات واللعنات ويأتي بأمر لا فائدة منه بل فيه كل الضرر واليهود الذين اشتهروا بعداوة المسيحيين في ذلك الجيل كانوا واقفين لهم بالمرصاد بحيث لو اتوا بزور

او كذب في الاناجيل لشنعوا فيهم بل كيف كان يقبل المسيحيون ما كان كذباً او زوراً فينتج اذن مما تقدم ان كلام الرسل والحواريين هو منزَّه عن شوائب التحريف والتبديل والزور والبهتان وقد حافظ عليه المسيحيون بغاية الحرص لغاية الآن ولنذكر اسماء بعض الذين ظهروا في الجيل الاول والثاني والثالث والرابع واستشهدوا بالكتب المقدسة وتكلموا عليها مما يدل على متانة السند المتصل لكتب العهد الجديد فنقول

اولاً ان الرسل ذاتهم كانوا يستشهدون بكتب بعضهم بعضاً معترفين بانها وحي إلهي فقال بولس الرسول في (١ تيمو ٥ : ١٨) الفاعل مستحق أُجرته ولم تذكر هذه العبارة الاَّ في انجيل لوقا (١٠ : ٧) وهو يدل على ان انجيل لوقا كان منتشراً وقت كتابة الرسول بولس هذه الرسالة وقال يعقوب الرسول في (٢ : ٨) فان كنتم تكملون الناموس الملوكي حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك فحسناً تفعلون ومراده بذلك الاشارة الى ما ورد في انجيل متى (٢٢ : ٣٩) وقال بطرس الرسول (٢ بط ٣ : ١٥ و ١٦) كما كتب اليكم اخونا الحبيب بولس بحسب الحكمة المعطاة لهُ كما في الرسائل كلها ايضاً متكلماً فيها عن هذه الامور التي فيها اشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضاً لهلاك انفسهم وبما ان المولى سبحانهُ وتعالى خص الرسل بقوَّة المعجزات ميزوا الارواح اي ميزوا بين الكتب الموحي بها من غيرها فكانوا يستشهدون بكتب بعضهم كاستشهادهم بكتب انبياء العهد القديم اما الذين كانوا معاصرين لهم فنقتصر على ذكر القليل منهم فنقول

(١) برنابا وكان عاملاً مع بولس الرسول (اع ١٣ : ٢ و ٣ و ٤٦ و ٤٧ ١ كو ٩ : ٦) ويسمى رسولاً ايضاً اع ١٤ : ١٤) والف رسالة وكانت لها منزلة

كبرى عند القدماء ولا تزال موجودة واستشهد فيها بانجيل متى ونقل عنهُ بقوله (مكتوب) وكان اليهود يعبرون بهذه اللفظة عند الاستشهاد بالكتب المقدسة واستشهد بكثير من اقوال العهد الجديد وذكر عجائب المسيح وانتخابه اثني عشر تلميذاً وجلده ولطمه والاستهزاء بهِ والاقتراع على لباسهِ وقيامته في اوَّل الاسبوع وصعوده الى السماء وغير ذلك

(٢) اكلمندس اسقف رومة وكان عاملاً مع الرسول بولس (فيلبي ٤ : ٣) والف رسالة الى كنيسة كورنثوس واستشهد بكثير من اقوال المسيح كالوارد في الانجيل وكذلك استشهد بكثير من رسائل الرسل ويظن انهُ عين اسقفاً على رومة في سنة ٩١ وتوفى في سنة ١٠٠ وكان ذلك في السنة الثالثة من حكم (تراجان)

(٣) هرماس وكان معاصراً لبولس الرسول وذكر اسمهُ في رسالتهِ الى اهل رومة (١٦ : ١٤) فكتب مؤلفاً في ثلاث مجلدات في اواخر الجيل الاول وكانت لهُ منزلة كبرى عند القدماء واستشهد فيهِ بكثير من كتب العهد الجديد

(٤) اغناتيوس كان اسقف انطاكية في سنة ٧٠ ونال الشهادة في سنة ١٠٧ والف جملة رسائل لا تزال موجودة استشهد فيها بالاناجيل ورسائل الرسل

(٥) بوليكاربوس كان تلميذ يوحنا وعينهُ اسقفاً على ازمير واجتمع بكثير من الذين رأَوا المسيح واستشهد في سنة ١٦٦ ولم يبق من مؤلفاته سوى رسالة استشهد فيها بنحو اربعين شاهداً من كتب العهد الجديد واصلها اليوناني موجود ما عدا فصلين او ثلاثة منها غير ان ترجمتها باللغة اللاتينية موجودة بالتمام والكمال وذكر فيها اتضاع المسيح وتعليمه وآلامه وموته على الصليب وقيامته وصعوده الى السماء واشار فيها الى ما كابده بولس الرسول وغيره من الرسل

من الاتعاب في الكرازة والتبشير وكان يتكلم عن تعاليم المسيح و ينقل من يوحنا وغيره من الذين عاينوا الرّب

هذا بعض رجال الجيل الاول وهم نجوم هدى و بمثالهم في السلوك يقتدى وهاك بعض رجال الجيل الثاني (باياس) اسقف هيارابوليس في اسيا ونبغ بين سنة ١١٠ و ١١٦ واجتمع ببوليكاربوس اذا لم نقل انه اجتمع بيوحنا الرسولي واستشهد في مؤلفاته بالاناجيل الاربعة وبرسالة بطرس الاولى ورسالة يوحنا الاولى واعمال الرسل والرؤيا

يوستين الشهيد وكان من علماء الجيل الثاني ولد في سخيم في مدن السامرة في فلسطين سنة ٨٩ وآمن بالديانة المسيحية في سنة ١٣٣ واشتهر في سنة ١٤٠ الى ان استشهد في سنة ١٦٨ والف جملة كتب بالذود عن الديانة المسيحية منها رسالة للامبراطور (تيطس انطونيوس بيوس) ورسالة للامبراطورا ماركوس انطونيوس ولاعضاء مجلس السناتو في رومة ولسكانها ولهُ محاورة مع تريفو اليهودي وهذه الرسالة باقية لغاية الآن ويؤخذ منها انهُ تبحر في فلسفة فيثوغورس وافلاطون وانهُ رأى ان الاسلم والاغنم التمسك بالديانة المسيحية وتكلم على الاناجيل الاربعة وقال ان المسيحيين كانوا يتعبدون بتلاوتها في معابدهم العمومية وتكلم على رسائل بولس و بطرس و يوحنا وسفر الرؤيا ولشهادته منزلة رفيعة لانها شهادة فيلسوف علاّمة

وفي سنة ١٧٠ في عهد ماركوس انطونيوس قاسي المسيحيون في فرنسا اضطهادات اليمة ولا سيما في ليون وو يانة فارسلوا الى اخوانهم في اسيا رسائل بشرح ما يقاسونه واشاروا فيها الى انجيل لوقا و يوحنا واعمال الرسل ورسائل بولس الرسول الى رومية وافسس وفيلبي وتيموثاوس الاولى و بطرس الاولى و يوحنا الاولى والرؤيا وحافظ اوسابيوس على معظمها ونبغ في ذلك العصر مليتو اسقف ساردس وألف ثلاثة عشر مؤلفاً ولم يصل الينا سوى البعض ومن

مؤلفاته تفسير رؤيا يوحنا

وصار ايرينيوس اسقفاً على ليون في سنة ١٧٠ وشهادته جليلة لانهُ كان تلميذ بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسولي واجتمع بكثير ممن رأوا الحواريين ومع ان مؤلفاته جمة الاَّ انهُ لم يبقَ منها سوى خمسة كتب دحض فيها ضلالات المضلين وهي تدل على تضلعهِ من كتب الوثنيين وبدع المضلين وتمكنه من الكتب المقدسة كتب العهد القديم والعهد الجديد واستشهد بجميع كتب العهد الجديد ما عدا رسالة بولس الرسول الى فليمون ورسالة يوحنا الثالثة ورسالة يهوذا لعدم اشتمالها على ما بهِ يؤيد مطلوبهُ واستشهاداته مطولة وهي تدل على ان الكتب الموجودة بيننا الآن هي ذات الكتب التي كانت موجودة في عصره

اثيناغوروس نبغ في سنة ١٨٠ وكان من فلاسفة اثينا وهو من مشاهير الكتاب والف رسالة بالذود عن المسيحيين وقدمها للامبراطورا ماركوس انطونيوس والف رسالة عن قيامة الموتى واستشهد فيها بالكتب المقدسة وكذلك ثاوفيلوس اسقف انطاكية في سنة ١٨١ وألف ثلاثة كتب واكلمندس الاسكندري وترتوليان وغيرهم

اما الائمة العلماء الذين ظهروا في الجيل الثالث فهم كثيرون منهم اورجينوس ولد في مصر سنة ١٨٤ وتوفي في سنة ٢٥٣ واشتهر بالتقوى والفضيلة حتى كان فلاسفة الوثنيين يخصصون مؤلفاتهم لهُ و يعرضونها عليهِ لتنقيحها وتهذيبها وفسر الكتب المقدسة ولهُ مواعظ وقس على ذلك ديونيسيوس اسقف اسكندرية وغريغوريوس اسقف نيوقيصرية وغيرهم ومن الجيل الرابع اوسابيوس المؤرخ اسقف قيصرية مات في سنة ٣٤٠ وهيلاريس سنة ٣٦٦ وغيرهم و يلزم لاستيفاء الكلام على هولاء الاعلام الهداة الكفاة جملة مجلدات

وملخص الكلام انهُ وصل الينا من مؤلفات ولئك الائمة الافاضل نحو -سين مؤلفاً وكانت مؤلفاتهم تبلغ مائة مؤلف اقل ما يكون منها تفاسير على الكتب المقدسة ومنها في مواضيع شتى مؤيدة بآيات جمة تشتمل على جل الكتب المقدسة وكان اولئك الشهود في ازمنة متنوعة وفي ممالك شتى فنبغ اكلمندس في رومة واغناتيوس في انطاكية وبوليكربوس في ازمير ويوستين الشهيد في سورية وايرينيوس في فرنسا واثيناغوروس في اثينا وثيوفيلوس في انطاكية واكلمندس واوريجينوس في اسكندرية وترتوليان في قرطاجنة واوغسطين في هيبو وكلاهما في افريقا واوساييوس في قيصرية وهذا يدل على انتشار الديانة المسيحية وعلى انه كان لا يمكن تواطؤهم على شيء وان ما شهدوا بهِ هو الحق الذي لا مراء فيهِ وقد قابل علماء المسيحيين ايضاً نحو ٦٨٦ نسخة من كتب العهد الجديد خلاف التراجم والاقتباسات والاستشهادات فوجدت متوافقة وهو يدل على تنزيه الكتب المقدسة من التحريف والتبديل وسلامتها من شائبة الزيادة والنقصان واجمع الجميع على ان كتب العهد الجديد كانت متواترة بينهم اما شهادات اعداء الديانة المسيحية فهي جمة واضربنا عن ذكرها طلباً للاختصار وفي هذا كفاية لمن رغب في الهداية

﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

(في جمع القرآن وبعض احواله)

اجمع ائمة المسلمين على انه قبض النبي ولم يكن القرآن جمع في شيء وقالوا انما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض احكامه او تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته قام الخلفاء الراشدون وشرعوا في جمعه لئلاّ تغتال ايدي الضياع ما بقي منه ولا يخفى ان الكتب المقدسة اي كتب العهد القديم والعهد الجديد لم تكن بهذه الصفة بل ان انبياء الله دونوها لهداية المؤمنين الى طرق الحق اليقين وكانت تقرأ في المعابد مدة حياتهم وكثيرًا ما حض الرسول على قراءة رسائله في الكنائس وبالاختصار فكانوا يتعبدون بتلاوتها في مساجدهم مدة وجود الانبياء والرسول بخلاف القرآن فانه كان مبعثرًا قابلاً للضياع والزيادة والنقصان وثانياً ان معرفة القران كانت قاصرة على اربعة فقط والدليل

على ذلك ما رواه البخاري عن عبدالله بن العاص قال سمعت النبي يقول خذوا القرآن من اربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأُبي بن كعب اي تعلموا منهم والاربعة المذكورون اثنان من المهاجرين المبدأ بهما واثنان من الانصار وسالم هو ابن معقل مولى ابي حذيفة ومعاذ هو ابن جبل وقد قتل سالم مولى ابي حذيفة في وقعة اليمامة ومات معاذ في خلافة عمر ومات أُبي وابن مسعود في خلافة عثمان اما زيد بن ثابت فتأخر عنهم وقالوا عنه انتهت اليه الرئاسة في القراءة وعاش بعدهم زمناً طويلاً وروي البخاري ايضاً عن قتادة قال سألت انس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله فقال اربعة كلهم من الانصار أُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد قلت من ابو زيد قال احد عمومتي وروي ايضاً من طريق بن ثابت عن انس قال مات النبي ولم يجمع القرآن غير اربعة ابو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين احدهما التصريح بصيغة الحصر في الاربعة والاخر ذكر ابي الدرداء بدل أُبي بن كعب وقد استنكر جماعة من الائمة الحصر في الاربعة ولكن تمسك بقول انس جماعة من الملاحدة يعني انهم استدلوا بذلك على ضياع كثير من القرآن ولا سيما الايات التي تساعدهم على تأييد مذهبهم فان هولاء الاربعة ماتوا ايضاً قبل جمع القرآن وقد قالوا انه كان يوجد كثير غيرهم من القراء ولكن ماتوا ايضاً قبل جمع القرآن قال القرطبي قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل في عهد النبي ببئر معونة مثل هذا العدد ولما رأى ابو بكر هذا الحال جزع من ضياع القرآن والدليل على خوفه وجزعه ما رواه البخاري فانه روي في صحيحه عن زيد بن ثابت قال ارسل اليّ ابو بكر مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابو بكر ان عمر

اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن واني ارى ان تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله قال هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال ابو بكر انك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل عليّ مما امرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله قال هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع غيره لقد جاءكم رسول حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر . وفي رواية اخرى ان ابا بكر سأل زيد بن ثابت في ذلك فابى حتى استعان عليه بعمر ففعل وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال لما اصيب المسلمون باليمامة فزع ابو بكر وخاف ان يذهب من القرآن طائفة فاقبل الناس بما كان معهم وعندهم فهذه النصوص وغيرها ناطقة بانه مات جُل حفاظ القرآن اذا لم نقل كلهم حتى جزع ابو بكر من ضياعه كله فكلف ابا زيد بجمعه من الشتات فقال ابو زيد لو كلفوني نقل جبل لكان اسهل عليّ من جمع القرآن فاخذ بجمعه من العسب[1] واللخاف وفي رواية والرقاع وفي

(١) العسب جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض . واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الدقاق قال الخطابي صفائح الحجارة والرقاع جمع رقعة وقد

اخرى وقطع الاديم وفي اخرى والاكتاف وفي اخرى والاضلاع وفي اخرى والاقتاب وقال ابو بكر لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه وكان زيد لا يكتب آية الاّ بشاهدي عدل وان آخر سورة براءة لم توجد الاّ مع ابي خزيمة بن ثابت فقال اكتبوها فان الرسول جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وان عمر اتى بآية الرجم فلم يكتبها لانهُ كان وحدهُ وسبب كل ذلك إن القرآن كان مفرقاً في الرقاع والاكتاف والعسب وعلى هذا لا بد انهُ ضاع معظمه اذا نظرنا الى اشتغال النبي بالغزوات وغيرها فانه كان يدّعي نزول الايات في رحلاته وهجرته ووقت تقسيم الغنائم وزد على هذا انهُ كان بين قوم جفاة لا تهمهم القراءة ولا الكتابة ولا مناسبة بينهم وبين الأمة اليهودية التي ظهر بينهم المسيح فانهُ كان يعلم جهاراً على رؤوس الاشهاد امام نبلاء الأمة اليهودية وعلمائها وائمة ديانتها حتى تعجبوا من حكمته التي بهرت عقولهم واذهلت البابهم ودوّنت تعاليمه في الصحف والكتب كالطريقة الجارية عند الأمة اليهودية وكان المؤمنون يقرأونها في معابدهم وكذلك الحواريون الذين كانوا يقفون امام الفلاسفة والقياصرة والملوك ويكشفون لهم طريقة الفداء العجيب وكانت تدون اقوالهم في الصحف للاهتداء بها و بالاختصار ان الكتب المقدسة لم تكن مكتوبة على العسب او دقاق الحجارة او قطع الجلود اوعظام البعير او قطع الاخشاب بل كانت تكتب على هيئة درج في الرّق وتوضع في محل خصوصي في المعابد وفي البيوت ولم يكن

تكون من جلد او رق او كاغد والاكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير او الشاة كانوا اذا جف كتبوا عليهِ والاقتاب جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليهِ

الحال قاضياً الى شهادة شهود لاخذ اقوال الله من افواه البشر الذين خطأهم اكثر من صوابهم ولا سيما ان الانسان محل النسيان واول الناس اول ناس

ومما يدل على حصول زيادة فيهِ ما يأتي روي محمد بن سيرين عن عكرمة قال لما كان بعد بيعة ابي بكر قعد علي بن ابي طالب في بيتهِ فقيل لابي بكر قد كره بيعتك فارسل اليه فقال أكرهت بيعتي قال لا والله قال ما اقعدك عني قال رأيت كتاب الله يزاد فيهِ فحدثت نفسي ان لا ألبس ردائي الاَّ لصلاة حتى اجمعهُ قال لهُ ابو بكر فانك نعم ما رأيت قال محمد بن سيرين فقلت لعكرمة ألّفوهُ كما انزل الاول فالاول قال لو اجتمعت الانس والجن على ان يؤلفوهُ هذا التأليف ما استطاعوا فهذا القول ناطق ان القرآن الحالي ليس مكتوباً حسب اوقات نزوله بل اجتهد الخلفاء وغيرهم في ترتيبهِ حسب ذوقهم لانه كان مبدداً ومما يؤيد حصول التغيير ما اخرجهُ ابن اشته في المصاحف من وجهٍ آخر عن ابن سيرين في انهُ كتب في مصحفهِ الناسخ والمنسوخ وقال ابن سيرين فطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيهِ الى المدينة فلم اقدر عليهِ يعني انهُ كان يوجد قرآن غير المتداول الآن ومع انهُ بحث وفتش الاَّ انهُ لم يستدل عليهِ ولم يصل اليهِ

ومما يدل على سقوط اشياء منهُ هو انهُ اخرج ابن ابي داود من طريق الحسن ان عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان قتل يوم اليمامة فقال انا لله وامر بجمع القرآن فكان اول من جمعهُ في الصحف قال السيوطي اي اول من اشار بجمعهِ ونقول ايضاً ان سقوط اشياء منهُ امر طبيعي لانهُ كان مفرقاً في العسب وفي صدور الرجال ولم يكن مجموعاً في كتاب كما تفعل انبياء الله وقد استكبر المعترض على موسى نقشهُ للشريعة على حجارة وما درى

ان هذا اسلم لحفظ كتاب الله من الضياع وليكون نصب اعينهم ليقرأوهُ وينسخوهُ وقد اختلفوا في الذي جمع القرآن قالوا ان الاربعة الذين تقدم ذكرهم وماتوا ولم يجمع ومرّة قالوا زيد بن ثابت هو الذي جمعهُ وثالثاً قالوا ان عليّاً كان عزم على جمعه ومرّة قالوا اول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى ابي حذيفة اقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعهُ فجمعهُ ثم ائتمروا ما يسمونهُ فقال بعضهم سموهُ السفر قال ذلك اسم تسميهِ اليهود فكرهوهُ فقال رأيت مثلهُ بالحبشة يسمى المصحف فأجمع رأيهم على ان يسموهُ المصحف هذا هو ملخص تاريخ القرآن في عهد ابي بكر وعمر ومنهُ يعلم انهُ لم يكن قد جمع ومما يؤيد ذلك ما يأتي اخرج ابن اشته في المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال مات ابو بكر ولم يجمع القرآن وقتل عمر ولم يجمع القرآن قال ابن اشته قال بعضهم يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظاً وقال بعضهم هو جمع المصاحف (اتقان ٩٠ جزء اول) وهو الصحيح لان سبب عدم حفظه هو عدم وجوده ويؤخذ من اقوالهم انهُ كان لكل فريق قرآن فكان يوجد قرآن فيهِ الناسخ والمنسوخ ويوجد قرآن مرتب حسب النزل ولو لم تكن نسخ عديدة لما امر عثمان باحراقها اما تاريخه في عهد عثمان فهو

لما رأى حذيفة اختلاف الناس في القراءة وغيره حثهُ على ان يتلافى الامر فامر بعضهم ان يجمعوهُ وامر باحراق غيره روى البخاري عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح فرج ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان ادرك الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فارسل الى حفصة ان ارسلي الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان

فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوهُ بلسان قريش فانهُ انما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواهُ من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال زيد فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله يقرأُ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليهِ) فالحقناها في سورتها في المصحف قال بن حجروكان ذلك في سنة خمسة وعشرين وذهب بعضهم الى انهُ في سنة ثلاثين · واخرج ابن اشته من طريق ايوب عن ابي قلابة قال حدثني رجل من بني عامر يقال لهُ انس بن مالك قال اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال عندي تكذبون بهِ وتلحنون فيهِ فمن نأى عني كان اشد تكذيباً واكثر لحناً يا اصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس اماماً فاجتمعوا فكتبوا فكانوا اذا اختلفوا وتدارأُوا في اي آية قالوا هذا اقرأْها رسول الله فلاناً فيرسل اليهِ وهو على رأس ثلاث من المدينة فيقال له كيف اقرأَك رسول الله آية كذا وكذا فيقول كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً واخرج ابن ابي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن افلح قال لما اراد عثمان ان يكتب المصاحف جمع لهُ اثنى عشر رجلاً من قريش والانصار فبعثوا الى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا اذا تدارأُوا في شيء اخروهُ فظننت انما كانوا يؤخرونهُ لينظروا احدثهم عهداً بالعرضة الاخيرة فيكتبونهُ

على قوله ويتضح من هذه الاحاديث انهُ لما رأى عثمان انهُ كادت تقع فتنة اوحرب داخلية بسبب اختلاف الناس في القرآن اخبرهم بانهم اذا لحنوا في القرآن او كذبوا فيهِ كان اولى من احداث فتنة داخلية والاقتتال ثم عقد جمعية ليكتبوا للناس اماماً وشهادة عثمان على نقصه وزيادته وتغييره وتبديله هي معتبرة فلم يبالِ اذا كان على اصله ام لا فكانت غايتهُ ان يكتب للناس اماماً للناس سواء كان حسب الاصل ام لا وهذه هي نتيجة عدم التبصر فانبياء الله الحقيقيون كانوا يكتبون كتبهم ويحثون الناس على تلاوتها وتعليها لاولادهم واولاد اولادهم ويحرصون عليها وان تكون دستوراً لقضاتهم وحكامهم وملوكهم ولم يكتب نبي من الانبياء كتابة بالطريقة التي كتب بها القرآن ولا بالكيفية التي جمع بها ومع ان كتب العهد القديم تسعة وثلاثون كتاباً لكن تولى جمعها عزرا النبي ومع ان كتب العهد الجديد ٢٧ كتاباً ولكنها جمعت في سفر واحد تحت ملاحظة يوحنا اللاهوتي وكل من عزرا ويوحنا نبي كريم يقدر ان يميز الارواح يعني يعرف الكتاب الذي بوحي من غيره فكانت الكتب المقدسة سالمة من شائبة اي عيب كان اما القرآن فتولى جمعهُ اناس تقدم طرف من تاريخهم وكيف اشتهروا بالغدر والكذب وانت تعلم ان عثمان مات مقتولاً لانهُ ثبت عليهِ الغدر والكذب هذا فضلاً عن كون الذين تولوا جمعهُ لم يقدروا ان يميزوا الاقوال التي بوحي من غيرها فكانوا يستشهدون بالعرب المجرَّدين عن المعارف الالهية والدنيوية او كما يقول القرآن اشد نفاقاً وكفراً وعلى كل حال فلا توجد ادنى مناسبة بين الكتب المقدسة وبين القرآن في الجمع والترتيب وثانياً لم يختلف احد عند نزول الكتب المقدسة فلم يقتتل الغلمان ولم يختلف اثنان لان الكتب المقدسة لم تكن مبعثرة مفرقة

كالقرآن ولما راى العلماء ان هذا يحط بقدر كتابهم قالوا انهُ كثر الاختلاف في عصر عثمان في وجوه القراءة فقرأُوهُ بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الامر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش ولو سلمنا لهم بذلك لقلنا ان الكتب المقدسة منزهة عن اختلاف القراآت ايضاً فلما نزلت كانت باللغة الفصيحة المفهومـــة عند الناس ومهما حاولوا لا يمكنهم انكار وقوع الخلاف الشديد فيهِ واختلفوا كذلك في المصاحف التي ارسل بها عثمان الى الافاق والمشهور انها خمسة وقيل انها اربعة وقيل سبعة فارسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً (١)

(١) وقيل ايضاً لما رأى عثمان اختلاف القرآء واستفحال الشر بعث فارسل ما امكنه جمعه من الرقاع ولم يتعرض احد لما في يد علي بن ابي طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرأ بقراءتهِ فاما ابي بن كعب فمات قبل هذا التأليف واما ابن مسعود فطلبوا منه ان يدفع اليهم مصحفه فابى فصرفوه عن الكوفة واستعملوا ابا موسى الاشعري وامروا زيد بن ثابت الانصاري وعبد الله بن عباس وقيل محمد بن ابي بكر بتأليفهِ واصلاحهِ وكانا حديثي السن وقال لهما عثمان اذا اختلفتما في شيء فاكتباهُ بلغة قريش ولما جُمع وجه بمصحف الى مكة واحترق في سنة ٢٠٠ هجرية ووضع مصحف في المدينة وقد فقد في ايام يزيد بن معاوية ووجه مصحف الى العراق وقد فقد ايام المختار ووجه آخر الى الشام وامر العمال ان يجمعوا ما عندهم من المصاحف ويغلوا لهُ الخل ويسرحوه فيهِ ويتركوه حتى يتقطع ويهتري ولم يبق شيء منهُ وتوعد من يخالف امرهُ ثانياً ان الحجاج بن يوسف جمع كل مصحف واسقط منهُ اشياء كثيرة ذكروا انها كانت نزلت في بني امية باسماء قوم وفي بني العباس باسماء قوم وكتبت نسخ بتأليف ما اراد الحجاج في ستة مصاحف فوجه واحد الى مصر وآخر الى الشام وآخر الى المدينة وآخر الى مكة وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وعمد الى المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرحها فيهِ فتقطعت واحتذى في ذلك بما فعلهُ عثمان والحجاج كان يتقرب الى بني امية ولا يجوز ائتمانهُ على هذا العمل فزاد ونقص حسب هواه

ولا نتعجب اذا لم يتيسر لهم ترتيبه حسب اصله فقد كان ترتيبه اجتهادياً بحسب اجتهادهم ومما يؤيد ذلك ما اخرجه ابن ابي داود في المصاحف من طريق محمد بن اسحق عن يحيي بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن ابيه قال اتاني الحارث بن خزيمة بهاتين الايتين من آخر سورة براءة فقال اشهد اني سمعتها من رسول الله ووعيتها فقال عمر وانا اشهد لقد سمعتها ثم لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها في آخرها قال ابن حجر ظاهر هذا انهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم ولما رأوا ان هذا يحط بمقام القرآن استشهدوا باحاديث على ان ترتيب الايات هو بتوقيف والاقرب الى الحق والعقل انه كان اجتهادياً اي باجتهاد الصحابة وقال جمهور العلماء ان ترتيب السور كان اجتهادياً قال السيوطي في الاتقان مما استدل به على ان ترتيب السور هو اجتهادي اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان اوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم الكوثر وهكذا الى آخر المكي والمدني وكان اول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد وكذا مصحف أبي وغيره انتهى بحروفه واخرج ابن اشته في المصاحف قال امرهم عثمان ان يتابعوا الطوال ولهم كلام طويل في ذلك وانما نقول مما يدل باقوى دليل و برهان على انه لم يتيسر لعثمان ولا غيره ترتيب القرآن حسب نزوله هو ان نبيهم كان تارة يدعي نزول آيات في السفر واخرى في الحضر وتارة في النهار واخرى في الليل وتارة في الصيف واخرى في الشتاء ومرة في الفرش واخرى في النوم. ومرة في الارض واخرى في السماء حتى قسموه الى سفري وحضري ونهاري وليلي وصيفي وشتائي وفراشي ونومي وارضي وسمائي فمن ذا الذي كان معه في جميع

هذه الازمنة والامكنة حتى كان يعرف اوقات نزوله بالتقريب وزد على هذا ان بعضه نزل مفرقاً وبعضه نزل جمعاً وغير ذلك فلا عجب اذا اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً جداً ولا عجب اذا سقط منه وزيد عليه شيء كثير

ومما يؤيد حصول الزيادة والنقصان ما يأتي في المستدرك عن ابن عباس قال سألت علي بن ابي طالب لِمَ لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال لانها امان و براءة نزلت بالسيف وعن مالك ان اولها لما سقط سقط معه البسملة فقد ثبت انها كانت تعدل البقرة لطولها وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لانه لم يكتب المعوذتين وفي مصحف أُبي ست عشرة لانه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع وهما غير موجودتين في القرآن المتداول بين المسلمين الان واخرج ابو عبيد عن ابن سيرين قال كتب أُبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهمَّ انَّا نستعينك واللهمَّ اياك نعبد وتركهنَّ بن مسعود وكتب عثمان منهنَّ فاتحة الكتاب والمعوذتين انتهى فمن هنا يتضح ان بعضهم اسقط جانباً من القرآن واعتبره آخر ومع ذلك فيدعون ان القرآن الموجود هو الذي كان في اللوح المحفوظ وانه انزل كما هو فليخبرونا هل القرآن الذي كان في اللوح المحفوظ هو حسب قرآن علي او قرآن ابي مسعود او ابي بكر او عمر او عثمان او عائشة واخرج الطبراني (وهنا حذفنا الاسانيد لطولها) قال قال لي عبد الملك بن مروان لقد علمت ما حملك على حب ابي تراب الاَّ انك اعرابي جاف فقلت والله لقد جمعت القرآن من قبل ان يجتمع ابواك ولقد علمني منه علي بن ابي طالب سورتين علمها اياه رسول الله ما علمتها انت ولا ابوك اللهمَّ انَّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهمَّ اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد

نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك بالكفار ملحق واخرج البيهقي ان عمر ابن الخطاب قنت بعد الركوع فقال بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ انا نستعينك الى آخر ما تقدم وانما عوضاً عن ونخشى عذابك قال ونخشى نقمتك وقالوا ان أُبي كان يقنت بالسورتين فذكرهما وانهُ كان يكتبهما في مصحفه وقالوا في مصحف ابن عباس ما يأتي بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك وفيهِ اللهمّ اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نخشى عذابك ونرجو رحمتك ان عذابك بالكفار ملحق وقال العلماء ومنهم الامام فخر الدين ان ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن وقال ابن حجر في شرح البخاري قد صح عن ابن مسعود انكار ذلك واخرج احمد وابن حبان عنه انه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه واخرج عبدالله بن احمد في زيادات المسند والطبراني وغيره قال كان عبدالله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله واكد ابن حجر انه حذفهما من قرآنه واخرج ابو عبيد بسند صحيح انه اسقط الفاتحة ايضاً من مصحفهِ ولما رأُوا ان ذلك يحط بقدر القرآن قالوا انهُ ترك الفاتحة لشهرتها هذا كلامهم وهل ترك المعوذتين لشهرتهما ايضاً فاذا كان ترك المعوذتين لشهرتهما فلا مانع اذا كان يترك القرآن لشهرتهِ وعلى كل حال فيسقط ما ادعوا بهِ من ان القرآن المتداول الآن هو في اللوح المحفوظ وروي ان عبد الله بن مسعود لما أُمر بالمصاحف ان تغيَّر وتكتَب على مصحف عثمان ساءه ذلك وقال افأترك ما اخذت من في (اي فم) رسول الله والله لقد اخذت من في رسول الله بضعاً وسبعين سورة والله لقد علم اصحاب النبي اني من اعلمهم بكتاب الله فهذا يدل على ان تغيير المصاحف كان جسيماً

جدًا والاَّ لما قال انهُ اخذ من فم الرسول سبعين سورة وانهُ الاحق بان يغيّر و يبدل ولا سيما انهُ اعلمهم فكأن الذي تولى مسألة التغيير والتبديل اقل منهُ علمًا ولم يأْخذ من الرسول قدر ما اخذ هو هذا هو منطوق كلامهِ وانقلبت المسألة الى مسألة تفاخر وتنافس وحب تراءس ولو كانوا اخذوا منهُ السبعين سورة واعتمدوا على نقلهِ لكان ذلك يرضيه والظاهر انهم لم يفعلوا ذلك

وقد كان الخلاف حاصلاً في عصر محمد ذاته فروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأُ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءتهِ فاذا هو يقرأُ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله فكدت أُساورهُ في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببتهُ بردائهِ فقلت من اقرأَك هذه السورة التي سمعتك تقرأُها قال اقرأَنيها رسول الله فقلت كذبت فان رسول الله قد اقرأَنيها على غير ما قرأْت فانطلقت بهِ اقودهُ الى رسول الله فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأُ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسلهُ اقرأْ يا هشام فقرأَ عليهِ القراءة التي سمعته يقرأُها فقال رسول الله هكذا أُنزلت ثم قال النبي اقرأْ يا عمر فقرأْت بقراءتي التي اقرأَني فقال رسول الله هكذا أُنزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأُوا ما تيسر منهُ انتهى والذي نعلمهُ ان الحق واحد ولا بدَّ ان احد هذين الشخصين كان مخطئًا والآخر كان مصيبًا ولكنهُ لم يرد ان يغضب واحدًا و يرضي آخر فارضى كلاًّ منهما

ولنختم هذا الفصل بما يدل على سقوط كثير من القرآن ولما رأَى علماء المسلمين ان الساقط من القرآن هو شيء كثير وان هذا يخل بهِ اغتفروا عن السواقط الآتية بهذا العذر فقالوا انهُ يوجد من انواع الناسخ ما نسخ تلاوتهُ دون

حكمهُ ولكن اورد بعضهم فيهِ سؤالاً وهو ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلاَّ ابقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها واجاب صاحب الفنون بان ذلك ليظهر بهِ مقدار طاعة هذه الامة في المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع بهِ بايسر شيءٍ . وهو امرٌ غريب فانهُ اذا كانت الامة تنكص مع صراحة النصوص عن الاتيان بالاوامر واجتناب النواهي فهل يتصوَّر انها تأتي باعمال لم يرد عليها نص وهل يليق بعدل الله ان يدين الناس بحسب شريعة مفقودة غير موجودة وهل يتصوَّر ان الحاكم الارضي يؤاخذ أُمتهُ بقوانين لا وجود لها فاذا كان الحاكم الارضي الميال الى الظلم لا يفعل ذلك فكيف يتصوَّر ان الديان العادل الحكيم العليم يؤاخذ الناس ويدينهم بحسب شريعة لا وجود لاقوالها ويكلفهم فوق وسعهم فلا يسلم بهذا القول من أُوتي ذرَّة من العقل والادراك ولكن لما رأى العلماء انهُ لا يوجد شيء يعتذرون به عن السواقط القرآنية وعن المناقضات سوى الناسخ والمنسوخ فتستروا بهِ لان السواقط والمناقضات كثيرة ومربكة وتحير العقول ولكن ما هي العقول التي تقبل مثل هذه الاعذار ولنرجع الى بيان السواقط القرآنية من اقوالهم وعلى المنصف ان يتأمل بانصاف وينبذ التعصب والتشيع ظهريًّا فنقول قال ابو عبيد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولنَّ احدكم قد أُخذت القرآن كلهُ وما يدريهِ ما كلهُ قد ذهب منهُ قرآن كثير ولكن ليقل قد اخذت منهُ ما ظهر وقال حدثنا ابن ابي مريم عن ابي لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها الاَّ على ما هو الآن

وقال حدثنا اسماعيل بن جعفر وحذفنا الاسانيد قال لي ابي بن كعب كأين تعد سورة الاحزاب قلت اثنين وسبعين آية او ثلاثة وسبعين آية قال ان كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم قلت وما آية الرجم قال اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم وفي حديث لقد اقرأنا رسول الله آية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضينا من اللذة قال عمر لولا ان تقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها يعني آية الرجم وقال في البرهان ظاهره ان كتابتها جائزة وانما منعه قول الناس اه ٠ وايضاً حدث حجاج عن ابن جريج اخبرني ابن ابي حميد عن حميدة بنت ابي يونس قالت قرأ علي ابي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليهِ وسلموا تسليماً وعلى الذين يصلون الصفوف الاول قالت قبل ان يغيّر عثمان المصاحف وحدث عبدالله بن صالح عن هشام وعن ابي واقد والليثي قال كان رسول الله اذا اوحى اليهِ اتيناهُ فعلمناهُ مما اوحى اليهِ قال فجئت ذات يوم فقال ان الله يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وإيتاء الزّكاة ولو ان لابن آدم وادياً لاحب ان يكون اليهِ الثاني ولو كان لهُ الثاني لأحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الّا التراب ويتوب الله على من تاب واخرج الحاكم في المستدرك عن ابي ابن كعب قال قال لي رسول الله ان الله امرني ان اقرأ عليك القرآن فقرأ الم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ومن بقيتها لو ان ابن آدم سأل وادياً من مال فاعطيهِ سأل ثانياً وان سأل ثانياً فأُعطيهِ سأل ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الّا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفرهُ فليخبرنا صاحب

كتاب اظهار الحق اين ذهبت هذه الآيات وقد عهدنا حسب اصطلاحهم ان الآية تنسخ آية مثلها فهل يجوز ان نأتي بآية وننسخ ما لاوجود لهُ فالشيء المعدوم لا يحتاج الى نسخ فانهُ منسوخ من ذاتهِ فحينئذ يثبت ما قلناهُ وهو انهُ ضاع من القرآن شيء كثير على انهُ لا يجوز النسخ مطلقاً في كلام المولى سبحانهُ وتعالى كما سنأتي اليهِ ان شاء الله واذا لم يكتف بما تقدم اتينا لهُ بما يأتي وهو:

قال ابو عبيدة حدثنا حجاج الى ان قال عن ابي موسى الاشعري قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله سيؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمني واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم الاّ التراب ويتوب الله على من تاب واذا لم يكتف بذلك نورد لهُ شيئًا آخر وهو قال ابن ابي حاتم عن ابي موسى الاشعري قال كنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات ما نسيناها غير اني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة واذا لم يكتف بهذا أوردنا لهُ ما يأتي وهو حدث حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن عدي قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانهُ كفر بكم ثم قال لزيد ابن ثابت اكذلك قال نعم ومن ذلك ايضاً انهم رووا انهُ انزل ما نصهُ ان جاهدوا كما جاهدوا اول مرة فانا لا نجدها أسقطت فيما أسقط من القرآن انتهى بنصهِ ورووا ايضاً (وقد حذفنا الاسانيد) ان مسلمة بن مخلد الانصاري قال لهم ذات يوم اخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف فلم يخبروهُ وعندهم ابو الكنود سعد بن مالك فقال مسلمة ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم ألاّ ابشروا انتم المفلحون والذين أووهم ونصروهم

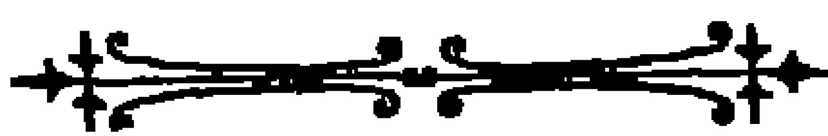
وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أُولئك لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرَّة عين جزاءً بما كانوا يعملون واذا لم يكتف بذلك اتينا لهُ بما يأْتي وهو ورد في الصحيحين عن انس في قصة اصحاب بئر معونة الذين قتلوا قال انس ونزل فيهم قرآن قرأْناهُ حتى رفع ان بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا وفي المستدرك عن حذيفة قال ما تقرأُون ربعها يعني براءة وكذلك شطبوا سورتي القنوت في الوتر ويسمى سورتي الخلع والحفد وقس على ذلك ما لم نذكره ويقال ان عليا أَسقط سورة المتعة وقال انهُ سمع رجلاً يقرأُها على عهده فدعاهُ وضربهُ بالسوط وامر الناس الاَّ يقرأْها احد وكان ذلك بعض ما شنعت بهِ عليهِ عائشة فقالت انهُ يجلد على القرآن ويضرب عليهِ وينهى عنهُ وقد بدَّل وحرَّف فهذه الاقوال على نبيهم والقرآن هي المدوَّنة في كتب ائمتهم التي يعتقدون بها ويتمسكون بعروتها الوثقى ولم نورد كلام الملاحدة أَو الشيعة او كلام مختلي العقول كما فعل في اعتراضاتهِ على الكتب المقدسة ولم نورد اعتراضاً ونترك الجواب عليهِ كما فعل بل اوردنا اقوالهم لنوضح معتقداتهم لكي يظهر الشين من الزين والغث من السمين والكذب من الحق المبين وينتج مما تقدم ما يأْتي :

(١) قبض نبيهم ولم يجمع القرآن في صحف ولا في مصحف . (٢) انهُ قال خذوا القرآن من اربعة فماتوا في الحرب ولم يجمع القرآن فكان ذلك موجباً لطعن الملاحدة فيه وقالوا انهُ تغيَّر وتبدَّل وبما انهُ كانت حزازات بين عثمان وبين علي حذف عثمان ما كان يشعر بمدح علي (٣) لما رأَى ابو بكر موت كثيرين من الذين يرجع اليهم في الاستشهاد بالقرآن فانهُ كان استحر القتل يوم اليمامة بهم امر بجمع القرآن فقاوموهُ الى ان اغراهم على ذلك (٤) على

جمع القران اثقل من الجبال لانهُ كان مفرّقاً في العسب واللخاف والرقاع وقطع الاديم والاكتاف والاضلاع وكان يجمعه ابو زيد بشهادة اثنين وبشهادة واحد ايضاً من العرب الذين شهد عنهم القران بانهم اشد كفراً ونفاقاً (٥) قال علي لو اجتمعت الانس والجن لما امكنهم ان يجمعوا القرآن الاول فالال كما انزل (٦) ضاعت نسخ المصاحف القديمة وكان بعض النسخ الناسخ والمنسوخ (٧) ضاعت اشياء من القرآن حتى قال عمر انا لله (٨) حصل الخلاف مدة خلافة عثمان حتى اقتتلوا لجمع نسخة واحرق النسخ الباقية (٩) رتبوا الايات والسور حسب اجتهادهم لجاءت مقتضبة (١٠) كانت سورة براءة قدر سورة البقرة ولكنهم اسقطوها (١١) اختلاف المصاحف فمصحب ابن مسعود ١١٢ سورة ومصحف أُبي ١١٦ سورة (١٢) سقوط سورتي الوتر والخلع (١٣) حذف ابن مسعود الفاتحة من مصحفه وكذلك حذف المعوذتين لانها ليست من القرآن (١٤) حصول خلاف بين عثمان وبين ابن مسعود لحرق عثمان المصاحف الاخرى وعدم رضاء ابن مسعود باعطائه مصحفه (١٥) عدم اخذ عثمان لمصحف علي ايضاً لئلاَّ يتباهى عليهِ (١٦) كانت سورة الاحزاب مائتي اية وانها كانت قدر سورة البقرة اما الآن فهي ٧٢ اية او ٧٣ (١٧) حذفهم آية الرجم (١٨) وجود الصلوة على النبي في القرآن قبل ان يغير عثمان المصاحف (١٩) حذف الايات بالطمع والاموال (٢٠) حذف الايات بان دين الاسلام احسن من دين النصرانية واليهودية (٢١) حذف آيات الجهاد (٢٢) حذف قصة اصحاب بئر معونة (٢٣) حذف سورة تشبه سورة المسبحات (٢٤) اسقط الحجاج بن يوسف من القرآن ما كان نزل في بني امية وفي بني العباس وحرقه للمصاحف ايضاً

وقد اختلفوا في ترتيب القرآن فقال بعضهم ان اول سورة نزلت هي قوله اقرأ باسم ربك وقيل يا ايها المدثر قم فانذر والصحيح هي ان اول سورة نزلت هي قوله اقرأ باسم ربك فكان الواجب ان يكون ترتيبه حسب تأليفه وقالو آخر سورة نزلت في مكة المؤمنون ويقال العنكبوت وقالوا اول ما انزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح باسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم الكوثر ثم الهاكم ثم أرأيت الذي يكذب ثم الكافرون الى آخره بما يدل على اختلاف شديد في ترتيبه

ولو كان المعترض يتقطع كما نقطع انبياء البعل بالسيوف والرّماح حتى سال منهم الدم لما قدر ان يأتي باعتراض واحد مثل هذه الاعتراضات على اي كتاب من كتب العهد القديم والعهد الجديد فان هذه الكتب كتبها انبياء الله حال نزولها ليسير الناس بموجبها وحافظوا عليها فصار يسلمها السلف للخلف الى ان وصلت الينا سالمة ولم يقل احد في كتاب من هذه الكتب ان الامام الفلاني احرق النسخ القديمة وعمل نسخة جديدة حسب هواه او ان احداً حذف آية او سوورة لنزولها في حق شخص او غير ذلك مما حصل جميعه في القرآن ومع كل ذلك فبعض المسلمين يدعون على المسيحيين واليهود بانهم حرّفوا وغيّروا وبدّلوا وهذا كلام ناشيء عن تعصب وطيش وخفة وعدم تروٍّ في الامر وعدم اطلاع على مستندات المسيحيين لانهم لا يرغبون في الحق وثانياً انهم لو اطلعوا على اقوال قرآنهم وكيفية جمعه وكيف غيّروه وبدلوه حسب اقوال علمائهم لعرفوا انه هو الذي تغيّر وتبدّل بخلاف الكتب المقدسة



الباب الثالث

﴿ الفصل الاوّل ﴾

(في الرد على ما اورده مما يوهم الاختلاف والتناقض)

رأينا ان نوضح قبل الرد على الاوهام التي اوردها معنى التناقض فنقول التناقض هو خُلف القضيتين في الكيف اي في السلب والايجاب ولا يتحقق التناقض الاّ عند ثبوت الوحدات المشهورة وهي وحدة الموضوع ووحدة المحمول ووحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الاضافة ووحدة الشرط ووحدة القوّة او الفعل ووحدة الكل او الجزء الى غير ذلك وعلى هذا فلا تناقض في نحو قولنا زيد قائم عمرو ليس بقائم لاختلاف الموضوع وكذلك لا تناقض في قولنا زيد قائم زيد ليس بكاتب وقولنا زيد صائم اليوم زيد ليس بصائم امس وقولنا زيد جالس في المسجد زيد ليس بجالس في السوق وقولنا زيد اب لعمرو وزيد ليس باب لبكر وقولنا الزكاة واجبة في مال الصبي اذا بلغ نصاباً الزكاة ليست بواجبة في مال الصبي اذا لم يبلغ نصاباً وقولنا الخمر في الدن مسكر بالقوة الخمر في الدن ليس بمسكر بالفعل وقولنا الزنجي اسود اي جزؤه الزنجي ليس باسود اي كله وقولنا زيد كاتب بالقلم الحديد زيد ليس بكاتب بغير القلم الحديد فلا يوجد تناقض في هذه الامثلة واغلب ما اتاهُ من الاعتراضات هو من هذا القبيل وقد ورد في القرآن اختلافات كثيرة ولكنهم ردوا عنها فقالوا تارة انها مختلفة الموضوع واخرى المحمول والزمان والمكان الى آخره وسنأتي الى ذكرها في آخر هذا الفصل ان شاء الله

(١) قال المعترض من قابل ص ٤٥ و ٤٦ من سفر حزقيال بالاصحاح ٢٨ و ٢٩ من سفر العدد وجد اختلافاً صريحاً في الاحكام قلنا قد تقدم هذا الاعتراض ودحضناهُ وعادة المعترض التكرار الذي لا فائدة فيهِ ومع ذلك فنقول ايضاً انهُ لم تكن غاية حزقيال النبي سن قوانين جديدة لبني اسرائيل وهم في السبي في بابل بل كانت غايتهُ ان يشوّقهم الى هيكلهم في اورشليم فذكر لهم الهيكل وفرائضه واكد لهم انهُ سيعيدهم المولى سبحانه وتعالى الى وطنهم السعيد

فعبارته نبوية تشير ايضاً الى امجاد ملكوت المسيح (١ كو ٣ : ١٦) الذي يحرّر من عبودية ابليس التي هي اشد بلاءً من عبودية بابل ويأتي بنا الى حرّية اولاد الله ويوحنا الرسول كنى ورمز الى المقدس السماوي بهيكل اليهود وعليهِ فلا تناقض بين اقوال النبي حزقيال وبين الاحكام الواردة في سفر العدد لاختلاف الموضوع انظر صحيفة ٩١

(٢) ادعى وجود خلاف بين آية ٢٤ من اصحاح ١٣ من سفر يشوع وبين آية ١٩ من الاصحاح الثاني من سفر التثنية فانهُ ورد في سفر يشوع قوله تعالى واعطى موسى لسبط جاد بني جاد حسب عشائرهم فكان تخمهم يعزير وكل مدن جلعاد ونصف ارض بني عمون وعبارة سفر التثنية هي فمتى قربت الى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم لاني لا اعطيك من ارض بني عمون ميراثاً لاني لبني لوط اعطيتها ميراثاً قلنا تقدم الرّد على هذا الاعتراض بما فيهِ الكفاية وقلنا ان بني اسرائيل لم يمسوا ارض بني عمون في عهد موسى ولكن لما اخذ الاموريون جانباً عظيماً من ارضهم حارب بنو اسرائيل الاموريين واخذوا منهم الارض التي كانوا اخذوها من بني عمون والدليل على ذلك ما ورد في سفر القضاة ١١ : ١٢ – ٢٨ وعليهِ فلا تناقض لان بني اسرائيل لم يحاربوا بني عمون حسب امر موسى بل حاربوا الاموريين واخذوا منهم الاراضي التي اغتصبوها فلا تناقض بين القولين لاختلاف الموضوع ولاختلاف الزمان انظر صحيفة ١٠٧

(٣) قال يوجد اختلاف بين سفر الايام الاول ص ٧ و ٨ وبين ص ٤٦ من سفر التكوين بخصوص اولاد بنيامين قلنا تقدم الكلام على ذلك بما فيهِ الكفاية فاوضحنا عدم وجود اختلاف مطلقاً فان غاية موسى ذكر اولاد بنيامين فقط اما في سفر الايام فغايته ان يذكر تكاثر ذرّية ثلاثة من اولاده وكيف صار

منهم رجال اشداء في الحرب ولم تكن غايتهُ ذكر جميع اولاده بالحصر بل ذكر ثلاثة واكد بقولهِ انهم ثلاثة كقوله ثلاثة ايام في الحجّ وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة أعيد ذكر عشرة للتاكيد الى آخر ما تقدم انظر صحيفة ٨٩

(٤) قال يوجد اختلاف في الاسماء بين ما ورد في سفر الايام الاوّل ص ٨ : ٢٩ — ٣٨ وبين ما ورد في ص ٩ : ٣٥ الى ٤٤ وان علماء اليهود قالوا ان عزرا النبي وجد كتابين باختلاف الاسماء ولم يميز ايهما احسن نقول من راجع العبارتين لم يجد اختلافًا نعم قد ذكر في الاصحاح الثامن بانهُ سكن في جبعون ابو جبعون واسم امرأته معكة وفي الاصحاح التاسع ذكر ما نصهُ ابو جبعون يعوئيل فلا اختلاف ففي المحل الاول عبّر عنهُ بالكنية وهي ما صدرت بأب وأم وفي المحل الثاني جمع بين الكنية والاسم وهو معهود في كل لغة فورد قوله تبت يدا أبي لهبٍ فان محمدًا لما جمع اقاربهُ فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا واخذ حجرًا ليرميهُ بهِ فنزلت وانما كناهُ والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته اما اسمه فهو عبد العزى وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ثانيًا ورد تاريع وفي المحل الآخر تحريع ونهوعدة وفي المحل الآخر يعرة وبنعة وفي المحل الآخر ينعة ولا ينكر انهُ يوجد خلاف في هذه الاسماء وقد عهد بين كل أمة وقبيلة وفصيلة انهم يسمون الشخص الواحد باسماء متنوعة مثل قولهم ابو الأسود الدؤلي واختلف في اسمهِ وابو عمرو ابن العلاء اختلف في اسمهِ على احد وعشرين قولاً وابو الخطاب الاخفش واسمهُ عبد المجيد الخ قال الجواليقي ابراهيم اسم قديم ليس بعربي وقد تكلمت بهِ العرب على وجوه اشهرها ابراهيم وقالوا ابراهام وقرئ بهِ في السبع وابراهم بحذف الياء واسماعيل قال الجواليقي ويقال بالنون في آخره وعن ابن مسعود ان الياس هو ادريس والياس بهمزة قطع

اسم عبراني وقد زيد في آخره ياء ونون في القرآن قال سلام على الياسين كما قالوا في ادريس ادرسين ويكنى عمر ابن الخطاب ابا حفص وكان يدعى الفاروق لانهُ اعلن بالاسلام ونادى به والناس يخفونهُ وقد تفاضل ولد ابى بكر فقال احدهم انا ابن الصديق وقال آخر انا ابن ثاني اثنين وقال آخر انا ابن صاحب الغار وقال محمد بن عبد الرحمن انا ابن ابي عتيق فقولهُ ان عزرا النبي لم يميز بين الاشياء هو سفاهة فان النبي استعمل بعض اسمائهم ومن تأمل في هذه الاسماء وجد فرقاً زهيداً فكلمة تاريع هي مثل تحريع وبنعة وينعة ويهوعدة ويعرة هي متقاربة ومتشابهة وهي كالخلاف بين ابراهيم وابراهام كما في القرآن

٥١) قال ورد في ٢ صموئيل ٢٤ : ٩ ما نصه فدفع يوآب جملة عدد الشعب الى الملك فكان اسرائيل ثمانمائة الف رجل ذي بأس مستل السيف ورجال يهوذا خمسمائة الف رجل وهو ينافي ما ورد في سفر الايام الاوَّل (٢١ : ٥) ونصه فدفع يوآب جملة عدد الشعب الى داود فكان كل اسرائيل الف الف ومائة الف رجل مستلي السيف ويهوذا اربعمائة وسبعين الف رجل مستلي السيف فيوجد اختلاف بحسب الظاهر في نحو ٣٣٠ الف رجل ولكن بعد التأمل نرى انهُ لا يوجد ادنى اختلاف ولا تناقض وبيان ذلك ان من طالع الاصحاح السابع وعشرين من سفر اخبار الايام الاوَّل رأى انهُ يوجد اثنا عشر جنرالاً وكان يترأس كل واحد على الجيش شهراً كاملاً للمحافظة على الملك وكان تحت رئاسة كل منهم اربعة وعشرون الف نفر فمجموع عدد الجيش الذي كان تحت رئاسة اولئك القواد هو ٢٨٨ الف نفر وذكر في هذا الاصحاح ايضاً انهُ كان يوجد اثنا عشر الف نفر لامراء اسباط بني اسرائيل فالمجموع هو ثلثمائة الف نفر وهو الفرق بين الاحصائين فصموئيل النبي لم يلتفت الى الثلثمائة الف نفر لانهم كانوا

معروفين عند الملك لانهم هم الجيش الذي كان تحت السلاح ولم يكن داع الى احصائهم واما في سفر الايام فاضافهم وضمهم الى الاحصاء والدليل على ذلك قوله ان (كل) اسرائيل مليون ومائة الف اما صموئيل النبي فلم يقل (كل) اسرائيل بل قال كان اسرائيل واذ تقرّر ذلك فلا خلاف ولا تناقض (ثانياً) انهُ كان من الجيش الذي كان تحت السلاح نحو ثلاثين الف نفر كما في (٢ صموئيل ٦ : ١) محافظين على حدود فلسطين وقد ادرجهم النبي صموئيل في الخمسمائة الف نفر رجال يهوذا اما في سفر الايام فلم يدرجهم بل اقتصر على ان ذكر ٤٧٠ الف نفر وسببهُ انهُ لم يكن جميع الثلاثين الف نفر من سبط يهوذا ولذا لم يعبر في احصاء هذا السبط بلفظة كل يهوذا كما فعل في اسرائيل بقولهِ كل اسرائيل بل كانوا من جملة اسباط وعليهِ فلا يوجد اختلاف ولا تناقض وليس هذا الحل هو تلفيق من عندنا او من عند المفسرين او العلماء المحققين بل هو من عند رب العالمين فان هذه الارقام جميعها مذكورة في التوراة فذكر عدد الجيش الذي تحت السلاح وقواده المعتبرين وذكر عدد الذين كانوا على الحدود ولو لم يذكر النبي ذلك في الكتاب ثم رأى البعض هذا الاختلاف لقالوا انهُ يوجد تناقض واختلاف او غلط وما شاكل ذلك من الفاظ الغرور فانهم لا يقرّون بجهلهم وقصورهم ولكن نشكر الله على عنايتهِ الالهية لانهُ هو الذي ازال الاشكال بما اوضحهُ في كتابه من الآيات البينات

(٦) قال في ٢ صموئيل ٢٤ : ١٣ ما نصهُ فأتى جاد الى داود واخبرهُ وقال لهُ أتأتي عليك سبع سني جوع في ارضك وفي سفر الايام الاوّل ٢١ : ١٢ اما ثلاث سنين جوع قلنا ان النبي في سفر الايام راعي شدة الجوع والقحط وهي ثلاث سنين اما صموئيل النبي فاضاف اليها الطرفين فاضاف في الطرف

الاوّل سنتين واضاف الى الطرف الثاني سنتين اخريين فانه لا بد ان يسبق شدة القحط سنتان يكون فيهما القحط خفيفاً نوعاً ثم يشتد ثلاث سنين وبعد هذه المدة يأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً ولا ينتهي الاّ بعد الزرع والقلع ويلزم لذلك نحو سنتين فاحد النبيين اقتصر على ذكر شدة القحط وهي ثلاث سنين اما صموئيل النبي فذكر كل المدة بطرفيها فان القحط من الاشياء التي تأتي بالتدريج وتزول بالتدريج واذا قيل ما هي الحكمة في اقتصاره على ذكر ثلاث سنين قلنا ان الحكمة في ذلك خلاف ما تقدم هي المشاكلة فانهُ قال ثلاثة انا عارض عليك فاختر لنفسك واحداً اما ثلاث سنين جوع او ثلاثة اشهر هلاك امام مضايقيك وسيف اعدائك يدركك او ثلاثة ايام يكون فيها سيف الرّب وباء في الارض فذكرهُ الثلاثة في كل المواضع هو من باب المشاكلة وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً او تقديراً فالاول كقول القرآن تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ومكروا مكر الله فان اطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى لمشاكلة ما معه وكذا قولهُ وجزاء سيئة سيئة مثلها لان الجزاء حق لا يوصف بانهُ سيئة · فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فاليوم ننساكم كما نسيتم ويسخرون منهم سخر الله منهم · انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم والتقديري كقوله صبغة الله اي تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس وهو مأخوذ من معمودية المسيحيين فعبر عن الايمان بصبغة الله للمشاكلة فكذلك عبر النبي هنا بلفظة ثلاثة في جميع المحال للمشاكلة وصرف النظر عن طرفي المدة وهما سنتان قبل القحط الشديد وسنتان بعده

(٧) ورد في سفر الملوك الثاني ٨ : ٢٦ ان اخزيا كان ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في اورشليم واسم امه عثليا بنت عمري وورد

في سفر الايام الثاني ص ٢٢ : ٢ بان اخزيا كان ابن اثنين واربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في اورشليم قلنا المراد بقوله اثنين واربعين سنة اي من دولته لانه ذكر قبل هذا الخبر بسطرين اثنين فقط بان اباه مات وعمره اربعون سنة فلا يتصوَّر انه كان اكبر من ابيه بسنتين فيتعين اذن بان المراد انه صار للدولة التي هو منها ٤٢ سنة وكان عمره نحو اثنين وعشرين سنة بلا شك وهو امر ضروري لا يحتاج الى فكر ونظر فقوله ان اباه مات وعمره اربعون سنة قرينة معينة تعين المراد وهو انه ملك وعمره نحو ٢٢ سنة ثانياً قرئ عوضاً عن ٤٢ سنة ٢٢ وعليه فلا لزوم الى التأويل وسبب الاختلاف القراءة هو ان العبرانيين كانوا يستعملون الاحرف للدلالة على الاعداد وبما انه يوجد تشابه بين الحرف الدال على العدد ٢ والحرف الدال على العدد ٤ نشأ هذا الاختلاف في القراءة وهذا امر نادر جدًا في كتاب الله وهو يكاد ان يكون كالمعدوم الذي لا وجود له بخلاف اختلاف قراآت القرآن التي تعد بالالوف كما ستقف عليهِ وزد على هذا ان قراآت القرآن المتنوعة بُني عليها اختلاف الاحكام وتفرق المذاهب بخلاف ما نحن فيه

(٨) ورد في ٢ ملو ٢٤ : ٨ بانه كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك وورد في سفر الايام الثاني ٣٦ : ٩ بان يهوياكين كان ابن ثماني سنين حين ملك قلنا لما كان عمره ثماني سنين اشركه معه والده في الحكم ليمرنه ويدربه على السياسة والادارة ومع ذلك فلم يملك رسمياً الاَّ لما كان عمره ثماني عشرة سنة وهو ابتداء مدة حكمه رسمياً بعد وفاة والده واشراك الملوك اولادهم معهم في الحكم هو امر معهود في ممالك الدنيا ولا يخفى ان ملك اسبانيا الحالي تولى الملك وعمره لم يتجاوز سنة واحدة وعينت والدته قيمة على المملكة ومع ذلك

فيقال انه ملك لما كان عمره سنة واحدة ويجوز ان نقول انه لم يملك الاّ لما بلغ سن الرشد فمن قال انه ملك وعمره سنة واحدة هو صادق ومن قال انه ملك وعمره ١٧ سنة هو صادق

(٩) ورد في ٢ صموئيل ٢٣ : ٨ بان يوشيب بشبث التحكموني رئيس الثلاثة هو هز رمحه على ثمانمائة قتلهم دفعة واحدة وورد في ١ ايام ١١ : ١١ بان يشبعام ابن حكموني رئيس الثوالث هو هز رمحه على ثلثمائة قتلهم دفعة واحدة فتوهم كنكوت ان هنا ثلاثة اغلاط وهي في الاسم العلم فظن انه لا يجوز ان يكون العلم مركبًا من اسم فاعل وجار ومجرور فان معنى بشبث الرابض اي الجالس في مكانه وما دري ان هذا جائز في كل لغة فالعلم يكون مركبًا من مضاف ومضاف اليه نحو عبدالله ومن فعل وفاعل نحو جاد الحق ومن فعل وفاعل وغيرهما نحو تأبّط شرًّا ومن اسم فاعل وغيره نحو الحاكم بأمر الله والمعتصم بالله والمتوكل على الله وغير ذلك وثانيًا انهُ ظن ان كلمة هزّ رمحهُ هي علَم فقال انها خطأ وكم من عائب قولاً صحيحًا وافتهُ الفهم السقيم وثالثًا العدد فاحد النبيين اقتصر على ذكر الذين قتلهم فسقطوا صرعى اما النبي الاخر فنظر الى الذين قتلهم وجرحهم وولوا الادبار فانه اذا قتل ٣٠٠ لا بد ان يكون جرح وهرب ٥٠٠ ايضًا وكل منهما صادق ومصيب فيما قال هذا اذا كانت الوقعة واحدة والاّ اذا كانت وقعتين مختلفتين لا يصدق عليهما تعريف التناقض لاختلاف الزمان والمكان هذه هي اعتراضات كنكوت وهي سخيفة كما يعلم من الرّد عليها والترجمة باللغة العربية هي بغاية الصحة والضبط

(١٠) قال يؤخذ من الاصحاح الخامس والسادس من سفر صموئيل الثاني ان داود جاء بتابوت عهد الله بعد محاربة الفلسطينيين ويؤخذ من الاصحاح

١٣ و ١٤ من سفر لايام الاوَّل انهُ جاءَ بالتابوت قبل محاربتهم قلنا كان الواجب على المعترض ان ينظر في ص ١٥ من سفر اخبار الايام الاوَّل لا ان يشطر الكلام فيأتي مبتورًا فلو اطلع على ما ورد في هذا الاصحاح رأى ان داود اصعد تابوت عهد الله بعد ان هزم الفلسطينيين وحينئذٍ لا يوجد تقديم ولا تأخير ونزيد هذه المسألة شرحًا وبيانًا فنقول ان بني اسرائيل اصعدوا تابوت عهد الله مرَّتين فمرَّة اصعدوهُ من بعلة وكان ذلك قبل انهزام الفلسطينيين كما هو ظاهر من ٢ صمو ٥ و ٦ ومن ١ ايا ١٥ وليس من الاصحاح ١٤ كما ألبس وأبهم المعترض فالنبي صموئيل بعد ان ذكر انتصار داود على الفلسطينيين ذكر اصعاد التابوت مرَّتين اما في سفر الايام فذكر اصعاد تابوت الله من بعلة ثم انتصار داود على الفلسطينيين ثم ذكر اصعاد التابوت من بيت عوبيد ولا يوجد ادنى تناقض ولا منافاة بين الامرين بأي وجه كان فأي حرج على النبي اذا ذكر تاريخ تابوت عهد الله مرَّة واحدة وجمع الشيء الى مثلهِ حتى لا يعود اليهِ ثانية اما النبي الآخر فذكرهُ بطريقة أُخرى وهنا لا تقديم ولا تأخير واذا اتخذ عدم الترتيب دلالة على الاخلال بالكتب الالهية فماذا يقول في قرآنه الذي لا يوجد فيهِ ادنى ترتيب لا في ذكر الحوادث ولا في غيرها فهذه سورة البقرة ذكر فيها سقوط آدم ثم اخذ يذكر بني اسرائيل بمراحم الله عليهم وتغريق فرعون ثم ذكر موسى واتخاذ بني اسرائيل العجل ثم ذكر تذمرهم بسبب الاكل والشرب وبعد خبط وخلط ذكر قصة البقرة وبعد كلام ذكر موسى وعيسى ثم ذكر موسى واتخاذ بني اسرائيل العجل ثانية ثم ذكر سليمان ثم ذكر ابراهيم وغير ذلك من الخلط الذي لا مزيد عليهِ فانهُ لا توجد مناسبة بين موسى وعيسى في الزمن ولا مناسبة بين سليمان وابراهيم فكان الواجب عليهِ بعد ذكر آدم

ان يذكر قايين وهابيل ثم اخنوخ ثم نوح ثم ابراهيم ولوط ثم اسحق و يعقوب وعيسو ثم يوسف و بني اسرائيل وموسى الى آخر الترتيب المذكور في التوراة

وقد ورد في سورة القيامة لا تحرّك بهِ لسانك لتعجلَ بهِ ان علينا جمعهُ وقرآنهُ فانه لا توجد ادنى مناسبة بين هذهِ الاقوال وبين اول السورة وآخرها فان السورة كلها في احوال القيامة حتى قال بعض الرافضة انهُ سقط من السورة شيء انظر الاتقان جزء ٢ صحيفة ١٢٧ وقد تكلفوا في الرد على ذلك بما لا يشفي الأوام وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام ان يقع في امر متحد مرتبط اولهُ بآخره فان وقع على اسباب مختلفة لم يقع فيهِ ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليهِ الاّ بربط ركيك يصان عن مثلهِ حسن الحديث فضلاً عن احسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في احكام مختلفة شرعت لاسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض وقال ابو العلاء محمد بن غانم لم يقع في القرآن من المناسبات شيء لما فيهِ من التكلف وقال ان القرآن انما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال الى غير ملائم

(١١) قال ورد في تك (٦ : ١٩ و ٢٠ وفي ٧ : ٨ و ٩) بان الله امر نوحاً بان يأخذ من كل ذي جسد اثنين ذكرًا وأنثى من الطيور كاجناسها ومن البهائم كأجناسها مع انهُ ورد في ص ٧ : ٢ و ٣ بان الله امرهُ ان يأخذ من البهائم الطاهرة سبعة ذكرًا وانثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ومن الطيور سبعة قلنا ان الامر الاوّل كان على وجه الاجمال بان قال لهُ خذ لك زوجين من كل البهائم والطيور ولم يبين اذا كانت طاهرة او غير طاهرة ثم اوضح بعد ذلك بسطرين بان يأخذ من الطاهرة سبعة لاستبقائها ولتقديم الذبائح منها فهو تفصيل بعد اجمال او تقييد بعد اطلاق ولك ان تجعلهُ من الجمع ثم التقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه او الجمع مع التفريق والتقسيم

(١٢) ورد في سفر العدد ص ٣١ ان بني اسرائيل افنوا المديانيين في عهد

موسى ولم يبقوا ذكراً لا بالغاً ولا غيره وكذلك لم يبقوا امرأة بالغة ويؤخذ من سفر القضاة ص ٦ ان المديانيين تقووا حتى عجز بنو اسرائيل عن مغالبتهم ولم يبق لهم سوى مائتي سنة فاستبعد نموهم في مدة مائتي سنة حتى غالبوا بني اسرائيل قلنا ان بني اسرائيل لم يستأصلوا المديانيين من الوجود بل لا بد انه نجا منهم عدد كثير واذا قيل لماذا قال الكتاب ان بني اسرائيل افنوهم قلنا حصل الافناء في بعض الجهات وهو لا ينافي وجودهم في جهات أخرى واذا وردت عبارة تفيد العموم فليس المراد منه استغراق الجنس بل هو مخصوص ومنه في القرآن وأوتيت من كل شيء مع انها لم تؤت بعض الاشياء التي من جملتها ما كان في يد سليمان وكذلك قوله تدمر كل شيء بامر ربها وقوله تجبى اليه ثمرات كل شيء واذ تقرر ذلك فلا بد ان الذين نجوا صاروا أمة عظيمة في ظرف مائتي سنة ولا سيما انهم تحالفوا مع العمالقة وغيرهم حتى ضايقوا بني اسرائيل من جهة الشمال والشرق وكثيراً ما يسلط المولى سبحانه وتعالى اصغر الأمم واحقرها على الأمم الكبيرة فتضايقها وسببه تمادي الأمم الكبيرة على الشر والطغيان او التباهي والارتكان على حولها وطولها فان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء والأمة اذا حادت عن طريق الفضيلة وانغمست في الرذيلة كان ذلك علامة انحطاطها وسقوطها مهما كان عددها وعُددها وقد قهرت مملكة يابان في هذه السنين مملكة الصين مع ان عدد سكان مملكة يابان لا يتجاوز عشر سكان مملكة الصين فليس المدار على الكثرة بل على ارادة المولى سبحانه وتعالى

قال ورد في سفر الخروج ص ٩ : ٦ انه ماتت كل مواشي المصريين واما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد وورد في عدد ٢٠ قوله فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه الى البيوت واما الذي لم يوجه قلبه

الى كلمة الرب فترك عبيده ومواشيه في الحقل فبينهما اختلاف قلنا ليس المراد ان جميع مواشي المصريين ماتت بدون استثناء حاشا وكلاّ فانه خرج عن هذا الحكم مواشي الذين آمنوا بكلام الله كما هو مذكور صريحاً في عدد عشرين فاذا قلنا مات كل سكان المدينة ما عدا البعض فلا يجوز ان نقول ان عجز الكلام منافٍ لصدره وبصرف النظر عن ذلك فقرر علماء الاسلام ان كل تستعمل في الخصوص عند القرينة كما نقول دخلت السوق فاشتريت كل شيء وفي القرآن ورد قولهُ ولقد اريناه آياتنا كلها والكل المجموعي شامل للافراد دفعة واحدة وهو في قوة البعض والكل الافرادي شامل للافراد على سبيل البدل يعني على الانفراد واذا دخل التنوين على مدخول كل فالكل افرادي وقد يكون كل للتكثير والمبالغة دون الاحاطة وكمال التعميم كقول القرآن وجاءهم الموج من كل مكان ويقال فلان يقصد كل شيء او يعلم كل شيء وورد في القرآن قولهُ وأُوتيت من كل شيء وكلا نقص عليك من انباء الرسل والمعنى وكل نبأ نقصه عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فلا يقتضي اللفظ قص انباء جميع الرسل (٥٣٧ كليات) فكلمة كل هي بمعنى بعض كما ترى فالمعنى اذن هو ان المصريين الذين لم يبالوا بانذارات الرب وتحذيراته ماتت مواشيهم اما الذين صدقوا قول الله وادخلوا مواشيهم في بيوتهم فنجت فماتت مواشي المصريين المقدسة كالثور والبقرة والكبش التي كانت لها هياكل مشيدة ومع ان هذه الضربة كانت سبباً في خسارة المصريين الاّ ان الغاية منها تفهيمهم ان معبوداتهم فاسدة

(١٣) ورد في سفر التكوين ص ٨ : ٤ و ٥ قوله واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل اراراط وكانت المياه تنقص

نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر وفي العاشر من اوَّل الشهر ظهرت رؤُوس الجبال قال فبين الآيتين اختلاف لانهُ اذا ظهر رؤُوس الجبال في الشهر العاشر فكيف استقر الفلك في الشهر السابع على جبال ارمنية قلنا يبلغ ارتفاع جبل اراراط نحو ١٧٧٥٠ قدماً عن سطح الارض فهو اعلى جبل في تلك الجهة فاذا استقر الفلك على جبل اراراط لا يمكن ظهور رؤُوس الجبال التي هي اقل منهُ ارتفاعاً الاَّ بعد ثلاثة اشهر او ما شاكل ذلك وقد عهدنا انهُ لما يفيض النيل وتعم مياهه بلاد مصر وينقطع نزول الامطار في اواسط افريقيا تمكث المياه على الاراضي نحو ثلاثة اشهر اقل ما يكون هذا مع كونها تصب في البحر المتوسط وهذا مثال تقريبي يوضح فساد اعتراض المعترض وقد أُخذت هذه القصة في القرآن فورد في سورة هود ان الله امر نوحاً ان يصنع الفلك ويدخل فيهِ من كل صنف زوجين الى قوله واستوت على الجوديّ وقال علماء المسلمين روي ان نوحاً ركب السفينة لعشرين بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرَّت بالبيت الحرام وقد رفعهُ الله من الغرق وبقي موضعهُ فطافت السفينة بهِ سبعاً واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معهُ في السفينة يوم عاشوراء فصامهُ نوح وقس على ذلك تلفيقاتهم ومما يحسن التنبيه عليهِ هو قول المفسرين فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عزَّ وجلَّ أَعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة قالوا وهذا الجواب ليس بقوي لانهُ يرد عليهِ اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك ايضاً اهلاك اطفال الأُمم الكافرة مع ابائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كلهُ ان

الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

الاختلاف من ١٥ الى ٢٦ وهو ما ورد في ٢ صمو ٨ وبين ١ ايام ١٨

٢ صموئيل ص ٨ : ١	ايام ص ١٨ : ١
وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم واخذ زمام القصبة من الفلسطينيين	وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم واخذ جت وقراها من يد الفلسطينيين
آية (٣) هدد عزر	آية (٣) هدر عزر
(٤) الف وسبعمائة فارس	(٤) الف مركبة وسبعة آلاف فارس
(٨) ومن باطح ومن بيروثاي مدينتي هدر عزر اخذ الملك داود نحاساً كثيراً جداً	(٨) ومن طبحه وخون مدينتي هدر عزر اخذ داود نحاساً كثيراً جداً
(٩) وسمع توعي ملك حماة	(٩) وسمع توعو ملك حماة
(١٠) يورام	(١٠) هدورام
(١٢) من ارام	(١٣) وجعل في ادوم محافظين
(١٣) ارام	(١٢) ادوم
(١٧) اخيمالك وسرايا كاتباً	(١٦) ابيمالك وشوشا كاتباً

فيرى بمجرد النظر عدم وجود ادنى تناقض بين (٢ صمـ ٨ : ١) وبين (١ ايا ١٨ : ١) فذكر في صموئيل بان داود ضرب الفلسطينيين واذلهم واخذ زمام القصبة وفي سفر الايام قال اخذ جت وقراها ولا يخفى انها هي زمام القصبة فلا تناقض فيجوز ان نسمي القصبة باسمها او نقتصر باطلاق لفظة قصبة عليها فانهُ لا يوجد في اي مملكة كانت قصبتان حتى لا يتعين المراد (ثانياً) اما هدد عزر وقوله في محل آخر هدر عزر فقد تقدم انهُ كثيراً ما يقرأُ الاسم الواحد باوجه شتى مثل ابراهيم وابراهام وابراهم واسماعيل واسماعين ومنهُ ذو اليدين فهو كما في كتاب المعارف لابن قتيبة صحيفة (١٠٩) هو عمير بن عبد عمرو من خزاعة ويكني ابا محمد وقيل لهُ ذو اليدين لانهُ كان يشتغل بيديهِ ويقال لهُ

ذو الشمالين أيضاً ويقال ان اسمهُ الخرباق وانهُ كان طويل اليدين وهو الذي قال للنبي لما نسي في الصلوة أَقصرت الصلوة أم نسيت يا رسول الله ومن ذلك ايضاً ابو هريرة فقال الواقدي هو عبدالله بن عمرو وقال غيره هو عبد الرحمن وقال غيره عبد عمرو بن عبد غنم ويقال عبد الشمس ويقال عمير بن عامر ويقال سكين اما هدد عزر فيقال لهُ ايضاً هدر عزر بابدال الدال راء فقط (ثالثاً) قد ورد الف وسبعمائة فارس وفي محل آخر الف مركبة وسبعة آلاف فارس قلنا المراد بسبعمائة فارس الواردة في سفر صموئيل سبعمائة صف من الفرسان وكل صف يشتمل على عشرة فيكون سبعة آلاف فارس ففي محل عبر عن عدد الفرسان وفي المحل الآخر عبرّ عن عدد الصفوف لان النصرة كانت جسيمة اما الالف فهي الف مركبة وفي القرآن كثير من حذف المضافين مثال حذف مضافين فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من اثر حافر فرس الرسول وتجعلون رزقكم اي بدل شكر رزقكم ومثال حذف ثلاث متضايفات فكان قاب قوسين اي فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب وحذف المضاف هو كثير في القرآن جداً حتى قال ابن جنى في القرآن منهُ زهاء أَلف موضع وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه المجاز على ترتيب السور والآيات٠ فالسبعة آلاف الواردة في سفر الايام هي سبعمائة صف والسبعمائة صف الواردة في سفر صموئيل هي سبعة آلاف فارس كما قال (سكوت) المفسر الشهير (رابعاً) ان طابح و بيروثاي مدينتا هدر عزر هما ذات طبحة وخون فان طبحة وخون هما اسماء هاتين المدينتين باللغة الاشورية وطابح وبيروثاي اسماؤُهما باللغة العبرية واختلاف الاسماء لاختلاف اللغات هو معهود فمصر اسمها باللغة الاجنبية

(اجبت) وبالعربية مصر وعكة اسمها باللغة الاجنبية (اكر) وغيره (خامساً) توعى ملك حماة هو ذات توعو ملك حماة فلا يوجد ادنى خلاف وتقدم انهُ كثيرًا ما يقرأ الاسم الواحد بقراآت كثيرة (سادساً) يورام هو ذات هدورام (سابعاً) قوله ارام وفي جهة ادوم فلا تناقض لان ارام عامة تشمل ادوم وهو كاطلاقنا مصر على القاهرة فمصر كلمة عامة تشمل القاهرة واسكندرية ومع ذلك فكثيرًا ما نطلق لفظة مصر على القاهرة من اطلاق الكل وارادة الجزء لانهُ لما كان هذا الجزء من الاركان المهمة اطلق عليهِ الكل (ثامناً) ادعى المعترض انهُ يوجد تناقض بين قوله من ارام وبين قوله وجعل في ادوم محافظين وكانهُ لم يعرف انهُ يلزم لتحقق التناقض اتحاد الموضوع والمحمول والزمان والمكان الخ وهنا لا يوجد شيء من ذلك والحقيقة هي انهُ ورد في سفر ١ ايام ١٨ : ١٣ هذه العبارة وهي قوله وجعل في ادوم محافظين وورد في سفر ٢ صمو ٨ : ١٤ ما نصهُ ووضع محافظين في ادوم كلها فليخبرنا اين التناقض (تاسعاً) ان اخيالك وسرايا الكاتب هما ذات ابيالك وشوشا الكاتب وقد تقدم انهُ كثيرًا ما يسمي الانسان باسماء متقاربة متشابهة كايلياس والياسين وغيره فقوله انهُ يوجد في هذا نحو اثني عشر خلافاً ليس في محلهِ كما ترى فلا يوجد ادنى اختلاف

ومن تأمل في تنوُّع قراآتهم وجد ان اختلافها ليس قاصرًا على الاعلام بل يعمها ويشمل غيرها مثاله لفظة ارجئه بالاعراف والشعراء ففيها ست قراآت الاولى ارجه بترك الهمزة والثانية ارجهي والثالثة ارجئهو والرابعة ارجئه والخامسة ارجئه بالهمزة وكسر الهاء والسادسة ارجه (انظر ابن قاصح صحيفة ٥٨ جزء ١) وقولهُ في سورة الحجرات فتبينوا قرئت فتثبتوا من التثبت وفي سورة سبا وفاطر يخسف بهم الارض قرئت يسقط وفي سورة الفاتحة ذكروا الصراط بالسين وغيره فلا تخلو سورة من السور من جملة قراآت حتى

اوصلوها الى جملة الوف اما في التوراة الشريفة فلا يوجد شيءٌ من هذا غاية الامر ان لبعض الاشخاص اسمين او ما شاكل ذلك وهو امر معهود في اصطلاحات كل الدنيا

قال الاختلاف ٢٧ الى ٣٢ ورد في سفر ٢ صموئيل ١٠ : ١٧ ما نصه ولما أُخبر داود جمع كل اسرائيل وعبر الاردن وجاء الى حيلام فاصطف آرام للقاء داود وحاربوه وهرب آرام من امام اسرائيل وقتل داود من آرام سبعمئة مركبة واربعين الف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك اما عبارة سفر الايام الاول ص ١٩ : ١٧ و١٨ فهي ولما اخبر داود جمع كل اسرائيل وعبر الاردن وجاء اليهم واصطف ضدهم اصطف داود للقاء آرام في الحرب فحاربوه وهرب آرام من امام اسرائيل وقتل داود من آرام سبعة آلاف مركبة واربعين الف راجل وقتل شوبك رئيس الجيش فليخبرنا المعترض اين السبب خلافات فهذه الاقوال هي في غاية الموافقة وانما العبارة التي توهم الاختلاف هي قولهُ سبعمائة في سفر صموئيل وهي واردة في سفر اخبار الايام الاول سبعة آلاف ومن دقق النظر رأى ان مراد النبي بكلمة المركبة هو الذين فيها وفي كل مركبة عشرة انفار والذي يعين هذا المقدار العدد المذكور في سفر الايام فان الكتاب يفسر بعضه بعضه فيكون سبعة آلاف نفر كما في تفسير سكوت فهو من اطلاق المحل وارادة الحال فيه مثل قوله وادعُ ناديه اي اهل ناديه والقرينة المانعة عن ارادة المعنى الحقيقي قوله وقتل داود سبع مائة مركبة فان المركبة لا تُقتل بل يقتل من فيها والمراد بعبارة النبي في المحل الثاني هو الرجال وحينئذٍ فلا تناقض ولا خلاف وقوله فارس في محل وفي محل آخر راجل فقال (سكوت) انهم كانوا يحاربون تارة مشاة واخرى على الخيل فمن نظر الى انهم كانوا على الخيل اطلق عليهم لفظة فرسان من باب التغليب ومن رأى انهم

كانوا مشاة اطلق عليهم كلمة مشاة من باب التغليب ايضاً وتوهم المعترض ان لفظة (اليهم) تنافي حيلام وهو من الغرائب فاذا قال النبي صموئيل ان داود توجه الى حيلام لمحاربة اعدائه ثم قال نبي آخر في سفر الايام بانه توجه اليهم لمحاربتهم فما الفرق بين الامرين وهدد عزر هو عين هدر عزر كما تقدم وشوبك هو عين شوبك ورئيس الجيش هو ذات رئيس الجيش فغاية المعترض ان يوهم الناس وجود اختلافات كثيرة

(٣٣) ١ ملوك ٤ : ٢٦ وكان لسليمان اربعون الف مذود لخيل مركباته واثنا عشر الف فارس وورد في ٢ ايام ٩ : ٢٥ وكان لسليمان اربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر الف فارس فيظهر في مبدإ الامر وجود اختلاف وتناقض وقد قال المحققون ان المذود المذكور في سفر الايام كان كبيراً بحيث يسع عشرة رؤوس من الخيل فيكون اربعة آلاف مذود كبيرة هي اربعون الف مذود صغيرة فاحد النبيين راعى عدد المذاود الصغيرة فذكرها والاخر راعى الصفوف وهي اربعة آلاف صف وكل صف يسع عشرة

(٣٤) ١ ملوك ٧ : ٢٤ وتحت شفته قثاء مستديراً تحيط بهِ عشرٌ للذراع محيطة بالبحر بمستديره صفين القثاء قد سبكت بسبكهِ وفي ٢ ايا ٤ : ٣ وشبه قثاء تحته مستديراً يحيط بهِ على استدارته للذراع عشرٌ تحيط بالبحر مستديرة والقثاء صفان قد سبكت بسبكهِ فمن قارن بين هاتين الآيتين لا يجد فرقاً ما ولو سلمنا جدلاً لقولهِ وقلنا ان في بعض النسخ لفظة ثيران وفي قرآة عقد لاجنابان العقد كانت على هيئة ثيران فاذا قلبنا المسألة من اي وجه كان لا نجد ادنى خلاف ولا تناقض

(٣٥) ٢ مل ١٦ : ٢ كان آحاز بن عشرين سنة حين ملك وملك ست

عشرة سنة في اورشليم وورد في ذات هذا السفر ١٨ : ١ و ٢ ما نصهُ وفي السنة الثالثة لهوشع بن ايلة ملك اسرائيل · ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك تسعاً وعشرين سنة في اورشليم فيكون عمر آحاز ٣٦ سنة فاذا ملك ابنهُ وعمرهُ نحو ٢٥ سنة يكون ولدهُ ابوهُ وعمرهُ نحو احدى عشر سنة وهو بعيد قلنا لا مانع من ان يكون بينهُ وبين ابيه احدى عشر سنة قال ابو محمد كان بين عبدالله وبين ابيه عمرو بن العاص اثنتا عشرة سنة في السن واعاد ابن قتيبة هذا الكلام ثانية في كتاب المعارف في صحيفة (١٩٨) فيكون مثل الفرق بين حزقيا وبين آحاز ابنه فان الاثنتي عشرة سنة هجرية تساوي احدى‌عشر سنة شمسية وحدث اسحق بن ابن راهوية عن صالح قال كانت لنا جارية بنت احدى وعشرين سنة وهي جدة انظر كتاب المعارف لابن قتيبة صحيفة ٩٧ ثانياً جرت عادة ملوك اسرائيل ان يشركوا ولي العهد معهم في الملك ليرشحوهم ويمرّنوهم عليهِ وبما ان ابتداء حكم حزقيا كان في السنة الثالثة من حكم هوشع كما في الآية الاولى وكان حكم هوشع في السنة الثانية عشرة من حكم آحاز كما في (١٧ : ١) فمن البيّن ان ابتداء حكم حزقيا كان في السنة الرابعة عشرة من آحاز والده ويكون حكم سنتين او ثلاث سنين قبل وفاة والدهِ فيكون عمره عند ابتداء حكمه مع والده نحو ٢٢ او ٢٣ سنة ويكون عمرهُ لما حكم بعد وفاة والدهِ نحو ٢٥ سنة ثالثاً نقول ايضاً بما ان القدماء كانوا يراعون السنة التي يحسبون منها المدة سواء تكون انتهت ام ابتدئ فيها يكون عمر آحاز لما ابتدأ ان يحكم ٢١ سنة ومضي عليهِ ١٧ سنة في الحكم وربما يكون حزقيا دخل في السنة الخامسة وعشرين من حكمهِ وعليهِ فيكون عمر والدهِ آحاز اربع عشرة سنة وهو امر عادي في الشرق

(٣٦) قال ورد في ٢ ايا ٢٨ : ١ ما نصه كان آحاز بن عشرين سنة حين ملك وملك ستة عشر سنة في اورشليم وورد في ذات هذا السفر ٢٩ : ١ ما نصه ملك حزقيا وهو ابن خمس وعشرين وملك تسعاً وعشرين سنة في اورشليم ويجاب عنه بمثل ما تقدم وكل هذا يدل على عدم وجود تحريف ولا خطأ كما توهم المعترض بل ان هذا هو الاصطلاح الذي كان جارياً في تدوين التواريخ اذ لا يتصور ان نبيين او اكثر يقعون في هذا الخطأ بل اذا اخطأ احدهم لابد ان يصيب الآخر فيثبت اذن المطلوب وهو تنزه الكتاب المقدس من شوائب التحريف وان هذا هو اصطلاحهم الذي جروا عليهِ في تدوين التواريخ وانه كانت عادة الملوك اشراك اولادهم معهم في الملك سنتين او اكثر للتمرين

(٣٧) ادعى ان بين الاية ٣١ من ٢ صموئيل ١٢ وبين ١ ايام ٢٠ : ٣ اختلاف وان هورن قال ان عبارة صموئيل صحيحة فلتجعل عبارة سفر الايام مثلها وها نورد الايتين لينصف المنصف وهاك عبارة صموئيل النبي وهي واخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وامرّهم في اتون الآجرّ وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ثم رجع داود وجميع الشعب الى اورشليم وهاك عبارة سفر الايام واخرج الذين بها ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفؤوس وهكذا صنع داود بكل مدن بني عمون ثم رجع داود وكل الشعب الى اورشليم فما هو الفرق بين الايتين وغاية المفسر هورن هو ان يوضح ان الايتين هما كناية عن اذلال داود لبني عمون فعاشوا في الذل مدة حياتهم

وجرت العادة ان يكنوا عن الشيء لبيان حال الموصوف او مقدار حاله او القصد الى المدح او الذم او الاختصار او استزادة الصيانة او التعمية والالغاز او التعبير عن

الصعب بالسهل او عن القبيح باللفظ الحسن كما يكنى عن الجماع بالملامسة والمباشرة والرفث والافضاء والدخول والسر وتلك في الحلال كما ان خبث وفجر في الزنا وعن البول ونحوهُ بالغائط وقضاء الحاجة وارباب الصلاح يقولون للاعمى محجوب وللاعور ممتنع وللكوسج خفيف العارضين فهنا عبَّر عن اذلالهم بالآيتين البديعتين فان وضع الشيء تحت المنشار والنورج يدل على منتهى الانكسار والانسحاق يعني انهم صاروا اذلاء وكلمة وضعهم هي بمنزلة نشرهم

(٣٨) ١ مل ١٥ : ٣٣ في السنة الثالثة لآسا ملك يهوذا ملك بعشا ابن اخيا على جميع اسرائيل في ترصة اربعاً وعشرين سنة وفي ٢ ايام ١٦ : ١ في السنة السادسة والثلاثين لملك آسا صعد بعشا ملك اسرائيل على يهوذا و بنى الرامة لا يخفى ان بعشا مات في السنة السادسة وعشرين من حكم آسا وعليهِ فلا يعقل ان يكون صعد بعشا في السنة السادسة والثلاثين من حكم آسا فاجمع المحققون على ان المراد بقوله السنة السادسة والثلاثين هو من انفصال العشرة اسباط اسرائيل من سبطي يهوذا وبنيامين وتقسيم المملكة الى قسمين قسم لاسرائيل وقسم ليهوذا وعليهِ فتكون السنة السادسة عشر من حكم آسا على يهوذا هي السنة السادسة والثلاثون من انقسام المملكة وجروا على هذه الطريقة في سفر ملوك يهوذا واسرائيل وفي سجلاَّت تلك الاعصر

(٣٩) ٢ ايا ١٥ : ١٩ ولم تكن حرب الى السنة الخامسة والثلاثين لملك آسا في سفر الملوك الاول ١٥ : ٣٣ هو مثل ما تقدم وتكرار ذلك يؤيد ما قلناهُ من انها كانت القاعدة المتبعة والطريقة المصطلح عليها في تلك الاعصر هو انهم يؤرخون الحوادث من انفصال مملكة اسرائيل

(٤٠) ١ مل ٥ : ١٦ ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاث مئة المتسلطين على الشعب العاملين العمل وفي ٢ ايا ٢ : ٢

واحصى وكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مائة قلنا ان النبي في سفر الايام نظر الى الروٴساء والى غيرهم من الرجال الاحتياطيين وعددهم ثلثمائة شخص فانه لا بد ان يمرض كثير من الثلاثة آلاف وثلثمائة رئيس او يموت بعضهم فعين سليمان ٣٠٠ لسد ما عساه ان يحصل من العجز في عدد الروٴساء بسبب امراض او وفيات وهذا الامر يلائم حكمة سليمان الباهرة فأحد النبيين ذكر عدد الروٴساء الاصلي اما النبي الآخر فاضاف الى الروٴساء الرجال الاحتياطيين ونظر الى المجموع ولكن من اقوى الادلة على صحة العدد الوارد في المحلين هو تساوي مجموع الاعداد الواردة في سفر الملوك لمجموع الاعداد الواردة في سفر الايام ففي (١ مل ٩ : ٢٣) ما نصهُ روٴساء الموكلين ٥٥٠ وفي (٥ : ١٦) روٴساء الوكلاء ٣٣٠٠ = ٣٨٥٠ وفي سفر (٢ ايا ٨ : ١٠) روٴساء الوكلاء ٢٥٠ وفي (٢ : ١٨) ٣٦٠٠ فالمجموع هو ٣٨٥٠ وهو قدر ما ورد في سفر الملوك بالتمام وانما الاختلاف في التقسيم ففي سفر الملوك نظر الى الرئاسة وفي سفر الايام نظر الى الجنسية وفي كلا الموضعين ذكر العدد بالتمام سواء كان احتياطياً او غيره وانما الخلاف هو في التقسيم فقط فياليت الانسان يتضع وينظر عيبهُ وجهلهُ قبل ان يتصدّى بالتنديد على كتاب الوحي الالهي وحينئذٍ فلا خلاف ولا تناقض فمن قال ان عدد الروٴساء ٣٣٠٠ هو مصيب ومن قال ان عددهم ٣٦٠٠ هو مصيب ايضاً اما قوله ان بعض المترجمين حرّفوا الآية الواردة في سفر الملوك بقولهم ٣٦٠٠ قلنا لو سلمنا لهُ بذلك لما تيسر لهم تحريف الاصل فالمدار اذن على الاصل المنتشر عند اليهود في انحاء الدنيا فهو الدستور الذي بهِ نعرف الصحيح من الفاسد هذا مع تعدد تراجم الكتب المقدسة بلغات شتى

(٤١) ١ مل ٧ : ٢٦ قولهُ ان البحر يسع ألفي بث وورد في ٢ ايا ٤ : ٥ انهُ

يسع ثلاثة آلاف بث قلنا ان النبي في سفر الملوك نظر الى الماء الذي يضعونهُ فيهِ عادة وهو الفابث ليتيسر الاغتسال منهُ بدون ان يفيض على حافتيهِ وهو لا ينافي انهُ كان يسع ثلاثة آلاف بث وقال احد العلماء ان النبي في سفر الايام لم يقتصر على ذكر سعة البحر بل نظر الى المياه اللازمة لجعل هذا البحر مثل ينبوع جار وليس ينبوعاً آسناً راكداً فاقتضى الحال الى ملئهِ وملء مجاريه ومما يؤيد ذلك ان العبارة المستعملة في ١ مل ٧ : ٢٦ تدل على السعة والظرفية والعبارة المستعملة في سفر الايام تدل على انصباب الشيء فيهِ لملئهِ فيلزم لجعل البحر على هذه الصفة اي بمنزلة ينبوع وملء مجاريه واجزائه نحو ثلاثة آلاف بث وهو يسع بصرف النظر عن اركانه ألفي بث فقط ويسع مع ما يرد اليهِ ثلاثة آلاف بث

(٤٢) قال من قابل الاصحاح الثاني من سفر عزرا النبي بالاصحاح السابع من كتاب نحميا وجد اختلافاً عظيماً في اكثر المواضع ومع انهما اتفقا في حاصل الجمع فانهما قالا بلغ عدد الذين اطلقوا من سبي بابل اثنين واربعين الف وثلثمائة وستين شخصاً ولكن اذا جمعنا ما في كلام عزرا كان ٢٩٨١٨ وما في كلام نحميا ٣١٠٨٩ قلنا ان هذين الاصحاحين يشتملان على اسماء اعيان اليهود الذين عادوا من سبي بابل الى اوطانهم وهما متشابهان في الكليات وانما لا ينكر حصول اختلاف جزئي بينهما وهو امر طبيعي كان يتوقع حصوله وبيان ذلك ان عزرا النبي كتب الاصحاح الثاني الذي هو بيان اسماء الذين رغبوا العود الى اوطانهم وهو مقيم في بابل اما نحميا فكتب الاصحاح السابع وهو في اليهودية بعد بناء اسوار اورشليم فكان لا بد من حصول فرق في هذا البيان في هذه المدة المديدة فانهُ لا بد ان مات البعض في هذا الاثناء ومات البعض

الآخر في حال سفرهم وعدل البعض عن السفر بعد ان سئموا غرار العزم عليه فسقطت اسماء من ماتوا ومن عدلوا عن السفر من الاصحاح السابع من سفر نحميا وزد على هذا لا بد انهُ سافر ايضاً غير الذين كتبوا اسماءهم في بابل فزاد كشف نحميا ولهذه الاسباب المتقدمة لم يرد في سفر نحميا ذكر لمغبيش مع انهُ ذكر في عزرا (٢ : ٣٠) فانهُ ربما كان في نيته السفر الى اورشليم ثم لاح لهُ الاضراب عن السفر بعد ان كتب عزرا اسمهُ وزد على ذلك اختلاف الاسماء فجرت عادة اليهود بل جميع أُمم الشرق وغيرهم ان يكون للشخص اسم ولقب وكنية مثلاً بنو حاريف المذكور في نحميا (٧ : ٢٤) تسمى في عزرا ٢ : ١٨ باسم بني يورة وكذلك ورد في نح ٧ : ٤٧ بنو سيعا وهو مذكور في عز ٢ : ٤٤ بنو سيعها وغيره فلو ذكر نحميا ذات ما ورد في سفر عزرا لم يكن كلامه مطابقاً للواقع ونفس الامر ولكنهُ تكلم حسب ما شاهد ورأى في عصره على انهُ لا يوجد خلاف يعتد به فان عزرا ذكر ٢٩٨١٨ ولكنهُ زاد على ذلك ٤٩٤ شخصاً لم يرد لهم ذكر في نحميا وذكر نحميا ٣١٠٨٩ واختص بان ذكر ١٧٦٥ شخصاً فاذا جمع العدد الزائد في عزرا على العدد الذي ذكرهُ نحميا كان المجموع ٣١٥٨٣ وكذلك اذا جمعنا العدد الزائد في نحميا على ما ذكر في عزرا كان المجموع ٣١٥٨٣ فاذا طرحناهُ من ٤٢٣٦٠ كان الناقص ١٠٧٧٧ وسبب عدم ذكرهم هو انهم لم يكونوا من سبط يهوذا ولا من سبط بنيامين بل كانوا من الاسباط الاخرى فان سبطي يهوذا و بنيامين كانا متشوقين للعود الى اوطانهم وتجديد بناء الهيكل وذكر في عزرا آية ٦٥ المغنيون والمغنيات فاذا جمعناهم الى الذين سافروا مع زربابل كان مجموعهم خمسين الف نفر وكذلك سافر معهم ثمانية آلاف رأس ماشية وذكر كنكوت في جز ٢ صحيفة ٥٠٨

مقارنة بين هذين الاصحاحين واماط اللثام وشفى الأوام

وقوله ان يوسيفوس قال ان الذين اتوا من السبي هم ٤٢٤٦٢ قلنا ان كلام الحاضر المشاهد بعينيهِ هو اقوى من كلام الغائب الذي يأْخذ بالرواية عن الغير وعلى كل حال فلا يوجد تحريف ولا اختلاف وانما تكلم كل واحد بما عاين وابصر

(٤٣) ٢ ايام ١٣ : ١ و ٢ في السنة الثامنة عشرة للملك يربعام ملك ابيا على يهوذا ملك ثلاث سنين في اورشليم واسم امه ميخايا بنت اوريئيل من جبعة وورد في ص١١ : ٢٠ ثم بعدها اخذ معكة بنت ابشالوم فولدت لهُ ابيا قلنا ان ميخايا هي ذات معكة فانه جرت العادة تغيير اسم الانسان اذا صار ملكاً وتغيير اسم الامرأة اذا صارت ملكة فابو بكر اسمه عبدالله وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه نبيهم عبدالله ولقبهُ عتيقًا لجمال وجههِ ويقال سمي عتيقًا لان الرسول قال لهُ انت عتيق من النار وسمي صديقًا لتصديقه خبر الاسراء اما ميخايا او معكة فهي ابنة ابشالوم او بنت اوريئيل وبيان ذلك ان تامار بنت ابشالوم تزوجت باوريئيل ورزقت بمعكة فهي بنت بنت ابشالوم (١ملوك ١٥ : ٢) وام ابيا وام آسا (١ ملوك ١٥ : ١٠) والدليل على ذلك ان ابشالوم لم يخلف سوى تامار (٢ صمو ١٤ : ٢٧) وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان تامار بنت ابشالوم تزوجت اوريئيل وولدت معكة او ميخايا انتهى (٨ : ١٠ و ١١ من كتاب يوسيفوس) فقوله معكة بنت ابشالوم فهو الجد ونسبت اليه لانه الاب الاصلي ولا سيما انه كان مشهورًا اكثر من غيره

(٤٤) قال يؤخذ من الاصحاح العاشر من سفر يشوع ان بني اسرائيل لما قتلوا سلطان اورشليم استولوا على مملكته ويفهم من ١٥ : ٦٣ انهم لم يستولوا

على اورشليم قلنا مع ان بني اسرائيل هزموا ملوك تلك الجهات واستولوا على معظم ممالكهم الاّ انهم عجزوا عن الاستيلاء على بعض حصون اورشليم فدافعوا عنها الى ان ملك داود النبي واخذ تلك الحصون منهم عنوةً واقتداراً ولا يخفى انه لما هزم الالمانيون الفرنساويين في سنة ١٨٧٠ واسروا امبراطورهم واستولوا على معظم بلادهم لم يتيسر لهم الاستيلاء على باريس الاّ بعد ان حاصروها محاصرة طويلة وتاريخ الدنيا ملآن من مثل هذه الحوادث

(٤٥) ٢ صمو ٢٤ : ١ يؤخذ منه ان الله سبحانه وتعالى القى في قلب داود ان يعد بني اسرائيل ويؤخذ من ١ ايام ٢١ : ١ ان الشيطان اغوى داود على ذلك قال ولما لم يكن الله خالق الشر عندهم لزم الاختلاف القوي قلنا ان المسيحيين يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي ونسبة الاغواء والاغراء والتضليل الى الشيطان مجاز عقلي فأن المسيحيين يعتقدون انه لا تقع كلية او جزئية الاّ باذنه وارادته ومشيئته تعالى وقد ورد صريحاً انه هو فاعل الخير والشر وانما ورد في رسالة يعقوب الرسول ١ : ١٣ ما نصه لا يقل احد اذا جرّب اني اجرَّب من قبل الله لان الله غير مجرَّب بالشرور وهو لا يجرّب احداً ولكن كل واحد يجرَّب اذا انجذب وانخدع من شهوته انتهى يعني ان الانسان يعاقب ويثاب بالنظر الى الكسب والاختيار ومع ذلك فصرّح المولى سبحانه وتعالى بانه خالق الخير والشرّ قال في اشعيا ٤٥ : ٧ مصوّر النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر انا الرب صانع كل هذه وانما ينسب الاغواء والاغراء الى الشيطان مجازاً عقلياً علاقته السببية فانه لما كان هو السبب في الشر والخطايا نسب اليه الاغواء والاّ فالفاعل الحقيقي هو المولى فحينئذٍ اذا قال النبي مرةً ان الله القى في قلب داود ان يعد بني اسرائيل كان جارياً على الحقيقة

واذا نسب ذلك في محل آخر الى الشيطان كان مجازًا عقليًا

واجمع علماء الاسلام على انه لا مؤثر مع المولى سبحانه وتعالى في فعل من الافعال بل هو الموجد لافعال العباد من الكفر والايمان والطاعة والعصيان وورد في القرآن قوله والله خلقكم وما تعملون فافعال العباد كلها بارادته ومشيئته وحكمه وقضيته (اي قضائه) وتقديره وورد ايضاً قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ختم الله على قلوبهم وقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وقوله ام على قلوب اقفالها ومع ذلك فالعباد افعال اختيارية يثابون بها ان كانت طاعة و يعاقبون عليها ان كانت معصية كقوله جزاء بما كانوا يعملون وكقوله ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والحسن من افعال العباد برضا الله تعالى اي بارادته والقبيح منها ليس برضائه ولا يرضى لعباده الكفر ومع انه ورد قوله والله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء الا انه قد تضاف الهداية الى النبي مجازًا بطريق التسبب كما يسند الى القرآن وقد يسند الاضلال الى الشيطان مجازًا كما يسند الى الاصنام ونسب الاغواء والاضلال الى الشيطان في القرآن ولزيادة البيان نقول ان المولى سبحانه وتعالى موجد للافعال كلها فقد يأمر ويريد كالايمان ممن وقع منه ولا يأمر ولا يريد كالكفر من المؤمن ويأمر ولا يريد كالايمان من الكفار وقد يريد ولا يأمر كالكفر والمعاصي ممن اتصف بهما غير ان اللائق نسبة الخير لله والشر للنفس تأدبًا قال في القرآن ما اصابك من حسنة فمن الله اي ايجادًا وخلقًا وما اصابك من سيئة فمن نفسك اي كسبًا لا خلقًا يشهد له قل كلٌّ من عند الله ولذلك كان بعض العارفين اي الصوفية لا يعيبون فعل احد بل كل من حيث صدوره منه جميل كما قال

اذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً رأيت جميع الكائنات ملاحا
وان لم ترَ الا مظاهر صنعهِ حجبت فصيرت الملاح قباحا

وهو يشبه ما قررناهُ فكان المعترض يجهل قواعد دينه البسيطة

فينتج مما تقدم ما يأتي وهو مع ان المعترض اظهر من التحامل على الكتب المقدسة ومن التعنت ما لا مزيد عليهِ الا انهُ لم يقدر ان يثبت وجود تناقض بين ٣٩ كتابًا من الكتب المقدسة التي انزلها الرحمن في اوقات متنوعة وظروف مختلفة منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة فان المولى سبحانه وتعالى حافظ عليها

بعنايته من جيل الى آخر الى ان وصلت الينا سالمة من شوائب التحريف والتصحيف وغاية ما اورده مما يوهم التناقض ٤٥ خلافاً حسب وهمه عن بعض أعلام وبعض ارقام لا تبنى عليها احكام ولا عبادات ولا معاملات ومع ذلك فثبت بالبرهان عدم صحة دعواه كما يتضح للمنصف الراغب في الحق ولم يمكنه ان يورد اختلافاً بخصوص صلوة او زكوة او غير ذلك من اركان الدين هذا مع بطلان ما اورده من المناقضات كما تقدم والخلافات عندهم في اركان الدين جمة كما سنوضحه ان شاء الله فينتج اذن وجوب التمسك بكتب العهد القديم والايمان بها والاعتماد عليها

✵ الفصل الثاني ✵

(فيما يوهم التناقض في العهد الجديد)

قال الاختلاف السادس والاربعون الى الاختلاف الحادي والخمسين من قابل بيان نسب المسيح الذي في انجيل متى بالبيان الذي في انجيل لوقا وجد ست اختلافات (١) يعلم من متى ان يوسف ابن يعقوب ومن لوقا انه ابن هالي (٢) يعلم من متى ان المسيح من ذرّية سليمان بن داود ومن لوقا انه من اولاد ناثان ابن داود (٣) يعلم من متى ان اباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون ومن لوقا انهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان (٤) يعلم من متى ان (شالتيئيل) ابن يكنيا و يعلم من لوقا انه ابن نيرى (٥) يعلم من متى ان ابن زر بابل هو ابيهود ومن لوقا انه ريسا وتعجب من ذكر ابني زر بابل في ١ ايام ٣ وليس فيه ابيهود ولا ريسا فادعى انهما خطأ (٦) من داود الى المسيح ستة وعشرون جيلاً على ما في انجيل متى وواحد واربعون جيلاً على ما هو في انجيل لوقا

قلنا لما ذكر متى سلسلة نسب المسيح ذكرها على طريقة تنازلية من ابراهيم الى يوسف خطيب العذراء مريم وثانياً ذكر الاولاد الطبيعيين اي الذين تناسلوا تناسلاً طبيعياً بحسب الجسد فقال ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب الخ

ولكن لما ذكر لوقا نسب المسيح ذكرهُ على كيفية تصاعدية اي من المخلص الكريم الى الله ذاته وثانياً انهُ تكلم على الاولاد الحقيقيين اي الذين تناسلوا من ابائهم مباشرة وعلى الاولاد الغير الحقيقيين اي الذين نسبوا الى الاباء بواسطة احد الاقرباء او الانسباء كما سنوضحه فكانت عبارة لوقا غير معيّنة فهي عمومية فيصح اطلاقها على الاولاد الحقيقيين وعلى غير الحقيقيين ومما يدل على ذلك قوله ولما ابتدأ يسوع كان لهُ نحو ثلاثين سنة وهو (على ما كان يظن) ابن يوسف بن هالي ابن متثات فمن تأمل في عبارات لوقا وجدها غير عبارات متى وبما ان العبرانيين لا يدخلون في جدول نسبهم النساء فاذا انتهت العائلة بامرأة ادخلوا قرينها في النسب واعتبروهُ ابن والد قرينته وعلى هذا كان المسيح حسب هذا الاصطلاح الجاري والعادة المرعية المتبعة ابن يوسف كما كان ابن هالي واذا قيل لماذا قال متى ان يوسف بن يعقوب وفي لوقا انهُ ابن هالي قلنا ان البشير متى نظر الى والده الحقيقي فقال انهُ ابن يعقوب ولوقا نظر الى انهُ الابن الشرعي لهالي ووارثهُ الحقيقي وسنقيم البرهان القوي على ذلك والحاصل ان مريم ابنة هالي ويوسف هو ابن يعقوب ولما لم يكن لهالي ابن نسب اليهِ يوسف وهما اي يوسف ومريم من عائلة واحدة فان كلاًّ منهما تناسل من زربابل فيوسف هو من ابيهود ابنهُ الاكبر كما في (مت ١ : ١٣) ومريم هي من ذرّية ريسا ابنه الاصغر كما في (١ لو ٣ · ٢٧) اما من جهة الاعتراض الثاني والرابع فنقول ان لوقا ومتى قالا ان المسيح تناسل من شالتيئيل وزربابل وهما كما لا يخفى تناسلا من سليمان مباشرة ومع ان لوقا قال ان شالتيئيل كان ابن نيرى الذي تناسل من ناثان أخ سليمان الاكبر كما في (١ ايا ٣ : ٥) فالمراد بذلك انهُ تزوّج ابنة ناثان وبما ان نيرى مات بلا عقب من الذكور اتحد فرعا عائلة ناثان وعائلة سليمان في شخص

زر بابل باقتران شالتيئيل رئيس عائلة سليمان الشرعية بابنة نيرى الذي كان رئيس عائلة ناثان فمتى الانجيلي ذكر آب شالتيئيل الحقيقي وهو يكنيا ولوقا ذكر والده الشرعي وهو نيرى اما الاعتراض الخامس وهو قوله ان ابن زر بابل هو ابيهود ومن لوقا انهُ ريسا قلنا ليس الامر كما ذكر فانهُ يعلم من سفر الايام الاوَّل ص٣ ومن لوقا ايضاً ان ابن زر بابل هو رفايا ولكنهُ ذكر في لوقا بلفظة ريسا وذكر في متى ابيهود وهو المذكور في اخبار الايام بعوبديا وفي لوقا بيهوذا والمشابهة قوية بين هذه الالفاظ كما لا يخفى على المتأمل ولا سيما في الاصل العبري

بما ان متى كتب انجيلهُ الى العبرانيين جرى في النسب على الطريقة التي كانت مشهورة عندهم وبما ان لوقا البشير كتب انجيلهُ الى اليونان جرى في النسب على المصطلح عليهِ عندهم

قد كان اليهود يحافظون على جداول نسبهم بغاية الدقة والضبط وكان العلماء والمحققون يظنون في مبدأ الامر انهُ يوجد تناقض بين انجيل متى وبين انجيل لوقا في نسب المسيح ولكن ظهر لهم بانهُ لا يوجد تناقض ولا اختلاف بل ان هذه الطريقة كانت مرعية ومتبعة عند الأُمة اليهودية وان بعض الأمم المجاورة لها نسجت على منوالها واقتدت بمثالها في تحرير النسب ومما يؤَيد ذلك الآثار القديمة في بالميرا المجاورة لليهودية فوجد في هذه الآثار كتابات تاريخية منقوشة في عصر الرسل وترجمتها ان (ارانيس) هو أَب (اليالامينيس) ويسمى ابن بانوس وهو مثل قول متى البشير ان يعقوب ولد يوسف وكقول لوقا ان يوسف هو ابن هالي فكان لليهود وسكان بالميرا اصطلاح خصوصي في تحرير نسبهم وبيان ذلك انه اذا لم يكن للرجل او للامرأَة ولد تبني ابناً او ابنة وثانياً اذا لم يخلف الوالدان ابناً وكانت لهما ابنة زوجاها برجل واتخذاهُ لهما ولداً وايضاً

يتبنيان اولاد ابنتهما بهذا الاقتران ومما يوضح ما تقدم هو انهُ لما لم يكن لسارة ابن اعطت هاجر لرجلها فخلفت هاجر ولداً فتبنتهُ وقس على ذلك راحيل وليئة فانهما تحصلتا على اولاد بهذه الواسطة وهي ان كل واحدة منهما اعطت جاريتها لرجلها

ومن الامثلة الواردة في الكتب المقدسة الدالة على تبني الآب لاولاد ابنتهِ هو انهُ ورد في ١ ايا ٢ : ٢١ ان ماكير المكنى بأبي جلعاد اعطى ابنتهُ لحصرون فاتخذها وهو ابن ستين سنة فولدت لهُ سجوب وسجوب ولد يائير وكان لهُ ثلاث وعشرون مدينة في ارض جلعاد ولا شك ان هذه الارض كانت ملك ماكير وعقارهُ فانهُ كان متشوقاً لان يكون لهُ ابن وارث وتحصل يائير على جملة مدن فصارت املاكهُ ستين مدينة وعوضاً عن درج ذرّية يائير في عشيرة يهوذا لتناسلهم من حصرون قيل عنهم انهم اولاد ماكير أبي جلعاد بل يؤخذ من سفر العدد ٣٢ : ٤١ ان يائير هذا الذي كان في الواقع ونفس الامر ابن سجوب بن حصرون بن يهوذا يسمى في سفر العدد يائير بن منسى لان جدهُ الذي كان تبناهُ كان ماكير بن منسى فورث عقاراته

وكذلك ورد في سفر ١ايا ٢ : ٣٤ بان شيشان من سبط يهوذا اذ لم يكن لهُ بنون بل بنات اعطى ابنتهُ ليرحع عبد مصري الذي لا بد انهُ عتقهُ فخلف عتاي وغيرهُ غير انَ هذه الذرّية لم تنسب الى يرحع المصري ولكنها نسبت الى شيشان وصارت اسرائيلية وليست مصرية واخذت مكان شيشان في النسب والامتيازات

وكذلك ورد في الكتاب المقدس (استير ٢ : ٧) بان مردخاي اتخذ استير لنفسهِ ابنة وقت سبي بني اسرائيل ولو كان لمردخاي عقارات واملاك

لتبني ابناً عوضاً عنها

وكذلك اتخذت ابنة فرعون موسى ابنًا لها (خر ٢ : ١٠) وهو مثل ما ورد في سورة القصص ٢٨ : ٢ وكذلك ورد في سفر راعوث ٤ : ١٧ بانه ولد ابنًا لنعمى مع انه كان في الحقيقة ابن راعوث وكان من اقرباء نعمى الابعدين او لا نسبة بينه وبينها فان نعمى كانت زوجة ابيمالك فقط وكان بوعاز ذا قرابة لها ولكن كانت هذه القرابة بعيدة وكذلك نقرأ عن حيرام البارع في الصناعة بانه كان ابن امرأة ارمل من سبط نفتالي (١ ملو ٧ : ١٤) ولكن ورد في (٢ ايام ٢ : ١٤) بانهُ ابن امرأة من بنات دان وورد خلاف ما تقدم ما يأتي :

(٢ ملو ٢٤ : ١٧) وملّك ملك بابل متنيا عمه (اي عم يهو ياكين) عوضًا عنه وغيّر اسمه الى صدقيا فيظهر من هذا بان صدقيا كان ابن يوشيا اب يهو ياكين

(٢ ايام ٣٦ : ٩) وملك يهو ياكين ثلاثة اشهر وعشرة ايام في اورشليم وعند رجوع السنة ارسل الملك نبوخذناصر فاتى به الى بابل مع آنية بيت الرب الثمينة وملّك صدقيا اخاه على يهوذا واورشليم

(ارميا ١ : ٢ و ٣) في ايام يهو ياقيم ابن يوشيا ملك يهوذا الى تمام السنة الحادية عشرة لصدقيا بن يوشيا ملك يهوذا وفي ص ٣٧ : ١ وملَكَ الملك صدقيا بن يوشيا

(١ ايام ٣ : ١٦) وابنا يهو ياقيم يكنيا ابنه وصدقيا ابنه ومن هنا يظهر ان صدقيا كان ابن يهو ياقيم

فاذا سأل سائل وقال كيف يقال عن صدقيا في سفر الملوك بانه ابن يوشيا وفي سفر الايام بانه ابن يهوياقيم قلنا ان لفظة (دودو) المعربة بالعم في سفر الملوك معناه المفضل والمنتقى وثانياً ان صدقيا كان ابن يهوياقيم بنوة طبيعية ومع انه كان ابن ابن يوشيا ولكن اتخذه جده ابنًا لهُ وكذلك فعل يعقوب مع افرايم ومنسى ابني يوسف فصارا معدودين من اولاد يعقوب وصارا مثل باقي الاسباط

وعلى هذا القياس اتخذ يوشيا صدقيا ابن ابنه ابناً له وهذا هو السبب في تسميته بابنه تارة وبابن يهوياقيم تارة اخرى وذلك لان يوشيا قتل في سنة ٦٠٦ قبل المسيح وكان عمر صدقيا في ذلك الوقت ثماني او تسع سنين وصار ملكاً في سنة ٥٩٤ اي لما بلغ عمره نحو ٢١ سنة و ينتج مما تقدم

١ يائير كان ابن منسى ولكن	٢ يهوذا هو الذي ولد يائير
١ عناي كان ابن شيشان ولكن	٢ يرحع هو الذي ولد عناي
١ استير كانت ابنة مردخاي ولكن	٢ الذي ولد استير هو ابيحائل
١ موسى ابن ابنة فرعون ولكن	٢ الذي ولد موسى هو عمرام
١ عوبيد كان ابن نعمى ولكن	٢ الذي ولد عوبيد هو راعوث
١ حيرام نسب الى سبط نفتالي ولكن	٢ كان حيرام من سبط دان
١ صدقيا كان ابن يوشيا ولكن	٢ الذي ولد صدقيا هو يهوياقيم

وقس على ذلك الكتابة التي وجدت في آثار بالميرا فان معناها هو انشأ هذا الاثر مجلس السناتو اي الشيوخ لاجل (اليالاميئيس) بن بانوس حفيد موسيموس حفيد ارانس حفيد ماثوس ولاجل ارانيس اب (اليالاميئيس) نخبة بلادهم واصحاب وطنهم الخ

وقس على ذلك نسب يوسف الذي قال عنه متى بان يعقوب ولد يوسف ومع ذلك فلوقا قال ان يوسف هو ابن هالي فعلينا ان نفهم ذلك ونفسره حسب المبادي المدونة عند اليهود والطرق المصطلح عليها عندهم لانه لا يمكن اقامة اثر وينقش عليه اليالاميئيس بن بانوس ثم يقول ان ارانيس هو اب اليالاميئيس الاّ اذا كان جارياً على مثال متى ولوقا واتخذت الامة اليونانية هذه العادة من اليهود لما كان بينهم من العلاقات التجارية ولا سيما ان زنوبيا

ذاتها كانت يهودية و يظن ان بالميرا هي تدمر سليمان المذكورة في (١ ملوك ٩ : ١٨ و ٢ ايام ٨ : ٤)

اما من جهة التاريخ فهو تاريخ اليونان من وفاة اسكندر الاكبر لانه كانت عادة الاشور بين ان يؤرخوا من وقت حكمه وجرى بعض المسيحيين على هذا لغاية يومنا فهو ٤٥٠ من اسكندر او ١٢٦ مسيحية وهو يقرب جداً من زمن يوسف ومريم ولكن يظن عموماً انه من زمن سلوسيديا يعني قبل المسيح بنحو ٣١٢ سنة

اما قوله انه بين داود والمسيح الف سنة وانه على قول البشير متى يكون مقابلة كل جيل الفسنة وعلى لوقا يكون خمسة وعشرين سنة قلنا ان متى ذكر نسب المسيح مدة الفي سنة تقريباً اي من ابراهيم الى يسوع المسيح اما لوقا فذكر النسب من آدم الى المسيح اي اربعة آلاف سنة تقريباً فلا عجب اذا ذكر في هذه النسبة بعض من لم يكونوا ملوكاً ولا رؤساء فان النسبة التي ذكرها لوقا تشتمل على الملوك وغيرهم لانها اوسع واشمل من نسبة متى وبما تقدم سقطت جميع اعتراضاته من اولها الى آخرها وادعى ان بعض المحققين ادعوا بوجود اختلاف معنوي قلنا ان عادة المعترض نقل اقوال الكفرة ثم يدعي انهم من المسيحيين ونقل اقوال الجهلة ويدعي انهم من المحققين و يقتضب الاقوال ويتمسك بالاذناب والاذيال و يترك تمام المعنى للمغالطة

قال ان اوراق النسب لم تكن محفوظة عند اليهود وانتثرت برياح الحوادث وان متى ولوقا غلطا في ذكر النسب فاخذ احدهما ورقة ذكر من عليها نسبه والثاني فعل كذلك

قلنا ان العبرانيين كانوا احرص الناس على حفظ نسبهم كما يتضح من سفر تك ص ٥ و ١٠ ولما زاد عددهم في مصر زادوا حرصاً واهتماماً بحفظ نسبهم لبقاء كل سبط على حاله وفوض للكتبة وهم علماؤهم الذين كانوا يدوّنون حوادثهم ويفسرون كتبهم المقدسة حفظ هذه الانساب و بعد ذلك فوض هذا الامر

للاويين لانه ذكر في (١ ايام ٢٣ : ٤ وفي ٢ ايام ١٩ : ٨ – ١١ و٣٤ : ١٣) بان الكتبة كانوا يؤخذون من سبط لاوي لانقطاع اللاويين لتلاوة الكلمة الالهية والمطالعة وبعد ذلك كانت توضع جداول النسب في الهيكل ولما عادوا من السبي اهتموا باعادة رونقهم القديم ومجدهم العظيم وكتب وقتئذٍ سفر الايام الاول وهو يشتمل على جداول النسب ومن قارن بينه وبين ما ورد في تك ٥ مع نسب متى ص ١ ولوقا ظهر لهُ نجاز النبوات في المسيح قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير بان اليهود كانوا يحافظون على نسب رؤساء كهنتهم مدة ألفي سنة وكانت الكهنة في اليهودية بل في مصر وبابل احرص الناس على حفظ نسبهم ولما عادوا من السبي فالكاهن الذي عجز عن ابراز جدول نسبه حرم من وظيفته انتهى فكان متى ولوقا يعرفان النسب حق المعرفة فذكر متى جدول النسب من ابرهيم الى المسيح مدة الفي سنة تقريباً اما لوقا فذكر النسب من آدم الى المسيح اي مدة اربعة آلاف سنة وكان اليهود مولعين بحفظ انسابهم الى حد فائق لانهم كانوا يتباهون بالانتساب الى ابراهيم وقال جيروم انهم كانوا يعرفون انسابهم من آدم الى زربابل كمعرفة الانسان اسمه اي ان معرفة الانساب كانت ضرورية بديهيـــة فانهُ قد غرس في افئدة النوع الانساني ميل شديد لتخليد اسمه او تذكار الحوادث الشهيرة فكانوا يقيمون الآثار والنُصب لذلك كما يُعلم من الكتاب المقدس

قال ان احد المفسرين أمل ان الوقت يساعد على شرح ما ذكر في متى ولوقا كما يساعد في مسألة الاصلاحات التي حصلت في اوروبا وحققوا كل شيء وانهم يحققون الملة ودخل في مسألة البابا قلنا من قارن بين ما كانت عليهِ الاعصر الاولى من الجهل والظلمة والاستبداد والظلم والجور وبين هذا العصر

الذي انتشرت فيهِ العلوم والفنون والحرّية وتنور الاذهان وتبدد الظلمات عرف معنى قول هذا المفسر الذي نقل المعترض طرفاً من كلامه وليس المراد من ذلك تنقيح الدين او الملة بل المراد الوصول الى معرفة حقائق الأُمور لان المسيحيين لا يعتقدون بالناسخ ولا المنسوخ فلا يصلُّون صوب بيت القدس ثم لما يقوم من يعارض يغيّرون قبلتهم الى مكة ولا ينسخون اليوم الاحكام السابقة فان الدين عندهم واحد وطرقهم واحدة لا تتغير وانما يتقدمون مع تقدم العلوم ولنشرح ذلك فنقول ان القدماء كانوا يظنون ان الارض ثابتة وان الكواكب والافلاك والشمس هي التي تدور حولها ولكن لما تقدمت العلوم ظهر الامر بخلاف ذلك ولم يقل احد ان العلماء او الفلكيين غيّروا خليقة الله او غيّروا حركات الافلاك والكواكب والارض بل ان الكواكب لا تزال كما هي وانما التغير حصل في اذهان الناس وعقولهم وادراكهم وقد كانوا في الاعصر الاولى يحبسون ويعذبون من ذهب الى ان الارض متحركة ويظنون انهُ اتى شيئاً فرياً اما الان فاتضحت الحقائق فكذلك الكتاب المقدس فمع بساطته وفصاحته وظهوره الاّ ان البعض ذهب فيهِ الى آراء منافية لفحواهُ وسببهُ سوء فهم الانسان وضعفهُ وجهلهُ ولكن لما زالت تلك الجهالة وانقشعت السحابة من على اذهانهم ظهرت لهم حقائق مهمة فيهِ فهو لا يزال على حالهِ من وقت نزولهِ لغاية الآن كالشمس والكواكب والنجوم وانما التغير او بالحري التقدم حصل في اذهان وعقول المطالعين لاقواله والمفسرين لمعانيهِ فان التفسير علم كباقي العلوم فكما انه حصل تقدم في العلوم الرياضية والطبيعية والسياسية والادارية فكذلك حصل تقدم في علم التفسير ولاسيما بما اكتشفه العلماء من الآثار المؤيدة لحوادث الكتب المقدسة الكلية والجزئية فالدين والملة التي هي موضوع المفسرين باقية على حالها كما انزلت فاذا كان يعتبر تقدم

الناس مثلبة ونقصاً فلا نعدهُ نحن ولا يكره التقدم الاَّ عدو الخير

قال ان متى كتب نسب يوسف ولوقا كتب نسب مريم و يكون يوسف ختن هالي ولا يكون لهالي ابن فنسب الختن اليهِ وان المسيح يكون على هذا التقدير من اولاد ناثان لا من اولاد سليمان

قلنا ان متى ذكر نسب يوسف ولوقا ذكر نسب مريم فانهُ بعد ان ذكر متى جدول نسب يوسف تفضل المولى بان وفق ببيان نسب مريم ليوضح ان المسيح تناسل حسب الجسد من داود ليس من جهة يوسف خطيب مريم فقط بل من مريم أُمه الحقيقية نعم لا ينكر ان يوسف ومريم هما من ذرّية داود ولكنهما من بطون مختلفة وبما انهُ ثابت ان مريم هي ابنة هالي كان المسيح طبعاً من ذرّية داود ليس من جهة الشرع فقط اي من جهة أَبيهِ بل من ذرّية داود بواسطة أُمهِ طبعاً وحقيقة وبما انه ليس لمريم أَخ كانت هي الوارثة واعتبر زوجها حسب الشريعة اليهودية من عائلة ابيها كما تقدم فكان يوسف ابن يعقوب طبعاً وحقيقة وابن هالي شرعاً وقوله ان المسيح يكون من اولاد ناثان لا من اولاد سليمان قلنا ان عبارة المعترض توهم ان ناثان ليس من اولاد داود مع انهُ من اولاده ولا يخفى ان عائلة سليمان وناثان اجتمعا في شالتيئيل وزربابل ثم افترقا ثم اجتمعا باقتران يوسف ومريم والحاصل ان يوسف كان ابن هالي الشرعي ووارثه مع انهُ كان ابن يعقوب الطبيعي الحقيقي فيكون متان تناسل من سليمان واقترن باستا ومنها خلف يعقوب وبعد وفاة متان اقترن متثات الذي كان من سبط يهوذا ولكنهُ من عائلة أُخرى بارمل متان فولد هالي فكان يعقوب وهالي من أُم واحدة ومات هالي بدون ولد فتزوَّج اخوهُ ارملهُ وخلف يوسف فكان ابن هالي الشرعي

فمن هنا يظهر ان المسيح هو من ذرّية سليمان بن داود وقال كالوين ان شالتيئيل في انجيل لوقا هو ذات شالتيئيل المذكور في ايام ٣ : ١٧ وهو ذات المذكور في انجيل متى ص ١ وبناءً على ذلك تكون مريم أُم يسوع من ذرّية شالتيئيل في لوقا فهي اذن من ذرّية سليمان مباشرة قال كالوين اذا لم يكن المسيح من ذرّية سليمان فلا يكون المسيح وقال المعترض هذا التوجيه لا يصح الاّ اذا ثبت من التواريخ المعتبرة ان مريم بنت هالي ومن اولاد ناثان ومجرّد الاحتمال لا يكفي قلنا قد اقمنا البراهين القوية على انها بنت هالي وقال لها الملاك (لوقا ١ : ٣٢) وتلدين ابناً ويكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيهِ الرّب الاله كرسي داود ابيهِ ثانياً ان اليهود كانوا يسمون مريم بنت هالي اما استشهاده بانجيل يعقوب من ان ابوي مريم يهوياقيم وقوله ان هذا الانجيل هو غير الهامي ولكنهُ تاريخ قديم قلنا ان استشهاده بذلك كالاستشهاد بقرآن مسيلمة او سجاح فانهُ لما ادعى محمد الرسالة كانت قريش تقول انما يعلّم محمدًا رجل يقال له الرحمن وكان اسم مسيلمة فنزلت وهم يكفرون بالرحمن ولما اختلف بنو تميم بعد موت النبي اختلافاً شديدًا اذ فاجأَتهم سجاح وادعت النبوّة بعد وفاة النبي في الجزيرة فاجتمعت عليها بنو تميم ورؤَساء تغلب فادعت ان انزل عليها يا ايها المؤْمنون المتقون لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يبغون وغير ذلك فماذا يقول المعترض اذ استشهدنا بمثل هذه الاقوال على قريش او على نبيهم على انهُ اذا روت التواريخ ان مريم كانت ابنة اليوقيم او الياقيم فهما مشتقتان من هالي او (الي) فان الياقيم مركبة من اليا وكلمة قيم

قال ورد في انجيل لوقا ص ١ ان زوجة زكريا كانت من بنات هارون ومريم كانت قريبة لزوجة زكريا وهذه كانت من بنات هارون قطعاً فتكون

من بنات هارون ايضاً قلنا ان مجرَّد قرابة اليصابات التي من سبط لاوي الى مريم التي من سبط يهوذا لا يدل على ان مريم كانت من سبطها فانهُ كان يجوز للاسباط الاقتران باسباط أُخرى والدليل على ذلك ان هارون ذاته اقترن بزوجة من سبط يهوذا انظر (خرو ٦ : ٢٣ وايام ٢ : ١٠) فاقترانهُ بها لم يخرجه عن سبطه

قال لو كانت مريم بنت هالي لظهر هذا الامر للقدماء قد اوضحنا ان الاناجيل كانت مشهورة عند المسيحيين في الجيل الاوَّل وكانت متداولة بينهم ويتعبدون بتلاوتها في معابدهم بل كانت منتشرة بين اعداء الديانة المسيحية فلو رأَوا فيها مطعناً كتناقض او غيره لاتخذوهُ حجة على المسيحيين فسكوت اعداء الديانة المسيحية سواء كانوا من الوثنيين او اليهود في القرن الاول هو برهان كافٍ على صحة جدول النسب وتنزهه عن التحريف والتناقض ولا سيما ان كلاً من اليهود والوثنيين كانوا بالمرصاد للمسيحيين فلو وجدوا ثلماً صغيرًا لشنعوا فيهم ولا سيما انهم كانوا يتمنون ان يثبتوا ان المسيح ليس هو الماسيا ولكنهم كانوا مسلمين بانهُ من ذرّية داود وبذلك يثبت انه كان من ذرّية داود حسب الجسد

اما ادعاؤُهُ بان اقوال متى ولوقا تدل على ان النسب هو ليوسف فهو في غير محلهِ وهاك نص عبارة متى وهي يعقوب ولد يوسف اما عبارة لوقا فهي (وهو على ما كان يظن ابن يوسف) فلفظة (ولد) ليست مثل قولهِ ابن قال لا مانع من ذلك اذا كان يمكن ان يثبت ان الختن اذا لم يكن لزوجته اخ كان يدخل في سلسلة النسب قلنا بما ان القضية تثبت بمثالين او ثلاثة فقد اوردنا لهُ يائير وعناي وعوبيد وحيرام وغيرهم كما تقدم

قال ان انجيل متى لم يكن مشهورًا في عهد لوقا فكيف يتصوَّر ان يكتب

لوقا نسب المسيح بحيث يخالف متى ولا يزيد حرفاً للتوضيح قلنا ان متى الانجيلي كتب انجيله للعبرانيين بالطريقة الجارية عندهم ولوقا كتب لليونانيين بالطريقة المفهومة عندهم وثانياً لما رأى لوقا ان متى كتب نسب المسيح من جهة يوسف تعين عليه ان يذكر سلسلة المسيح من جهة مريم حتى يكون النسب مستوفياً

قال (الاختلاف ٥٢ و ٥٣) من قارن بين الاصحاح الثاني من انجيل متى بالاصحاح الثاني من انجيل لوقا وجد اختلافاً (١) يعلم من قول متى ان ابوي المسيح بعد ولادته كانا يقيمان في بيت لحم و يفهم ان هذه الاقامة كانت لمدة قريبة من سنتين ثم ذهبا الى مصر واقاما فيها الى موت هيرودس ثم ذهبا واقاما في ناصرة و يعلم من كلام لوقا ان ابوي المسيح ذهبا الى اورشليم بعد تمام مدة نفاس مريم ولما قدما الذبيحة رجعا الى الناصرة واقاما فيها وكانا يذهبان منها الى اورشليم في ايام العيد ولما كان عمر المسيح ١٢ سنة اقام ثلاثة ايام في اورشليم بدون اطلاع ابويه وعليه لا سبيل لمجيء المجوس الى بيت لحم ولو فرض مجيئهم يكون في الناصرة وكذا لا سبيل الى سفر ابويه الى مصر لان يوسف لم يسافر من ارض اليهودية الى مصر ولا الى غيرها

قلنا نقدم ان التناقض هو اختلاف القضيتين بالايجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق احداهما وكذب الاخرى كقولنا زيد انسان زيد ليس بانسان وهنا لا يوجد اختلاف ولا تناقض بين قول البشير متى و بين قول البشير لوقا فاذا لم يذكر لوقا سفر يوسف الى مصر فلا يدل على انه لم يسافر اليها غاية الامر انه اقتصر على ذكر شيء اعتماداً على فهم الذين خاطبهم نعم يتحقق التناقض اذا قال احد البشيرين ان المسيح سافر الى مصر وقال الاخر انه لم يسافر الى مصر ولكن اذا اقتصر احدهما على ذكر شيء فلا يتحقق التناقض على انه لو اتفق كل من البشيرين في الكليات والجزئيات لوسمها الملحدون بالتواطوء ولكن تنوع طريقة كل واحد في التعبير عن الحوادث التي شاهدها تدل على صدق واخلاص وتنزه عن شوائب الغش وترتيب حوادث ولادة المسيح هي

سفر يوسف ومريم من الناصرة الى بيت لحم (٢) ولادة الطفل (٣) تقديمه في الهيكل (٤) زيارة المجوس (٥) الهروب الى مصر (٦) عودهم الى الناصرة واقامتهم فيها ونقول ايضاً لو كان الكاتب واحداً وحصل منه اختلاف في سرد القصة بتقديم او تأخير او حذف او زيادة لكان يؤاخذ على عمله ويرمى كتابه بتحريف او باضطراب في الفكر وهذه الصفة تصدق على القرآن فاذا كان المعترض يقول ان كاتبه اكثر من واحد كقول البعض لا نؤاخذه على ذلك ولكن اذا كان كاتبه واحداً وجبت مؤاخذته ولما رأى علماء الاسلام ذلك لم ينسبوا اختلاف الكلام الى تعدد الكاتب ولا الى اضطراب في الكاتب بل قالوا ان هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الاّ الله قال في كليات ابي البقاء صحيفة ٦١٨ ومن المتشابه ايراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والافراد والادغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر انتهى فوردت حكاية آدم بصور شتى فوردت في سورة البقرة ٢ : ٢٨ — ٣٥ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الاّ ما علمتنا انك انت العليم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الى ان قال واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الاّ ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا

بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم

فوردت هذه القصة ثانية في سورة الاعراف (٧ : ١٠ — ٢٤) ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الاَّ ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الاَّ تسجد اذ امرتك قال انا خيرٌ منهُ خلقتني من نارٍ وخلقتهُ من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ثم لآَتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤُماً مدحوراً لمن معك منهم لاملأَنَّ جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُوري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاَّ ان تكونا ملكينِ او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاَّهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدوٌّ مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ ولكم في الارض مستقرٌّ ومتاعٌ الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون الخ

فالفرق بين القصتين اوضح من الشمس حتى يخال للانسان ان مؤلفها اكثر من واحد

وكذلك ذكرت هذه القصة في سورة طه بصورة اخرى (٢٠ : ١١٤ — ١٢٠) ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد لهُ عزماً واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الاَّ ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى انَّ لك أَلاَّ تجوعَ فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤُ فيها ولا تضحى فوسوس اليهِ الشيطان قال يا آدم هل ادُلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفانِ عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربهُ فغوى الخ

وقس على ذلك قصة ابراهيم وقصة موسى وغيرها فانها وردت بطرق شتى

من الزيادة والحذف والتقديم والتأخير لعمري ان هذا هو الاحق بان يقال له التناقض لا ان يكون الكلام الصادر من رسولين كريمين على ان من طالع الاصحاح الثاني من انجيل متى والاصحاح الثاني من انجيل لوقا رأى الفحوي واحداً والانسان اذا رأى اثنين من الانبياء ذكرا شيئاً واحداً لا بد ان يتوقع حصول تنوع في طرق التعبير وقد عهد انه اذا ذكر مؤرخان او اكثر بعض الوقائع او الحوادث حصل تنوع من نقص او زيادة او تقديم او تأخير او اسهاب او ايجاز وقد ألف يوليوس قيصر تاريخاً عن الحرب الداخلية في بلاده وعن الحرب في الغول وذكر هذه الحوادث (ديون كاسيوسا) وكذلك بلو تارك في تاريخه الذي ألفه عن بومبية وقيصر وقد اختلفوا في ذكر هذه الحوادث ومع ذلك لم يدعِ احد انهم كذبوا والذي نعتقده ويعتقده كل عاقل ان المولى سبحانه وتعالى ألهم الحواريين على تدوين اقوال المسيح وتاريخه وعصمها عن الخطأ وكان الواحد منهم بمنزلة قلم في يد الروح القدس لكنه لم يبتلع شخصيتهما

(٢) قال يعلم من كلام متى ان سكان اورشليم وهيرودس لم يكونوا عالمين بولادة المسيح قبل مجيء المجوس ويعلم من كلام لوقا انه لما ذهب والدا المسيح الى اورشليم بعد التطهير لتقديم الذبيحة فسمعان الذي كان رجلاً تقياً ممتلئاً من الروح القدس اوحي اليه ان لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب فاتى بالروح الى الهيكل واخذ الصبي على ذراعيه وقال اطلق عبدك بسلام لان عيني ابصرتا خلاصك نور اعلان للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل وحنة النبية التقية وقفت تسبح الرب وتكلمت مع جميع المنتظرين فداء في اورشليم فقال المعترض لو كان هيرودس وسكان اورشليم معاندين للمسيح لما اخبر سمعان وحنة النبية بهذا الخبر

قلنا ان عبارة متى هي انه لما اتى المجوس الى اورشليم استفهموا عن ملك اليهود الذي ولد حديثاً فلما سمع هيرودس اضطرب وجميع اورشليم معه وهو امر

طبيعي لانه خاف على ضياع ملكه فقول المعترض انه لا يصح ان يكون هو ورجال دولته واعيان مملكته معاندين هو خلاف المعهود في طباع البشر فان الملك عقيم تضرب لاجله الرقاب وتسفك لحفظه الدماء فلا عجب اذا فزع واخذه المقيم المقعد والمزعج المكمد وشرع في البحث والتنقير ليهتدي الى الصواب لانه ظن ان المسيح اتى ليأخذ مملكته ويذل امته واما النبي فاوحى اليه المولى سبحانه وتعالى عن ميلاد المسيح وكذلك حنة النبية ولم يرد في الانجيل الشريف ان حنة اشاعت هذا الخبر وضربت بالابواق بل قال الانجيل انها وقفت تسبح الله وتكلمت مع الانقياء المنتظرين فداء اورشليم وهو لا يستلزم ان الملك سمع بهذا الخبر فالله اوحى الى كل من سمعان وحنة فاذا كان مقصود المعترض ان الله اوحى الى الملك وجميع اورشليم كذلك لزم ان يكون جميع الناس انبياء وهو غريب ولو سلمنا لهُ بان خبر افتقاد الله لشعبه شاع في الهيكل فلا يلزم من ذلك ان الملك ورجال دولته كانوا عارفين به بل لو عرفوا به لما كانوا يلتفتون اليه لانه كان امرًا دينيًا لا يهم ارباب السياسة ولكن لما اتى المجوس وقالوا انه ولد ملك اضطرب وجزع طبعاً والظاهر ان المعترض لم يجد في انجيل متى ولوقا سوى هذين الاعتراضين الساقطين

(٥٤) قال يعلم من انجيل مرقص ص ٤ انهُ بعد ان علم المسيح لهُ المجد الجم بالامثلة الباهرة حدث هيجان واضطراب في البحر ويؤخذ من مت ٨ انهُ حدث هيجان البحر بعد وعظ المسيح على الجبل وضرب الامثلة في مت ١٣ فاحد القولين غلط لان التقديم والتأخير في توقيت الحوادث ممن يدعون انهم يكتبون بالالهام بمنزلة التناقض

قلنا ان متى البشير ذكر معجزات المسيح الباهرة وجمعها مع بعضها مرة واحدة فذكر من معجزاته تسكينه الامواج واضطراب البحر وشفاء المجنونين والمفلوج واقامة بنت الرئيس وتفتيح اعين الاعميين وشفاء الاخرس المجنون ثم

شرع في ذكر تعاليمه وساق الكلام عليها الى الاصحاح الثالث عشر وذكر فيه الامثلة الباهرة والاقوال الالهية فاين التناقض لعمري انه غاية ما يتصوَّر من الترتيب اما البشير الآخر فراعى زمان حصول اعمال المسيح واذا كان التقديم والتأخير في سرد الحوادث هو بمنزلة التناقض فنسلم لهُ بهذه القاعدة لانها تنطبق على الكتب المقدسة لانها مرتبة ولكنها لا تنطبق على قرآنه فاولاً ان سورهُ غير مرتبة بحسب النزول فاوَّل ما نزل عليهِ اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم ن الى آخر ما تقدم ثانياً ان ذات الآيات غير مذكورة بالترتيب وراء بعضها فاذا نظرنا الى سورة البقرة ثم نظرنا في كتب اسباب النزول وجدنا فيها الحوادث التي حقها التأخير مقدمة وبالعكس وبعضها نزل في يهود المدينة وبعضها في المنافقين وبعضها في الكفرة هذا مع عدم ترتيب القصص الواردة فيها كما تقدم وقس على ذلك باقي السور وكنا نود لو كان مرتباً حسب الحوادث التي حصلت لمحمد بان كان يذكر دعوته لقومه اولاً ثم ما كان منهم من الاعراض والتهكم ثم ما حصل لهُ من الهجرة والمعراج وما فعلهُ من الغزوات وغير ذلك وعلى هذه القاعدة لا يكون القرآن موحى بهِ اما الاناجيل فدوّن فيها نسب المسيح حسب الجسد وولادته والحوادث المرتبطة بها ومعجزاته وتعاليمه الباهرة ورفض اليهود لهُ وصلبه وقيامته بغاية النظام والبساطة الخالية عن التزويق وقس على ذلك التوراة التي ذكرت فيها قصص الانبياء فانها ذكرت بغاية الترتيب بخلاف القرآن

(٥٥) وورد في مرقص ص ١١ ان مباحثة اليهود والمسيح كانت في اليوم الثالث من وصوله الى اورشليم وفي مت ٢١ انها كانت في اليوم الثاني فاحدهما غلط قلنا لم يرد في انجيل مرقص لفظة اليوم الثالث مطلقاً وكذلك لم يرد في انجيل

متى لفظة اليوم الثاني وعبارة متى تحتمل انهُ تناظر مع اليهود في اليوم الثالث فانها عامة غير مقيدة بشيءٍ

(٥٦) ذكر في مت ٨ اولاً شفاء الابرص بعد وعظهِ في الجبل ثم شفاء عبد قائد المائة بعد دخولهِ كفر ناحوم ثم شفاء حماة بطرس ولكن ذكر في لوقا ٤ اولاً شفاء حماة بطرس ثم في الاصحاح الخامس ذكر شفاء الابرص ثم ذكر في ص ٧ شفاء عبد قائد المائة فاحد البيانين غلط

قلنا لو ذكر لوقا الآيات في محل واحد لساغ الاعتراض عليهِ ولكنهُ ذكرها في محال متنوعة لمناسبات مختلفة ولا يخفى ان بعض الحوار بين كان يراعي في سرد آيات ومعجزات المسيح الترتيب التاريخي والآخر يراعي المكان والآخر يراعي مناسبات وسياق الاقوال بما لا يخرج ذلك عن التوافق والتطابق وكان البعض يراعي نتائج المعجزة وتأثيرها على السامعين وما ترتب عليها من هداية الانفس فيقدمها على غيرها من المعجزات التي لم تكن لها طنة ورنة

(٥٧) ورد في يو ١ : ٢٠ ارسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين ليسأَلوا من انت فقالوا أأنت ايليا فقال لست انا وورد في مت ١١ : ١٤ قول المسيح في حق يوحنا وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي وفي (ص ١٧ : ١٠) ما نصهُ وساله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغي ان يأتي اولاً فاجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتي اولاً و يرد كل شيءٍ ولكن اقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوهُ بل عملوا بهِ كل ما ارادوا وكذلك ابن الانسان ايضاً سوف يتألم منهم حينئذٍ فهم التلامذة انهُ قال لهم عن يوحنا المعمدان

قلنا لما كان اليهود متعلقين بالارضيات فهموا اغلب اقوال النبوّات بالمعنى الحرفي فكانوا يتوهمون ان المسيح يكون ملكاً جبارًا يفتح البلاد و يدوّخ العباد و يظهر قوته و بأسه و يخلع من على اعناقهم النير الروماني و يحررهم من الرق والعبودية و يوردهم موارد الحرّية و يوظفهم في وظائف حكومتهم فيجعل منهم

الوزراء والوكلاء والولاة والعظماء ويغمرهم بالحبايا والانعام ويمطر شآبيب كرمه على الانام ولم يخطر ببالهم ان ملكوت المسيح هي ملكوت روحية بمعنى انه يحكم بالمحبة والسلام والبرّ واللطف والصدق والاخلاص وكرم النفس فلما رأوهُ وديعًا متواضعًا ازدروا بهِ لخيبة آمالهم ولاصرارهم على التمادي على سوء اعمالهم فملكوت المسيح هي روحية بمعنى انها ليست من هذا العالم فليس المسيح ملكًا مغازيًا يعبي الكتائب ويشن الغارات ويخدع ويغدر ويطمع كدأب الملوك ولا يخفى ان نبوّات العهد القديم تؤيد ان ملكوته روحية غير ان اليهود فهموها فهمًا حرفيًا بسبب اميالهم الجسدية وعلى هذا القياس فهموا ما ورد في نبوّة ملاخي من انهُ سيأتي ايليا بالمعنى الحرفي فظنوا انهُ سيأتي ايليا حقيقة قبل المسيح فلما ارسل اليهود كهنة ولاويين ليسألوا يوحنا هل هو ايليا الحقيقي ام لا انكر انهُ ايليا الحقيقي ولكنهُ لم ينكر انهُ هو ايليا الذي تنبأ عنهُ النبي ميخا فانهُ اوضح في آية ٢٣ بانهُ اتى ليهيء ويمهد طريق الرّب فكانت غايتهُ من قوله انهُ ليس بايليا هو انهُ يزيل اوهامهم واغلاطهم عن ايليا ويبين لهم حقيقه الامر ويوضح لهم انهُ أتى بروح ايليا فالنبي ميخا شبهه بايليا فقال انهُ ايليا واوجه الشبه بين يوحنا وبين ايليا هي كثيرة وهو من التشبيه البليغ وهو ما حذفت منه الاداة ووجه الشبه فهو مثل ايليا في تقشفهِ وزهدهِ وغيرتهِ وهو مثلهُ في شهامته في توبيخ الامراء والوجهاء وذوي الشأن لمروقهم عن الحق فايليا انذر الملك آخاب وامرأته ازابيل وقال انهُ سيقطع نسلهُ وتلحس الكلاب دمهما عقابًا لهما على ظلمهما وعتوهما (١ مل ٢١ : ١٧— ٢٤) وكذلك فعل يوحنا المعمدان فوبخ ائمة اليهود وعظماءهم على قسوتهم وغلاظة قلوبهم ولم تأخذهُ في الحق لومة لائم ولم يخشَ بأس الكبراء ولا العظماء ومما يدل على ذلك انهُ ورد في لو ١ : ١٧ بانهُ اتى بروح ايليا

وقوتهِ فالمسيح قال انهُ ايليا وانهُ ادَّى مأموريتهُ وهي تمهيد الطريق امام المسيح فينتج مما تقدم انهُ لا منافاة بين قول يوحنا وبين قول المسيح فيوحنا نفى ما قام باوهامهم من انهُ سيأتي ايليا الحقيقي الذي صعد الى السماء حياً فهو ليس ايليا الحقيقي ولكنهُ اتى بروح ايليا وهو مثل قولنا عن الرجل الكريم هذا حاتم فهو ليس بحاتم الحقيقي ولكن يجوز اطلاق حاتم عليهِ لما اشتهر بهِ من الكرم ومثل قولنا عن الرجل الفصيح هذا سحبان وعن البخيل انهُ مادر

قال المعترض تنبيه لو تأمل احد في كتبهم لاعترف بان المسيح ليس هو المسيح وذكر اربعة امور اوَّلها ان يواقيم بن يوشيا لما احرق الصحف التي كتبها باروخ من فم ارميا النبي نزل الوحي الى ارميا (٣٦ : ٣٠) قال الرَّب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون لهُ جالس على كرسي داود مع انهُ ذكر في انجيل لوقا ١ : ٣٢ عن المسيح بانهُ سيعطيهِ الرَّب الاله كرسي داود ابيهِ

قبل الرَّد عليهِ نورد عبارة انجيل لوقا فورد في آية ٣٠ قوله فقال لها الملاك اي جبرائيل لا تخافي يا مريم لانكِ قد وجدت نعمة عند الله وها انت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينهُ يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيهِ الرَّب الاله كرسي داود ابيهِ ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ نهاية ثم اخبرها الملك قائلاً ان الرُّوح القدس يحل عليك وقوَّة العلي تظللك فلذلك ايضاً القدوس المولود منكِ يدعى ابن الله الخ فمن قارن بين اقوال النبي ارميا وبين هذه البشارة السامية ظهر لهُ انهُ لا يوجد ارتباط ولا علامة بين القولين فان المولى سبحانه وتعالى ازال الملك من اسرائيل لانغماسهم في الشرور والفجور وسلَّط عليهم الملوك الاجنبيين فجرَّعوهم غصص العذاب والذل وتمت هذه النبوَّة فان نبوخذناصر ملك بابل اخذ يهوياقيم العاتي وقيدهُ بسلاسل نحاس واخذهُ الى بابل وفعل كذلك بابنه ثم اتى عليهم ملك الكلدانيين وقتل

في الامة قتلاً ذريعاً وسبى من بقي وتم بذلك قول النبي ارميا (انظر ٢ ايام ٣٦)
وقد تقدم ان ملكوت المسيح ليست ارضية وليست من هذا العالم وهل مقصود المعترض ان يأتي المسيح و ينشئ بالسيف مملكة دنيوية بالابهة الفارغة والطنطة الزائلة حاشا وكلاَّ ان ملكوت المسيح هي كما قلنا ملكوت روحية تقوم بالمحبة والطهارة والسلام وازالة الشحناء والخصام وهي المملكة الباقية التي لا تزول كما قال الملاك جبرائيل فلا يمكن لقلاقل الدنيا وزعازعها ان تمس هذه المملكة بسوء فهالك الدنيا تزول فتقوم مملكة وتسقط أُخرى ولكن ملكوت المسيح باقية الى الابد وحسبنا برهاناً ما نشاهده باعيننا فان المسيح متسلطن في الشرق والغرب والشمال والجنوب على افئدة المسيحيين بالمحبة وتتعبد لهُ اعظم سلاطين الدنيا في هذا العصر وتمت فيهِ النبوّات من انهُ يكون من نسل داود حسب الجسد وهذا هو معنى قوله تعالى انه يجلس على كرسي داود فشبهت مملكة المسيح الثابتة الرُّوحية بمملكة داود تقريباً لاذهان الامة الاسرائيلية والاَّ فلا توجد مناسبة بين الامرين ولا مانع من ان يكون المشبه اقوى من المشبه بهِ كقوله مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباح فان الفائدة تشبيه المعقول بالمحسوس تقريباً للاذهان ومما يدل على صدق هذه النبوّة هو انهُ صار للديانة المسيحية ١٩٠٠ سنة تقريباً وهي في النمو والزيادة والعظم بحيث لم تقوَ ولن تقوى عليها ابواب الجحيم وهذا من اعظم الادلة على صدق كلام الوحي والنبوّة

قال المعترض الثاني ان مجيء المسيح كان مشروطاً بمجيء ايليا قبله وان اليهود انكروا مجيئه وقد قال المسيح انه اتى ولكنهم لم يعرفوه قلنا قد تقدم انه اتى وتمت النبوة

قال الثالث ان ظهور المعجزات وخوارق العادات عندهم ليس دليل الايمان فضلاً عن

النبوة فضلاً عن الالوهية كما ورد في مت ٢٤ : ٢٤ قولـــ المسيح سيقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو امكن المختارين ايضاً وورد في رسالة بولس ٢ تسالونيكي ٢ : ٩ الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة

قلنا المعجزة هي امر خارقـــ للعادة داعية الى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد بها صدق من ادعى انه رسول من الله او تأييد تعليمه كما في كتب الاسلام فالمعجز خارق للعادة اذ لا اعجاز دونه فان المعجز من الله ينزل بمنزلة التصديق وما لا يكون خارقاً للعادة بل معتاداً كطلوع الشمس في كل يوم وبدو الازهار في كل ربيع فانه لا يدل على الصدق لمساواة غيره اياه في ذلك حتى الكذاب في دعوى النبوة وللمعجزة شروط كثيرة ولولا ضيق المقام لذكرناها وانما نقول يلزم ان تكون المعجزة ظاهرة امام العيانـــ بحيث لا يختلف فيها اثنان فاذا ادعى احد بان جبرائيل اتاه ليلاً واصعده الى السماء مثلاً فلا نقبل دعواه لانه ربما كان ذلك من الخيالات التي كثيراً ما تطرأ على الانسان اما فتح اعين العميان الذين كانوا مشهورين بانهم عميانـــ مدة مديدة او احياء الموتى او شفاء الابرص والاكمه بمرأى مر الجماهير الكثيرة الاعداء والاصدقاء يكون معجزة لانها خارقة للقوانين الطبيعية وثانياً يلزم ان تكون نافعة ومفيدة او كما قال السيد الجرجاني داعية الى الخير والسعادة فمثل كلام الجمادات ككلام الحصى والرمان والعنب واسكفة الباب وحيطانـــ البيت وكلام الشجرة وشهادة الذئب لمحمد بالنبوة وكلام الظبية ليست بمعجزة فانه لا فائدة للانسان منها وهي جديرة بان تدرج في سلك الخرافات ويلزم في المعجز الاجماع والتواتر وهذه القصص غير متواترة وقد توفرت شروط صحة المعجزة في آيات المسيح فاتى بالامور الخارقة للعادة وكانت داعية الى الخير

والسعادة وكانت امام العيان لم يختلف فيها اثنان فكان يأتي اليه الكثيرون من الوجهاء والعظماء ويستغيثون بكرمه ليشفي اولادهم من الامراض او يقيم احباءهم من الموت وشهد القرآن بذلك فورد في سورة آل عمران ٣ : ٤٣ اني اخلقُ لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدّخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين وكذلك ورد في سورة المائدة ٥ : ١٠٩ و ١١٠ اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى الخ وكذلك ورد في آية ١١٢ من هذه السورة معجزة المائدة وهي المذكورة في الانجيل بانه اطعم ٥٠٠٠ بخمسة ارغفة شعير فالقرآن اقتبس من الانجيل بعض معجزات المسيح ولكنه خالف الانجيل في هذا الامر وهو ان المسيح فعلها بكلمته وقدرته فانه ناطق بانه كان يقول للشيء كن فيكون فكان يفعل الشيء بقوة نفسه وقدرته واذنه فانه كلمة الله الازلية التي بها خلق العالمين وبما ان المعجزات تدل على صدق دعوى فاعلها وجب والحالة هذه تصديقه وقبول تعاليمه وغاية ما نسب الى محمد من المعجزات القرآن وسنأتي الى الكلام عليه وعلى اختلاف علمائهم فيه اما ما نسبوه اليه من المعجزات ففضلاً عن كونها تضحك الثكلى فقال علماؤهم انها لم تبلغ مبلغ التواتر فهي موضوعة ولما كانت العرب يطلبون منه معجزة كان يتخلص تارة بقوله انه نذير وبشير وتارة اخرى يقول ان الانبياء السابقين كانوا يعملون المعجزات ولم يؤمن بهم قومهم وغير ذلك والحاصل ان

المسيحيين يعتقدون ان المعجزات تدل على صدق دعوى النبي المرسل وقد حذر المسيح ورسله المؤمنين من الانبياء الكذبة الذين يأتونهم بالحيل والمكائد وتنبأ بانهُ سيظهر البعض بتلك السمات الكاذبة وقد ظهروا فعلاً فقال يوسيفوس ظهر كثيرون ممن ادعوا الوحي الالهي واضلوا كثيرين وقادوهم الى البراري وادعوا ان الله سيخوّلهم الحرّية ويعتقهم من نير رومة وان نبياً كاذباً اغرى نحو ثلاثين الف نفر فخرجوا معه الى البرية فلاشاهم فيلكس عن آخرهم فان المولى سبحانه وتعالى أرسل الى اليهود المسحة الكذبة لرفضهم المسيح الحقيقي وبعد صلب المسيح ظهر (سيمون ماجوس) اي الساحر واغرى سكان السامرة بانه قوّة الله العليا وادعى انه ابن الله ثانياً ظهر دوسيثوس السامري وادعى انه هو المسيح الذي تنبأ عنه موسى ثالثاً ظهر بعد صلب المسيح باثني عشر سنة نبي كاذب اسمه (تادوس) ادعى النبوة واغرى كثيرين على ان يأخذوا عباءهم ورداءهم ويقتفوا اثره الى نهر الاردن فانه ادعى بانه سيفلقه ليعبروا منه وقال يوسيفوس انه اضل كثيرين وتم بذلك قول المسيح رابعاً ظهر بعد ذلك بسنين قليلة كذَبة كثيرون في عهد (نيرو) وكان لا يمضي يوم بدون ان يقتل الحكام واحداً منهم انظر تاريخ يوسيفوس الكتاب ٢٠ فصل ٤ و ٧ وكذلك قول الرسول ان المضلين يدعون بعمل آيات كاذبة كما فعل سحرة المصريين ففي سورة الاعراف ٧ : ١٠٤-١١٤ فالقى اي موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأُ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم واشاروا على فرعون بان يرسل في المدائن ويأتوه بالسحرة فلما اتوا قالوا أئنّ لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقرّبين فقالوا يا موسى اما ان تلقيَ واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين

الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان القِ عصاك الخ وكذلك ذكر ما كان من اعمال السحرة في سورة يوسف وكذلك في سورة طه ٢٠ : ٦٨ فالقرآن ناطق بان السحرة سحروا اعين الناس واسترهبوهم كالانبياء والمسحاء الكذبة والدجالين وقد ورد في سورة البقرة ٢ : ٩٦ ما نصه يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وتقدم ان احد اليهود سحر النبي انظر صحيفة (٧٦) وليس المراد انه لا يمكن التمييز بين الحق والباطل فكل من اوتي ذرة من الفهم والادراك ميَّز بين المعجزات الصادقة من الكاذبة فالمعجزات هي من اقوى الادلة على صدق النبوة وانما الواجب الاحتراس من الكذَبة الذين يحتالون بالخداع لاضلال الناس

قال الرابع ان من يدعو الى عبادة غير الله فهو واجب القتل وان كان ذا معجزات عظيمة ومدعي الالوهية اشنع من هذا قلنا لا يمكن لانسان ان يعمل معجزات ويأتي بتعليم منافٍ لارادته تعالى لان المعجزات بمنزلة تصديق الله على اقوال وتعاليم من فعلها ولا يمكن ان الذي بيده نواميس الطبيعة يصدق على الكاذب فيمكن الجمع بين الابيض والاسود والعمى والبصر قبل الجمع بين المعجزات والتعاليم الكاذبة

فينتج مما تقدم ان المسيح هو من نسل داود وجلس على كرسيه الروحي وان ايليا اي يوحنا المعمدان تقدم امامه ليهيء الطريق وان المسيح عمل المعجزات الباهرة بقوته واذنه وثبت انه كلمة الله الازلية التي بها خلق العالمين وان الواجب قبول تعاليمه لانها مؤيدة باقوى حجة وهي المعجزات

(قال الاختلاف ٥٨ الى ٦٣) ورد في مت ص ١١ وفي مر ص ١ وفي لو ٧ هكذا انا

ارسل امام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك وهو مستشهد به من نبوات ملاخي ص ٣ : ١ ونصها هانذا ارسل ملاكي فيهيء الطريق امامي فيوجد بين المنقول والمنقول عنه اختلاف بوجهين فقوله امام وجهك لا يوجد في كلام ملاخي ثانياً ان كلام ملاخي في الجملة الثانية بضمير المتكلم وفي الاناجيل بصيغة الخطاب فهذه ست اختلافات

قلنا الظاهر انهُ ضرب اثنين في ثلاثة فيكون ستة مع ان المنصف لو تأمل في عبارات الانجيل وفي عبارة ملاخي لم يجد فرقاً فان مراد النبي ان الله سيرسل امام المسيح من يهيئ الطريق فحكى الحواريون عبارة النبي وان المقصود منها المسيح على انهُ يجوز النقل بالمعنى وقد قرَّر علماء الاصول كما في جمع الجوامع جزء ٢ صحيفة ١١٤ انهُ يجوز نقل الحديث بالمعنى للعارف بمدلولات الالفاظ او مواقع الكلام بان يأتي بلفظ بدل آخر مساوٍ لهُ في المراد منهُ وفهمهُ لان المقصود المعنى واللفظ آلة لهُ وسواء في الجواز نسي الراوي اللفظ ام لا وان هذا الكلام يشمل الاحاديث القدسية ومن الادلة السمعية على جواز نقل الحديث بالمعنى ما روى الطبراني وغيره من حديث عبدالله بن سليمان الليثي قال قلت يا رسول الله اني اسمع منك الحديث لا استطيع ان ارويه كما اسمعهُ منك يزيد حرفاً او ينقص حرفاً فقال اذا لم تحلوا حراماً ولم تحرّموا حلالاً واصبتم المعنى فلا بأس فذكر ذلك للحسن فقال لولا هذا ما حدثنا ولولا خوف الاطالة لزدناهُ ولا يخفى ان الحديث عندهم بمنزلة القرآن فالحواريون ذكروا عبارة النبي بالمعنى وهم بمنزلة درجتهِ في الوحي والارشاد وفهم معاني كلام الله

قال الاختلاف ٦٤ الى ٦٧ وهو مت ٢ : ٦ مخالفة لآية ميخا ٥ : ٢ ولنورد الآيتين ليتفرى الليل من الصبح فنقول آية انجيل متى هي ان رؤساء اليهود قالوا ان المسيح يولد في بيت لحم اليهودية واستشهدوا باقوال النبوّة قائلين

وانتِ يابيت لحم ارض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل وهاك عبارة النبي ميخا وهي اما انتِ يابيت لحم افراتة وانتِ صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل اه‍ . فالرسول متى حكى مقول أئمة اليهود وهو ليس مسؤولاً عن مطابقتهِ لاصل اقوال النبي ام لا والمنصف اذا دقق النظر وجد المعنى واحداً فان المعنى هو ان المسيح شرف تلك الجهة الصغيرة كما شرّف نابوليون بونابارته كورسيكا مسقط رأسه فالنبي قال بالاستفهام الانكاري وانتِ صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا كأنهُ يقول وانتِ لستِ الصغرى وهو قوله فمن يهدي من اضلّ الله يعني لا يمكن لأحد ان يهدي من أضلهُ الله وعلى كل حال فالنبي روى مقالهم

قال المعترض وان اربع آيات من الاصحاح الثاني من اعمال الرسل من آية ٢٥ الى ٢٨ مخالفة لاربع آيات من مزمور ١٦ : ٨ — ١١) قلنا هاك عبارة اعمال الرسل وهي لان داود يقول فيهِ كنت ارى الرّب امامي في كل حين انهُ عن يميني لكي لا اتزعزع كذلك سر قلبي وتهلل لساني حتى جسدي ايضاً يسكن على رجاء لانك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً عرفتني سبل الحيوة وستملأني سروراً مع وجهك هذه هي نص عبارات الرسول وهاك نص عبارة الزبور ونصها جعلت الرّب امامي في كل حين لانهُ عن يميني فلا اتزعزع لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي جسدي ايضاً يسكن مطمئناً لانك لن تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً تعرفني سبيل الحيوة امامك شبع سرور في يمينك نعم الى الابد ولما كانت هذه العبارات واحدة لم يجسر على ذكرها وقال ايضاً ان ما ورد في رسالة بولس

الرسول الى العبرانيين (١٠ : ٥ – ٧) مخالفة لما ورد في مز ٤٠ : ٧ و ٨ وبما انهُ
لا يوجد اختلاف فيها لم يجسر على ذكرها لان الخفاش لا يحتمل ضوء الشمس
وها نذكرها ليتضح الحق فاقوال بولس الرسول هي (لذلك عند دخوله الى
العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً بمحرقاتٍ وذبائح للخطية لم
تُسرّ ثم قلت هانذا اجيءُ في دَرْج الكتاب مكتوب عني لافعل مشيئتك
يا الله اذ يقول آنفاً انك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم ترد ولا سررت
بها) وهاك عبارة الزبور ففي آية ٧ يقول حينئذٍ قلتُ هانذا جئت بدرج الكتاب
مكتوب عني ان افعل مشيئتك يا إلهي سررت وشريعتك في وسط احشائي وفي
عدد ٦ بذبيحة وتقدمة لم تسر وهنا لا يوجد ادنى اختلاف ايضاً فلم يجسر على ذكر
هذه الآيات واخذ يُوهم كذباً به وقال الآيتان في اعمال الرسل ١٥ : ١٦ و ١٧
مخالفتان لعاموص ٩ : ١١ و ١٢ وها نوردها ليتضح بطلان كلامهِ وهي سارجع
بعد هذا وابني ايضاً خيمة داود الساقطة وابني ايضاً ردمها واقيمها ثانية لكي يطلب
الباقون من الناس الرّب وجميع الامم الذين دُعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا
كله وهاك اقوال النبي عاموص في ذلك اليوم اقيم مظلة داود الساقطة واحصن
شقوقها واقيم ردمها وابنيها كايام الدهر لكي يرثوا بقية ادوم وجميع الامم الذين دعي
اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا فكل من اوتي ذرة من التمييز اوالفهم رأى
انه لا يوجد ادنى اختلاف فهي منزهة عنه والحواريون نقلوا تلك الايات من
النسخة السبعينية المترجمة الى اللغة اليونانية فاذا وُجد تنوع في العبارة كان ذلك
من الترجمة وانما المعنى هي واحد فاذا ترجم القرآن الى لغة اجنبية كان لا بد من
مراعاة اصول اللغة المترجم اليها فمراعاة اصول اللغة التي ترجم اليها لا يقال لها
اختلاف ولا تناقض وزد على هذا انه تقدم جواز النقل بالمعنى ولا سيما لمن

خصهم الله بالوحي وقوة المعجزات فكلامهم حجة في العبادات والحاصل ان ابهام المعترض وعدم ايراده اوجه التناقض والاختلاف يدل على سقوط اعتراضه وعلى تعنته

(٦٨) ١ كو ٢ : ٩ ونصها بل كما هو مكتوب .ما لم ترَ عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعدهُ الله للذين يحبونهُ وهي منقولة على تحقيق مفسريهم من اشعيا ٦٤ : ٤ ومنذ الازل لم يسمعوا ولم يصغوا لم ترعين الهاً غيرك يصنع لمن ينتظره وان مفسريهم نسبوا هذا التحريف الى اشعيا

قلنا ان ادعاءهُ بان مفسريهم نسبوا هذا التحريف الى اشعيا هو افتراء محض وانما قالوا ان الرسول نقل بالمعنى واذا جوّزوا للعلماء والادباء الاقتباس من القرآن فلماذا لا يجوز لنبي او رسول الاستشهاد بكلام نبي آخر واقتباسه منهُ

الاقتباس هو تضمين الشعر او النثر بعض القرآن والاقتباس ثلاثة اقسام مقبول ومباح ومردود فالاوّل ما كان في الخطب والمواعظ والعهود والثاني ما كان في القول والرسائل والقصص والثالث على ضربين احدهما ما نسبهُ الله الى نفسهِ ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن احد بني مروان انهُ وقّع على مطالعة فيها شكاية عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والآخر تضمين آية في معنى هزل كقوله

اوحى الى عشاقهِ طرفه   هيهات هيهات لما توعدون
وردفهُ ينطق من خلفه   لمثل ذا فليعمل العاملون

قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الامام ابي المنصور عبد القاهر ابن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية واجلائهم ان من شعره قولهُ

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف   ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
ابشر بقول الله في آياته   ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال الحريري في مقاماته فادخلني بيتاً احرج من التابوت واوهى من بيت العنكبوت والآية هي وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فيتضح من هذه الامثلة ان الادباء والعلماء اقتبسوا من القرآن جملة آيات وتصرفوا فيها بالزيادة والنقصان

فاذا سوّغوا للتأدبين الاقتباس من القرآن بالمعنى فهلا يجوز للانبياء

الكرام ان يستشهدوا باقوال بعضهم بعضاً وهم اعرف من غيرهم بمعاني اقوال الوحي وقد اقتبس محمد عبارة الرسول بولس فقال ان الله قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر

(٦٩) ورد في مت ٢٠ : ٣٠ ان اعميين كانا جالسين في الطريق ففتح اعينهما ومرقص ١٠ : ٤٦ قال انه وجد اعمى واحداً اسمه بارتيماوس ففتح عينيه قلنا لو افادت عبارة مرقص الحصر لثبت التناقض وهي لا تفيده مطلقاً ونص عبارته وفيما هو خارج كان بارتيماوس الاعمى جالساً يستعطي ثم استغاث وتوسل وصاح فذكر البشير مرقص هذا الاعمى لانهُ كان ابن رجل مشهور طحنتهُ صروف الزمان وضعضعته كوارث الحدثان والقرينة الدالة على ذلك هو ذكره اياهُ باسمه فاكتفى بذكره والقادر على فتح عيني اعمى قادر على فتح عيني غيره وغيره وعلى كل حال فلا تناقض مطلقاً فالتناقض يتحقق اذا قال احدهم ان المسيح فتح عيني بارتيماوس ثم قال الاخر ان المسيح لم يفتح عيني بارتيماوس ولكن لم يحصل شيء من ذلك بل اقتصر احدهما على ذكره لانهُ كان اشهر ولان توسلهُ كان اكبر وهو لا ينافي انهُ فتح عيني غيره وغيره

(٧٠) ورد في مت ٨ : ٢٨ انهُ لما جاء المسيح الى العبر الى كورة الجرجسيين استقبلهُ مجنونان خارجان من القبور فشفاهما وورد في (مرقص ٥ : ٢ ولوقا ٨ : ٢٧) انهُ استقبلهُ مجنون واحد خارج من القبور فشفاهُ قلنا ان مرقص ولوقا اقتصرا على ذكر المجنون الذي كان اشد هياجاً وعربدة وثانياً انهما اقتصرا على ذكر المجنون الذي كان من الامم لانهُ كانت غايتهما افادة الامم فذكرا لهم الشخص المشهور عندهم الذي كانوا يعرفونهُ ويعهدونهُ فلو اتيا لهم بمجهول لا يعرفونهُ لا تكون لهُ منزلة قدر منزلة الشخص الذي يعرفونهُ ويعرفون لغتهُ ولذا صرفا النظر عن

اليهودي ثالثاً مما يؤيد ذلك قول لوقا في آية ٢٧ استقبلهُ رجل من المدينة وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور فالمراد بقوله في المدينة انهُ كان من ارباب المدن اي كان من المتهذبين والمترجح انهُ كان من ذوي اليسار وذا شهرة وكان يهم الناس امرهُ اما الآخر فكان اقل عربدة وشهرة ولنفرض ان شخصين توجها الى بيمارستان المجاذيب ووجدا مجنونين احدهما شديد العربدة وكان في الاصل ذا شأن وشهرة بخلاف الآخر وبعد تفرجهما وخروجهما رويا ما شاهداهُ ونسجا على منوال متى ولوقا بان اقتصر احدهما على ذكر واحد وصرف النظر عن المجذوب الآخر اما الراوي الثاني فذكر الاثنين فهل يجوز ان نقول ان كلامهما متناقض حاشا وكلاً نعم لو اثبت احدهما ما نفاهُ الآخر وبالعكس لكان تناقضاً فانهُ في هذه الحالة يتحقق تعريف التناقض

(٧١) ورد في مت ٢١ ان المسيح ارسل تلميذين الى القرية ليأتيا باتان وجحش وركب عليهما وورد في كتب الثلاثة الحواريين بانهما اتيا بالجحش وركب عليهِ قلنا هاك نص عبارة البشير متى وهي في آية ٢ اذهبا الى القرية التي امامكما فللوقت تجدان اتاناً مربوطاً وجحشاً معها فحلاَّهما واتيا بهما فلا مانع من انهما اتيا بالجحش وامهُ وركب على احدهما وتمت بذلك نبوَّة زكريا فانهُ تنبأ بانهُ سيأتي المسيح جالساً على اتان ومن روايات ائمة اليهود ان ابراهيم الخليل ركب على اتان لما كان متوجهاً ليقدم ابنهُ ذبيحة وموسى ركب الاتان لما توجه الى مصر وكذلك سيركب المسيح على اتان وفرشوا ثيابهم فانه جرت عادة الاسرائيليين انهم اذا ملكوا ملكاً فرشوا ثيابهم امامهُ كما فعلوا مع الملك ياهو (٢ مل ٩ : ١٣) فكذلك فعلوا مع المسيح لان الكتاب يشهد انهم كانوا يعتبرونهُ نبياً عظيماً وقول البشير متى انهُ ركب على كل منهما مراده انهُ ركب

على كل منهما بالتناوب ولكن توجد قرآءة بصيغة المفرد على انهُ قد يثنى الضمير ويعود على احد المذكورين نحو يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب ونظيره ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وانما تخرج الحلية من الملح وجعل القمر فيهنَّ نورًا اي في احداهنَّ نسيا حوتهما والناسي يوشع بدليل قوله لموسى اني نسيت الحوت وانما اضيف النسيان اليهما معًا لسكوت موسى عنهُ فمن تعجل في يومين والتعجيل في اليوم الثاني على رجل من القريتين عظيم قال الفارسي اي من احدى القريتين ولمن خاف مقام ربهِ جنتان وان المعنى جنة واحدة خلافًا للفراء ومنهُ أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي الهين اي الهًا ومنهُ قولهُ القيا في جهنم اي القِ . هذا هو كلام علماء الاسلام وهذه الامثلة هي من القرآن وكذلك ورد فيهِ اطلاق المثنى على الجمع واطلاق الجمع على المفرد وعلى المثنى ايضاً

(٧٢) ورد في مرقص ١ : ٦ ان يوحنا كان يأكل جرادًا وعسلاً بريًّا وورد في مت ١١ : ١٨ انهُ كان لا يأكل ولا يشرب قلنا انهُ لا يوجد تناقض بل بالحري انهُ في غاية المطابقة وبيان ذلك ان يوحنا قضى حياة تقشف وزهد فانهُ كان مقتصرًا على أكل الجراد والعسل البرّي وهذا ليس بأكل وشرب اعتياديين فان المسيح قال عن يوحنا هل خرجتم لتنظروا انسانًا لابسًا ثيابًا فاخرة او انسانًا اكولاً يعني ان يوحنا ليس من اصحاب الترف والسرف والبذخ فكان طعامهُ الجراد والعسل البرّي ولباسهُ وبر الابل فهذا ليس من المآكل الشهية ولا من المشروبات المرية وانهُ ليس ايضًا ممن يلبس الثياب الفاخرة فصح والحالة هذه ان يطلق عليهِ بانهُ لا يأكل ولا يشرب كناية عن التقشف والزهد والاَّ فلا يعقل ان انسانًا يعيش في هذه الدنيا بدون اكل ولا شرب فلا يصح ان نفهم

من هذا اللفظ حقيقته فكما انه لا يجوز ان نفهم من قول القرآن حقيقة النعاج في قوله ِان هذا أَخي لهُ تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فكذلك لا يصح ان نفهم من قوله لا ياكل ولا يشرب معناهُ الحقيقي فيكني بالنعجة عن المرأة كما انهُ يكنى بعدم الاكل والشرب عن الزهد والتقشف ومثل ذلك قوله بل يداهُ مبسوطتان كناية عن سعة جوده وكرمه جداً

(٧٣ الى ٧٥) قال المعترض من قارن بين ما ورد في مت ٤ : ١٨ — ٢٧ وفي انجيل مرقص ١ : ١٦ — ٢٠ وبين ما ورد في يوحنا (ص ١ : ٣٥ — ٤٦) وجد ثلاثة اختلافات في دعوة الحواريين الاوَّل ان البشيرين متى ومرقص قالا ان المسيح دعا بطرس واندراوس و يعقوب و يوحنا على بحر الجليل فتبعوهُ اما يوحنا فافاد ان المسيح راى غير يعقوب عند عبر الاردن (٢) يفهم من متى ومرقص انهُ رأى اوَّلاً بطرس واندراوس على بحر الجليل وبعد هنيهة لقي يعقوب و يوحنا على هذا البحر وافاد يوحنا ان يوحنا واندراوس لقياهُ اوَّلاً بقرب عبر الاردن ثم جاء بطرس بهداية اخيه اندراوس وفي الغد لما اراد المسيح التوجه الى الجليل راى فيلبس ثم جاء نثنائيل بهداية فيلبس ولم يذكر يعقوب (٣) ان متى ومرقص ذكرا انهُ لما لقي التلاميذ كانوا يشتغلون بالقاء الشبكة وباصلاحها و يوحنا لم يذكر الشبكة بل ذكر ان يوحنا واندراوس سمعا وصف المسيح عن يوحنا وجاء الى عيسى ثم جاء بطرس بهداية اخيهِ انتهى كلام المعترض

قلنا يكفي لهدم اعتراضه الطويل العريض كلمة واحدة وهي ان يوحنا ذكر في انجيله اوَّل مقابلة المسيح للحواريين اما مرقص ولوقا فذكرا دعوة المسيح للحواريين ليكونوا رُسلاً والدليل على ذلك اختلاف المكان فيوحنا ذكر ما حصل في بيت عبرا في عبر الاردن اما متى ومرقص فذكرا ما كان في بحر الجليل ثانياً مما يدل على ان هذه هي اوَّل مرَّة سمعوا فيها المسيح قول يوحنا ما نصهُ وفي الغد كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه فنظر الى يسوع وتبعاهُ ثالثاً مما يدل على انها غير الدعوة الرسولية قول يوحنا في آية ٣٩ من انهما مكثا عنده ذلك

اليوم يعني انهما عادا ثانية الى اشغالهما الاعتيادية رابعاً ان الدعوة المذكورة في متى ومرقص هي الدعوة الرسولية والدليل على ذلك قول المسيح لهم ستكونون صيادي الناس خامساً ان المعترض مسلم بان يوحنا قال انهُ لما كلمهم لم يكونوا مشتغلين بشباكهم والحاصل ان متى ومرقص ذكرا دعوة المسيح للرسل ليكونوا رسلاً لتعليم الناس اما يوحنا فذكر اوَّل اجتماعه ببعضهم في محل غير المحل الذي دعاهم فيهِ المسيح وحينئذٍ فلا يوجد تناقض لانهُ يلزم من التناقض اتحاد الزمان والمكان وغيره كما تقدم

(٧٦) قال المعترض من قابل بين متى ٩ : ١٨ وبين ما ورد في مرقص ٥ : ٢٣ في قصة ابنة الرئيس وجد اختلافاً فان الاول قال ان الرئيس قال للمسيح ابنتي ماتت والثاني قال ان ابنتي قاربت الموت

قلنا بما ان المعترض استعان بالمغالطة لنورد عبارة البشيرين فقال البشير متى ان ابنتي الان ماتت وفي مرقص آية ٢٣ قال ان ابنتي الصغيرة على آخر نسمة وفي آية ٣٥ قال وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت فمن أُوتي ذرة من التمييز جزم بعدم وجود ادنى تناقض فان البشير متى قال ان ابنتي (الان) ماتت كانها كانت قبل برهة في حالة النزع كما هو واضح من مفهوم العبارة والبشير مرقص قال ان رئيس المجمع قال انها كانت مشرفة على الموت وبعد قليل اتى خبر بانها ماتت فلو اقتصر على قوله انها على آخر نسمة من الحياة وسكت لوجد التناقض ولكنه بعد ان وصف درجات حالتها قال انها ماتت وقضي الامر والمعترض يعرف انه يلزم قبل الموت حالة النزع ثم الموت ومرقص ذكر كلتا هاتين الحالتين والبشير متى اشار الى حالة النزع بالمفهوم بقوله (الان) واشار الى حالة الموت صراحة ومنطوقاً بقوله

ماتت فكل منهما ذكر حالتيها فمن هم المحققون الذين قالوا بوجود الخلاف لعمري لا يقول ذلك حتى المجرد من الادراك ومن غرائب دعاويه قوله ان علماء المسيحيين اختلفوا في وفاة الابنة فادعى ان احدهم قال انه كان مغشياً عليها وهذا كما لا يخفى رأي الكفرة الملحدين الذين لا يؤمنون بولي ولا نبي ولا بآية ولا معجزة فاذا سرى الى المعترض من روحهم قلنا له ان القرآن شاهد بان المسيح اقام الموتى وذكر في الانجيل اقامته لجملة من الموتى وهو القادر على كل شيء فهو الذي يحيي ويميت اما قول المسيح انها نائمة فانه يعبر عن الموت بالنوم اذ يعقبه البعث والنشور فانفصال الروح من الجسد ليس بموت حقيقي اي ليس هو الملاشاة فاراد المولى سبحانه وتعالى ان يدحض مذهب الصدوقيين الذين كانوا لا يعتقدون بالبعث ولا النشور والا فاهلها كانوا يبكون ويولولون عليها

وورد في اللغة النوم بمعنى الموت فورد ان كل شيء سكن فقد نام ونامت السوق كسدت ونامت الريح سكنت ونام البحر ونامت النار همدت كله من النوم الذي هو ضد اليقظة ونامت الشاة وغيرها من الحيوان اذا ماتت وفي حديث علي انه حث على قتال الخوارج فقال اذا رأيتموهم فانيموهم اي اقتلوهم وفي حديث غزوة الفتح فما اشرف لهم يومئذ احد الا اناموه اي قتلوه يقال نامت الشاة وغيرها اذا ماتت والنائمة الميتة انتهى من جزء ١٦ من لسان العرب وذكر في اساس البلاغة للزمخشري نام الرجل بمعنى مات وهو من المجاز

(٧٧) قال المعترض ورد في انجيل متى ١٠ : ١٠ وفي لوقا ٩ : ٣ ان المسيح منع الحواريين عن اخذ العصا ويعلم من مرقص ٦ : ٨ انه اجازهم اخذ العصاء قلنا لنورد عبارة البشير متى من عدد ٩ لتظهر المعنى فقال (لا تقتنوا) ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا احذية ولا عصاً ولنورد عبارة مرقص من عدد ٨ لتفهم الحقيقة من سياق الكلام ونصها واوصاهم ان (لا يحملوا) شيئاً للطريق غير عصاً فقط لا مزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً في

المنطقة بل يكونوا مشدودين بنعال ولا يلبسوا ثوبين فظاهر عبارة البشير متى عدم اخذ شيء زيادة على ما يلزمهم وان لا يهتموا بالاكل والشرب والثياب واسباب الدفاع فنهاهم عن اخذ عصا زيادة على ما اعتادوا على حمله بان لا يقولوا مثلاً بما انا مسافرون سنأخذ معنا بعض العصي للاتقاء من الاعداء ثانياً يجوز ان يراد بلفظة عصا هنا عصي ووردت قراءة بذلك وعليه اذا تسلط النفي على الجمع وهو المناسب للمقام لا ينافي ذلك حمل عصا واحدة فقط ولا سيما اذا كانوا معتادين على حملها على انه اطلق في القرآن المفرد على المثنى في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه اي يرضوهما وعلى الجمع نحو ان الانسان لفي خسر اي الاناسي بدليل الاستثناء منهُ وقولهُ ان الانسان خلق هلوعاً بدليل الاَّ المصلين ثالثاً ان المسيح قال في انجيل متى لا تقتنوا فكأنه يقول لا تقتنوا زيادة على ما عندكم بل اذهبوا كما انتم فالغاية نفي الادخار ومما يؤيد ذلك قوله ولا تقتنوا احذية اما البشير مرقص فقال ان يكونوا مشدودين بنعال فليس النفي في انجيل متى متسلطاً على استغراق الافراد فانه اذا كان متسلطاً عليها لزم ان يسيروا بلا احذية ايضاً لانه يقول ولا تقتنوا احذية ولا عصا وهو لا يعقل فلزم ان يكون المراد ان لا يأخذوا زيادة على الضروري لهم او المستعمل عندهم وهو ثوبهم الذي على جسمهم والنعال التي في ارجلهم والعصا الذي في يدهم وحينئذٍ فلا تناقض ولا اختلاف

لا يخفى ان متى قال لا تقتنوا والاقتناء هو امتلاك الشيء على قبيل الادخار للاتقاء من كوارث الزمان والمسيح قال في محل آخر لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض وفي الحديث انهُ نهى عن ذبح قنى الغنم قال ابو موسى هي التي تقتنى للدر والولد وفي كتب اللغة الاقتناء هو ان يتخذ الشيء لنفسه لا للبيع واتخذها قنية للنسل لا للتجارة وتقول العرب من اعطي مائة من المعز فقد اعطي القني ومن اعطي مائة من الضأن فقد اعطي الغنى ومن اعطي

مائة من الابل فقد اعطي المنى وقد قنّاهُ الله واقناهُ اعطاهُ ما يقتنى من القنية والنشب وفي القرآن وانهُ هو اغنى واقنى من اقنى ارضى او جعل قنية اي جعل الغنى اصلاً لصاحبه ثابتاً ومنهُ قولك قد اقتنيتُ كذا وكذا اي عملت على ان يكون عندي لا اخرجهُ من يدي قال ابن الاعرابي اقنى اعطاهُ ما يدخرهُ بعد الكفاية فالمسيح لهُ المجد حض تلاميذه على ان لا يدخروا الثياب والطعام وآلات الدفاع بل يرتكنوا على المولى سبحانه وتعالى وعلّمهم ان يقنعوا بالكفاف وهذا لا يلزم ان يجرّدوا انفسهم مما كان عندهم فاذا كان عند احدهم عصا حملوها ولكنهُ نهاهم عن ادخار السلاح وان يرتكنوا على العناية الالهية في وقايتهم وحمايتهم ففي انجيل مرقص نهاهم عن حمل المطاعم والمآكل في الطريق وان يحملوا عصاً فقط اي التي كانت في ايديهم ولكنهُ نهاهم عن اقتناء العصي وفي انجيل متى نهاهم عن اقتناء الاحذية وهو لا ينافي الاكتفاء بما في اقدامهم ولذا قال في انجيل مرقص وان يكون في ارجلكم نعلين وكثيراً ما قال لهم المسيح انظروا الى طيور السماء لا تزرع ولا تحصد والمولى يطعمها وانظروا الى زنابق الحقل والمولى يلبسها الحلل الجميلة فكم بالحري انتم السم افضل من الطيور والزنابق هذا هو الكلام المقبول المعقول المنزّه عن التناقض

(٧٨) ورد في متى ص ٣ : ١٤ ان المسيح اتى الى يوحنا ليعتمد منه فمنعه يوحنا قائلاً انا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليّ ثم اعتمد المسيح وصعد من الماء فنزل عليه الروح مثل حمامة وورد في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا آية ٣٣ وانا لم اكن اعرفه قال المعترض وعرفته بنزول الروح مثل حمامة ونار وفي متى ص ١١ انه لمّا سمع يوحنا باعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه وقال لهُ انت هو الآتي ام ننتظر آخر وقال المعترض علم من الاول ان يوحنا كان يعرف قبل نزول الروح ومن الثاني انه ما عرف الاّ بعد نزول الروح ومن الثالث انه لم يعرفه بعد نزول الروح ايضاً وحذف المعترض التوجيه الذي رد به عليه صاحب ميزان الحق قلنا ان قول يوحنا لم اكن اعرفه اي انه لم يكن يعرفه قبل نزول الوحي عليه وقبل نزول الروح القدس على المسيح اي قبل سماع الصوت من السماء الشاهد بانه ابنه الحبيب الذي به سرّت نفسه فهو حكاية عن اشياء ماضوية

وكل انسان له احوال فلهُ حالة قبل المعرفة وهي حالة التجرد من المعلومات وحالة بعد المعرفة وهي الحالة التي تكون ظهرت لهُ الادلة والبينات بصحة الدين وكذلك الانبياء فلهم حالات الحالة التي قبل الوحي والالهام والحالة التي بعد الكشف والتوقيف فعلم الله داود كما ورد في سورة البقرة ٢ : ٢٥٢ (وعلمهُ مما يشاء) وعلم يوسف كما ورد في سورة ١٢ : ٣٧ (مما علمني ربي) وفي سورة مريم ١٩ : ١٣ يايحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبياً وقس على ذلك باقي الانبياء وورد في سورة النساء ٤ : ١١٣ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم ان يُضلوك الى ان قال وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم فالقرآن ناطق بان الله هو المعلم الحقيقي فاوحى تعالى الى يوحنا بان المسيح هو الموعود به فاخذ في شرح حاله قبل هذه المعرفة بقوله وانا لم اكن اعرفه فهذه الحالة هي متقدمة على قوله انا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليّ واذ تقرر ذلك فلا تناقض فانه يلزم في التناقض اتحاد الزمان والمكان ولا اتحاد هنا في الزمان اما ارسال يوحنا التلميذين الى المسيح فهو لكي يوقفهما على الحقائق بانفسهما حتى يصدقا بالعيان بما لم يبقَ معه شك في الاذهان ولا سيما ان يوحنا كان مسجونًا وقتئذٍ ولم يتيسر لهُ مشاهدة المعجزات الباهرة التي صنعها المسيح فلذا قال لهما المسيح اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون فالتصديق لا يكون الاّ بهذه المعجزات الباهرة لان الديانة المسيحية مؤسسة على البينات المتينة

(٧٩) ورد في انجيل يوحنا ٥ : ٣١ قول المسيح ونصه ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً ثم اورد المعترض الاية ١٤ من الاصحاح الثامن

وكان يجب عليه لتوضيح المعنى ان يورد آية ١٣ وها نورد الايتين وها فقال له الفريسيون انت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقاً ١٤ اجاب يسوع وقال لهم وان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق فترى ان الكلام اللاحق لا ينافي السابق فان معنى قوله تعالى وان كنت اشهد لنفسي اي اذا شهدت على سبيل الفرض والتقدير فشهادتي حق ولا يخفى ان كلمتي ان واذا للشرط في الاستقبال لكن اصل ان عدم الجزم بوقوع الشرط واصل اذا الجزم بوقوعه ولما كانت ان تفيد عدم الجزم بالوقوع غُلّب لفظ الماضي مع اذا لدلالته على الوقوع قطعاً نظراً الى نفس اللفظ نحو فاذا جاءتهم (اي قوم موسى) الحسنة (كالخصب والرخاء) قالوا لنا هذه (اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها) وان تصبهم سيئة (اسيء جدب وبلاء) يطيّروا بموسى ومن معه (اي يتشاءموا) وقد تستعمل ان في مقام التوبيخ نحو وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ويجوز ان تكون للتعريض بان ينسب الفعل الى احد والمراد غيره نحو قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين فالمخاطب به محمد وجيء بلفظ الماضي ابرازاً للاشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير كما هو مقرر في كتب المعاني (كالسعد التفتازاني) فلما كذب اليهود شهادة المسيح قال لهم ولو فرضنا وشهدت لنفسي فشهادتي حق لانها مؤيدة بالمعجزات الباهرة ونبوات الانبياء فلو كانت شهادة المسيح مجردة عن المعجزات وعن اقوال الانبياء لا تكون من الشهادات الشرعية المقبولة فلذا قال ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً ولكن ما دام يوحنا والانبياء والاعمال الباهرة والتعاليم السامية تشهد لهُ فشهادته حق اذا شهد لنفسه وعلى كل حال فكلمة (ان) لا تفيد وقوع الفعل بل لو وقع الفعل لما وجد ادنى منافاة

(٨٠) قال يعلم من متى ١٥ : ٢٢ ان الامرأة التي استغاثت بيسوع المسيح لشفاء ابنتها كانت كنعانية وفي انجيل مرقص ٧ : ٢٦ انها كانت اممية وجنسها فينيقية سورية قلنا ان البلاد التي كانت تشتمل على صور وصيدا كانت في يد الكنعانيين وكانت تسمى كنعان ولا يخفى ان الفينيقيين تناسلوا من الكنعانيين وكانت البلاد التي تشتمل على صور تسمى فينيقية او (فينيقية سورية) ثم استولى عليها اسكندر ذو القرنين فصارت تابعة لليونان وكانت تلك المدن في عصر المسيح يونانية وكانت تلك الامرأة اممية تحت حكومة اليونان ولغتها يونانية فكانت فينيقية سورية مولداً واصلها من ذرية الكنعانيين ولنضرب مثلاً يوضح ذلك فنقول ان العرب التابعين للدولة العلية يطلق عليهم عرب باعتبار الاصل وعثمانيون بالنظر الى الحكومة ويجوز تخصيص الشخص باسم وطنه مسقط رأسه ومنبت غرسه بان يقال مكاوي فهو عربي مكاوي وعثماني على انه اذا فرض ان هذه المرأة لم تكن يونانية فكانت العادة الجارية عند الامة اليهودية ان يطلقوا لفظة اليونان او الامم على كل من لم يكن يهودياً وعلى كل حال فلا يوجد في العبارة ادنى تناقض فمن قال انها كنعانية نظر الى اصلها ونسبتها القديمة ومن قال انها فينيقية سورية نظر الى البلاد التي ولدت فيها وهذا اصطلاح مرعي

(٨١) قال ورد في مرقص ٧ : ٣٢ بان المسيح شفى اصم اعقد وان متى ١٥ : ٣٠ قال فجاء اليه جموع كثيرة منهم عرج وعمي وخرس وشل وآخرون كثيرون وعرضوهم عند قدمي يسوع فشفاهم وادعى ان هذا من المبالغة قلنا تقدم اننا نقلنا عن القرآن من سورة آل عمران ٣ : ٤٣ بان المسيح كان يخلق من الطين كهيئة الطير ويبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى وينبيء الناس بما ياكلون وما يدخرون وتكرر هذا القول في سورة المائدة وزاد على ذلك بان قال انه

كان يكلم الناس في المهد وهذا كلام غريب وزاد بان ذكر معجزة المائدة والمعتبر من هذه المعجزات مأخوذ من الانجيل فهل القرآن بالغ في ذلك وعلى كل حال فالقرآن مسلم بان المسيح كان يصنع قوّات ظاهرة ومعجزات باهرة لم يقدر ان يفعلها سواه

قال وهذه المبالغة تشبه ما ورد في آخر انجيل يوحنا ٢١ : ٢٥ وهي قوله واشياء أُخر صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة قلنا (اولاً) ان معنى قوله يسع في هذه الآية يطيق ويحتمل كأنهُ قال ان معجزات المسيح بهرت العقول لغرابتها وكثرتها بحيث لو ذكرت بالتفصيل لما قبلها العالم بايمان ولكن ذكر ما فيه الكفاية للايمان بان يسوع هو ابن الله والمراد بقوله العالم الامة اليهودية (ثانياً) لا بأس من فهم الكلام على حقيقته بلا تأويل فاننا اذا نظرنا الى ما اودعه في مخلوقاته من الاسرار البديعة والحكم الرفيعة والنظام العجيب والترتيب الغريب كان شيئاً لا يحد ولا يحصر فانه كلمة الله الازلية التي بها خلق العالمين ومعلومات البشر عن هذا العالم قاصرة جدّا (ثالثاً) لا بأس من ان يراد بهذه العبارة ان معجزات المسيح كثيرة وباهرة وهي من المبالغة والمبالغة هي كما قال علماء الاسلام من محاسن انواع البديع ولم يستطرد في حلبات سبقها الاّ فحول هذه الصناعة قالوا ولولا سموّ رتبتها ما وردت في القرآن والسنة النبوية ولو سلمنا الى من يهضم جانبها ولم يعدها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط في الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن اكثر الناس رغبوا في تسمية قدامة لخفتها والمبالغة في الاصطلاح هي افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه

عادة والاغراق وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو وصفه بما يستحيل وقوعه وكل من الاغراق والغلو لا يعد من المحاسن الاّ اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وغيرها وما وقع شيء من الاغراق والغلو في الكلام الفصيح الاّ مقروناً بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله في باب الامكان مثل كاد ولو وما يجري مجراها فورد في القرآن يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (اعراف ٧ : ٣٨) وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار وفي الحديث لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقوله ان دم الشهيد كريح المسك اما الشعراء فاكثروا من ذلك كقول امريء القيس

تنورتها من اذرعات واهلها ... بيثرب ادنى دارها نظر عالي

وبين المكانين بعد تام فان اذرعات من الشام والنار التي تنورها من اذرعات كانت بيثرب مدينة النبي وكقول المتنبي

روح تردد في مثل الخلال اذا ... اطارت الريح عنه الثوب لم يبنِ
كفى بجسمي نحولاً انني رجل ... لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وكقول ابن الفارض

كأَني هلال الشك لولا تأَوُّهي ... خفيت فلم تهدَ العيون لرؤيتي

وكقول ابي العلاء المعرّي

تكاد قسيه من غير رامٍ ... تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سلٍ ... تجد الى رقابهم انسلالا

وكقول ابي نواس

فلما شربناها ودب دبيبها ... الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة ان يسطو عليَّ شعاعها ... فيطلع ندماني على سرّي الخفي

وكقوله : واخفت اهل الشرك حتى انه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

وقال بعضهم : قد كان لي فيما مضى خاتم ... واليوم لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بي في مقلة النائم لم ينتبه

وقد اجاز علماؤهم الغلو مهما كان في مديح النبي كقوله

عزيز جار لو الليل استجار به من الصباح لعاش الناس في الظلم

وكقول بعضهم في مدح النبي

تكاد تشهد ان الله ارسله الى الورى نطف الابناء في الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهي في الارحام لا تمكن عقلاً وما استحال عقلاً استحال عادة ولكنه جائز عندهم في مدح النبي وقالوا ان الغلو مقبول في مدح نبيهم وقال الشيخ عز الدين : في مدحه نفحات لا غلو بها يكاد يحيي شذاها بالي الرمم

فقرر العلماء والادباء بان مدح نبيهم بالمستحيل عقلاً وعادة متفق عليه نقلاً وعقلاً

(٨٢) ورد في متى ٢٦ : ٢١ – ٢٥ ان المسيح قال للحواريين ان واحداً منكم يسلمني فحزنوا وابتدأ كل واحد يقول هل هو انا يارب فقال الذي يغمس يده معي في الصحفة فاجاب يهوذا وقال هل انا هو ياسيدي قال له انت قلت وورد في يو ١٣ : ٢١ – ٢٧ ان واحداً منكم سيسلمني فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض متحيرين فأومأ بطرس الى تلميذ كان يسوع يحبه ان يسألهُ فسألهُ فاجاب يسوع هو ذاك الذي اغمس انا اللقمة واعطيه فغمس اللقمة واعطاها يهوذا قلنا من دقق النظر لا يجد ادنى خلاف بين العبارتين فيفهم منهما ان المسيح قال ان واحداً منكم يسلمني ثانياً يفهم منهما انهم اندهلوا وتحيروا واخذوا يتساءلون عن الشخص الذي يتجاسر على ذلك ثالثاً تصريحه بان يهوذا هو الذي اضمر له السوء رابعاً انه لما استفهم احد التلاميذ من المسيح عن الشخص الذي قصد ان يسلمه قال بحيث لم يسمعه سوى السائل (الذي اغمس اللقمة واعطيه) ثم غمس اللقمة واعطاها له وهو لا ينافي ما ذكر في انجيل متى من ان يهوذا استفهم منه بعد ذلك عن مسلمه فقال له انت هو

(٨٣) ورد في مت ٢٦ : ٤٨ – ٥٠ ان يهوذا كان قال لليهود ا الذي

اقبلهُ هو المسيح فامسكوهُ) فتقدم وقال السلام يا سيدي وقبلهُ فامسكوهُ وورد في يو ١٨ : ٢ - ٨ وكان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيهِ المسيح فاخذ الجند من عند رؤساء الكهنة والفريسيين فجاء بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي اليهِ وقال لهم من تطلبون اجابوهُ يسوع الناصري قال لهم يسوع انا هو وكان يهوذا مسلمهُ ايضاً واقفاً معهم فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض فسألهم ايضاً من تطلبون فقالوا يسوع الناصري اجاب يسوع قد قلت لكم اني انا هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون ثم قبضوا عليهِ وامسكوهُ ومن تأمل في هذين القولين رأى ان يوحنا الرسول لم يذكر ما كان من يهوذا من تقبيل يد سيده اعتماداً على فهم السامع لانهُ لما كان يهوذا تلميذاً للمسيح كان لا بد ان يسلم عليهِ ويقبل يديهِ و يؤدي لهُ الاحترام الواجب على التلميذ نحو استاذهِ الاعظم وسيده الانخم وهذا أمر معلوم سواء ذكره يوحنا ام لا وانما المهم هو انهُ غدر بسيدهِ ونسج على منوال يوآب الذي امسك بلحية عماسا ليقبلهُ وضربهُ بالسيف في بطنهِ فدلق امعاءهُ الى الارض (٢ صمو ٢٠ : ٩ و ١٠) ولما قبلهُ قال لهم المسيح من تطلبون فوقعت هيبتهُ الالهية هيبة القداسة والحق والعدالة في افئدتهم واعتراهم الرعب من قوّتهِ الالهية وسقطوا على الارض سقوط الخيانة والغدر والنذالة وثانياً انهُ قال لهم انا هو لئلاَّ يمسوا تلاميذهُ بضرر فانهُ هو الحافظ والواقي وشتان بين هذه الشهامة وبين ما اظهرهُ نبيهم فقد روى انهُ لما كان ابو بكر متوجهاً مع محمد الى الغار جعل طوراً يمشي امامهُ وطوراً يمشي خلفه وطوراً عن يمينهِ وطوراً عن شمالهِ خوفاً عليهِ من قومهِ ولما دخل الغار منعهُ ابو بكر ودخل الغار قبلهُ ليلاً مخافة ان يكون فيهِ شيء يؤذي محمداً وكثيراً ما كانت الصحابة تدافع عنهُ وهذا

بخلاف المسيح لانهُ قادر على حمايتهم وهو الراعي الصالح والحاصل انهُ لا يوجد ادنى اختلاف في رواية هذه الاخبار المهمة نعم لو قال احدهم ان يهوذا قبَّل المسيح ثم قال الآخر انهُ لم يقبّلهُ وكذلك لو قال الآخر انهم سقطوا من هيبته المقدسة وقال الآخر لم يحصل شيء من ذلك لوجد التناقض ولكن لم يحصل شيء من هذا فالله اوحى الى كل حواري بان يروي ما رآهُ ووفق بعنايته بان ذكروا اقوالهم بطريقة لا يشم منها رائحة التواطؤ بل ألهم كل واحد بان يقول حسب طريقتهِ فان لكل نبي نفساً وروحاً لا يشركهُ فيهِ الآخر

(٨٤) قال اختلف الانجيليون الاربعة في بيان انكار بطرس بثمانية اوجه وها نورد اقوال كل منهم ثم نرد على اقوال المعترض فنقول ورد في انجيل متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥ مانصهُ اما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار فجاءت اليهِ جارية قائلة وانت كنت مع يسوع الجليلي فانكر قدام الجميع قائلاً لست ادري ما تقولين ثم اذ خرج الى الدهليز رأته اخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري فانكر ايضاً بقسَم اني لست اعرف الرجل و بعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس ها انت ايضاً منهم فان لغتك تظهرك فابتدأ حينئذٍ يلعن ويحلف اني لا اعرف الرجل وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال لهُ انك قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرَّات

وورد في مرقص ١٤ : ٦٦ — ٧٢ وبينما كان بطرس في الدار اسفل جاءت احدى جواري رئيس الكهنة فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت اليهِ وقالت وانت كنت مع يسوع الناصري فانكر قائلاً لست ادري ولا افهم ما تقولين وخرج خارجاً الى الدهليز فصاح الديك فرأتهُ الجارية ايضاً وابتدأت تقول للحاضرين ان هذا منهم فانكر وبعد قليل قال الحاضرون لبطرس انت منهم لانك جليلي ايضاً ولغتك تشبه لغتهم فابتدأ يلعن ويحلف اني لا اعرف هذا الرجل الذي تقولون عنهُ وصاح الديك ثانية فتذكر بطرس القول الذي قالهُ لهُ يسوع انك قبل ان يصيح الديك مرَّتين تنكرني ثلاث مرَّات

وورد في لوقا ٢٢ : ٥٤ — ٦١ واما بطرس فتبعهُ من بعيد ولما اضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم فرأته جارية جالساً عند النار فتفرَّست فيهِ وقالت وهذا كان معهُ فانكرهُ قائلاً لست اعرفه يا امرأة و بعد قليل رآهُ آخر وقال

وانت منهم فقال بطرس يا انسان لست انا ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلاً بالحق ان هذا ايضاً كان معهُ لانهُ جليلي ايضاً فقال بطرس يا انسان لست اعرف ما تقول وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك فالتفت الرب ونظر الى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال انهُ قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات

ويوحنا ١٨ : ١٦ و ١٧ (فحواه) واما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً فقالت لهُ الجارية انت منهم فانكر وفي آية ٢٥ وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي فقالوا لهُ ألست انت ايضاً من تلاميذهِ فانكر فقال واحد من عبيد رئيس الكهنة اما رأيتك انا معهُ فانكر وللوقت صاح الديك

فيظهر مما تقدم ان الانجيليين اجمعوا على عدد مرات انكار بطرس لسيده وكان ذلك قبل ان يصيح الديك وتم بذلك ما انبأ به المسيح من انهُ سينكرهُ ثلاث مرات واعترض على ذلك بثمانية اوجه الاول قال يفهم من رواية متى ومرقص ان جاريتين والرجال القيام قالوا لهُ انهُ مع المسيح اما لوقا فقال امة ورجلان قلنا ان الخلاف لا يتحقق الاَّ اذا نفى الواحد ما اثبتهُ الآخر ولكن البشيرين وجهوا الانظار الى ذكر أهم الحوادث وفذلكتها فذكروا استفهام الكثيرين منهُ عن انتسابهِ الى سيدهِ وانكاره ذلك وذكروا استفهام الجارية وبعض الرجال الحاضرين والرجال القائمين بالحراسة وبما انهُ كان خارجاً في الدار لابد انهُ سُئل جملة مرار فاقتصر بعض البشيرين على ذكر الاهم

(٢) قال المعترض كان بطرس وقت سؤال الجارية في ساحة الدار حسب رواية متى وفي وسط الدار على رواية لوقا واسفل الدار على رواية مرقص وداخل الدار على رواية يوحنا انتهى قلنا ان الانجيلي متى قال انهُ كان خارجاً في الدار ومرقص قال في الدار اسفل ولوقا قال في وسط الدار ويوحنا قال انهُ كان واقفاً عند الباب خارجاً فخرج التلميذ وكلم البوابة فادخل بطرس (آية ١٦) فأنت ترى انهُ لا يوجد خلاف فبطرس كان حسب قول متى

خارجاً في الدار اي ليس في الدار الفوقاني الذي كان فيهِ المسيح والمجلس ومما يدل على انهُ كان في صحن الدار قول متى لما ضايقه اليهود انهُ خرج الى الدهليز فهذا يدل على انهُ كان في الدار وهنا البشير لم يقل خارج الدار بل خارجاً في الدار اي خارجاً عن المخادع و بما انهُ كان في المحل التحتاني اي صحن الدار فيصح ان يطلق عليهِ اسفل الدار ولا يخفى ان معنى صحن الدار هو اسفله وهو لا ينافي انهُ كان جالساً في وسطهِ يستدفئ على النار فلا يوجد ما يشعر بالخلاف فقوله خارجاً في الدار هو اسفل الدار اي صحن الدار وداخل الدار أو وسطهُ وعلى كل حال فلم يكن في الدور المرتفع الفوقاني الذي كان فيهِ المجلس بل كان في محل الخدم فسقط اعتراضه

(٣) قال المعترض اختلافهم في نوع ما سئل به بطرس قلنا من تأمل في سؤالاتهم وجدها واحدة ففي متى سألتهُ الجارية وقالت وانت كنت مع يسوع الجليلي وثانية قالت اخرى وهذا كان مع يسوع الناصري وقال القيام اي الحراس انت ايضاً منهم فان لغتك تظهرك هذه هي رواية متى اما مرقص فورد فيه ان الجارية قالت انت كنت مع يسوع الناصري ثم رأته ثانية وابتدأت تقول للحاضرين ان هذا منهم وقال الحاضرون لبطرس حقاً انت منهم لانك جليلي ايضاً ولغتك تشبه لغتهم وقس على ذلك ما ورد في انجيل لوقا و يوحنا فانه لا يختلف عن ذلك في شيء ما

(٤) قال المعترض كان صياح الديك مرة بعد انكار بطرس ثلاث مرات على رواية متى ولوقا و يوحنا وكان مرة بعد انكاره الاول ومرة اخرى بعد انكاره مرتين على رواية مرقص قلنا ان جميع الحواريين اجمعوا على انكار بطرس للمسيح ثلاث مرات قبل صياح الديك وذكر بعضهم ان الديك صاح مرتين والبعض

اقتصر على ان ذكره مرة وسبب ذلك هو ان الديوك تصيح مرتين عند منتصف الليل ومرة عند الفجر وبما انه يندر من يسمع صياحه اول مرة ضرب بعض الحواريين عنه صفحاً والمهم هو الصياح الثاني وقد ذكره جميع الانجيليين

(٥) قال متى ولوقا ان المسيح قال قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات وقال مرقص انه قال قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات قلنا ان جميع البشيرين ذكروا ان الديك صاح ولكن منهم من كرر هذه العبارة مرتين اما من لم يكررها بان ذكرها مرة واحدة فمراده انه صاح المرة الاخيرة وهي لا تنافي انه صاح مرة قبلها وانما اقتصر على المرة الاخيرة لانها هي الاهم ومع كل ذلك فذكر جميعهم ان بطرس انكر المسيح ثلاث مرات وذكر جميعهم صياح الديك

(٦) قال جواب بطرس للجارية بحسب رواية متى قال لست ادري ما تقولين وعلى رواية يوحنا اجاب بالسلب فقط وعلى رواية مرقص لست ادري ما تقولين وعلى رواية لوقا لست اعرف يا امرأة ومن سرّح طرفه رأى ان العبارات هي واحدة متشابهة لا فرق بينها وبما ان كثيرين من الخدم والحاضرين اخذوا يعنفونه ويضايقونه اخذه الفزع وعمه الجزع وتلعثم في الكلام واخذ في تبرئة نفسه بجملة اساليب متنوعة وطرق مختلفة في الوضوح والخفاء فتارة كان ينكر واخرى يقسم ويحلف باليمين المغلظة ليتخلص من عسف ائمة اليهود وشدة جورهم وظلمهم وكان ينتقل من محل الى آخر ليواري نفسه ويتخلص من هذا العقال وبهذا يرد على اعتراضه السابع

اما اعتراضه الثامن فهو مثل اعتراضه الاول وانما اخذ في التهويل ومن هنا يتضح عدم وجود ادنى اختلاف في اقوال الحواريين فكل واحد

منهم ذكر اقوال الوحي الالهي بحسب روحه ونفسه فان الوحي لا يبتلع شخصية الانسان فان المدار كله على المعاني وليس على الالفاظ والعبارات فالمولى سبحانه وتعالى يوحي الى النبي او الرسول المعاني والاحكام فيكسوها بعباراته واقواله وهذا هو معنى قولنا عدم ابتلاع شخصيته فتحفظ شخصيته ويظهر في كتابته ما اختص به من القوى العقلية وطرق الفكر والتصوّر وهذا هو سبب تنوع طرق تعبير الانبياء وكلامنا هنا هو عن الانبياء او الرسل بصيغة الجمع اما اذا كان نبي او رسول واختلف في اقواله وعباراته فهذا هو الذي يؤاخذ عليه لانه ناقض نفسه بنفسه واذا نظرنا الى القصص المذكورة في القرآن وجدنا اختلافات كثيرة فتارة يزيد واخرى ينقص ومرة يقدم واخرى يؤخر كما تقدم واذا قيل ما الفائدة في تكرار القصص في القرآن فانه كان يجب ان يستوفيها في محل واحد ولا يرجع اليها ثانية كما فعل في قصة يوسف قلنا لما كان دأبه ان يلتقط من هذا عبارة كان يوردها واذا سمع اخرى التزم ان يعيد ذات القصة بالزيادة التي سمعها غير ان علماء الاسلام عدوا التكرار من الفصاحة

قال بعضهم ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من كتابه وقال ابن العربي في القواصم ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية وقصة موسى في تسعين آية يعني مفرقة في مواضع شتى وقد ألّف البدر بن جماعة كتاباً سماهُ المقتنص في فوائد تكرار القصص وذكر في تكرير القصص فوائد منها ان في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبلهُ او ابدال كلمة باخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء ومنها ان الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى اهلهِ ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى آخرين وكذا سائر القصص فاراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيهِ افادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين ومنها ان في ابراز الكلام الواحد في فنون كثيرة واساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة ومنها ان القصة لما كرّرت كان في الفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير

واتت على اسلوب غير اسلوب الاخري فافاد ذلك ظهور الامر العجيب في اخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس الى سماعها لما جبلت عليهِ من حب التنقل في الاشياء المتجددة واستلذاذها بها واظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه

هذا هو غاية ما اعتذروا بهِ عن التكرار ونقول لهم لماذا لم يكرّر القرآن قصة يوسف بل اقتصر على ذكرها في محل واحد ولم يرجع اليها ثانية فالظاهر انهُ كان سمعها كلها مستوفية وبعدها لم يسمع زيادة عليها فذكرها مرّة واحدة وقوله ان الرجل كان يهاجر ثم يأتي غيره فاحتاج الى تكرار القصة السابقة قلنا فلماذا لم يكرّر قصة يوسف وثانياً لماذا لم يكرّر ذات السورة التي نزلت عليهِ بذات الفاظها الى من لم يسمعها نعم يجوز للرسولين او الثلاثة ان يدعوا جملة أُمم الى الايمان بان يبلغوا الوحي الالهي حسب ما اختصوا بهِ من القوّة في البيان ثالثاً قالوا ان اختلاف القصة يدل على اقتدار المنشئ على ايراد القصة الواحدة باساليب متنوعة قلنا قد يتحقق هذا القول لو اورد القصة الواحدة بدون زيادة في المعاني ففي بعض السور ذكر طرفاً من قصة موسى وفي غيرها ذكر باقيها ولكنهُ لو ذكرها كلها مرّة واحدة في سورة ثم اعادها ثانية بمعانيها كلها بغير الاسلوب السابق وبالفاظ غير السابقة لعد ذلك من اقتدار الانشاء ولكنهُ لم يفعل ذلك بل ذكر جزءًا من القصة ثم كرّر ذلك الجزء واضاف اليهِ باقي القصة وهكذا مما يدل على انهُ كان يكمل النقص مما كان يلتقطهُ من اليهود وغيرهم واذا جوّزوا للشخص الواحد ان يورد قصص الانبياء بالزيادة والنقصان فلماذا لم يسوغوا لجملة من الرسل الحواريين أن يدونوا قصة المسيح بطرق متنوعة ومع ذلك فقد تقدم عدم وجود اختلاف بين ما كتبهُ الحواريون

(٨٥) ورد في انجيل لوقا ٢٣ : ٢٦ ولما مضوا بهِ امسكوا سمعان رجلاً

قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليهِ الصليب ليحملهُ خلف يسوع وورد في يوحنا ١٩ : ١٦ – ١٧ فاخذوا يسوع ومضوا بهِ فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال لهُ موضع الجمجمة حيث صلبوهُ قلنا من قوانين الرومان المرعية هو انهُ اذا حكم على مذنب بالاعدام أَلزموهُ ان يحمل صليبهُ وقد اشار بلوتارك الى ذلك عند كلامه على بلايا الرذيلة فقال ان كل رذيلة تنتج شقاء وعذاباً خاصاً كما انهُ اذا حكم على انسان بالاعدام حمل صليبهُ انتهى فالمسيح بموجب هذا القانون حمل صليبهُ الى محل الصلب وذات عبارة البشير لوقا تفيد ذلك مثل عبارة يوحنا فانهُ قال ولما مضوا بهِ امسكوا رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليهِ الصليب ليحملهُ خلف يسوع يعني لما حمل المسيح الصليب على كتفهِ وسار بهِ مسافة ضعفت قواهُ الجسدية وتعذر عليهِ المشي فوجدوا في الطريق سمعان القيرواني والارجح انهُ كان من الارقاء لانهم لا يكلفون الاحرار بمثل هذا العمل الذي كان يعتبر اعظم هوان وعار وذل وسخروهُ في مساعدة المسيح على حمل الصليب لانهُ قال وضعوهُ عليهِ ليحملهُ خلف المسيح فهو كان حاملاً اياهُ كما ان المسيح حملهُ ايضاً وحينئذٍ فلا منافاة بين القولين

(٨٦) قال يفهم من الاناجيل الثلاثة الأُول ان المسيح كان في الساعة السادسة على الصليب ويفهم من انجيل يوحنا انهُ كان في هذا الوقت في حضور بيلاطس البنطي قلنا ان قولهُ الاناجيل الثلاثة الأُول قالوا في الساعة السادسة ليس في محلهِ فان جميعهم اجمعوا على انهُ اظلمت الارض في الساعة السادسة وانما ورد في مرقص ١٥ : ٢٥ انهُ صلب نحو الساعة الثالثة وفي يو ١٩ : ١٤ بانهُ كان في الساعة السادسة ونقول ان المراد بقول مرقص انهُ

صلب في الساعة الثالثة انهُ تقرّر صلبهُ في تلك الساعة وبما انهُ صلب في الجمجمة وهي كانت خارج اورشليم يعني كان بين المحل الذي حوكم فيهِ المسيح وحكم عليهِ وبين المحل الذي صلب فيهِ مسافة قاصية كان لابد من مضي برهة من الزمن لاجراء ما يلزم لصلبهِ ومما يدل على ذلك هو قوله انهُ في الساعة السادسة اظلمت الدنيا وهو يدل على ان الصلب تم فعلاً في الساعة السادسة واذ تقرّر ذلك فلا منافاة بين قولي البشيرين وذهب بعض المحققين الى حل آخر فقال بما ان يوحنا الانجيلي كان مقيماً في اسيا الصغرى جرى في الحساب على طريقة الرومانيين الرسمية فانهم كانوا يحسبون اليوم من منتصف الليل فالساعة السادسة التي اشار اليها هي بعد منتصف الليل اي صباحاً فصرف نحو ثلاث ساعات في اجراء ما يلزم للصلب فيكون صلب في الساعة التاسعة قبل الظهر وهي الساعة الثالثة التي ذكرها البشير مرقص وعليهِ فلا اختلاف مطلقاً

(٨٧) قال متى ومرقص ان اللصين اللذين صُلبا معه كانا يعيّرانه وقال لوقا ان احدهما عيّره واما الاخر فزجر رفيقهُ وقال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع انك اليوم تكون معي في الفردوس قلنا ان اللصين اشتركا في مبدأ الامر في التعيير ولكن لما اقتنع احدهما بما رآه في يسوع المسيح من الوداعة والحلم والتسليم وتذكر ما صنعه من المعجزات الباهرة اعترف بذنبه واقرّ بقوة المسيح له المجد ولكن قال بعض العلماء اشتهر في اللغة العبرية اقامة الجمع مقام المفرد وجرى البشير متى على هذه الطريقة فقال في موضع آخر كما هو مكتوب في الانبياء ومراده نبي واحد ومن سنن العرب ان الجمع يراد به الواحد فورد في القرآن ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وانما اراد المسجد الحرام وورد فيه واذ قتلتم نفساً فادّارأتم وكان القاتل واحداً والعرب

ايضاً تخاطب الواحد بلفظ اثنين كما تقدم فيقولون افعلا ذلك والمخاطب واحد وورد في القرآن القيا في جهنم كل كفار عنيد وهو خطاب لمالك خازن النار وكذلك ينسب الفعل للاثنين وهو لاحدهما كما ورد في القرآن فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما وكان النسيان من احدهما لانهُ قال فاني نسيت الحوت وما انسانيه الاَّ الشيطان وورد في القرآن (مرَجَ البحرينِ يلتقيان) اي كلاهما يجتمعان واحدهما عذب والآخر ملح (بينهما برزخٌ) اي حاجز ثم قال (يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من الملح لا من العذب فمتى البشير اطلق الجمع المترجم في اللغة العربية بالمثني واراد بهِ الواحد وهو مشهور في اللغات الاجنبية

(٨٨) قال ويؤخذ من مت ص٢٩ و ٢١ ان المسيح ارتحل من اريحا وجاء الى اورشليم ويعلم من يو ص١١ و ١٢ انهُ ارتحل من افرايم وجاء الى قرية بيت عنيا وبات فيها ثم جاء الى اورشليم قلنا قد اقام العلماء المحققون الادلة والبراهين على ان الآيات الواردة في مت ١٩ : ١ و ٢٠ : ١٧ و ٢٩ و ٢١ : ١ ويوحنا ١٠ : ٤٠ و ١١ : ١٧ و ٥٤ و ١٢ : ١ تشير الى سفريات المسيح في اوقات مختلفة فانهُ لما سافر من الجليل توجه الى اورشليم وحضر عيد المظال ثم سافر الى بيرية بعد الاردن ومنها سافر الى بيت عنيا فاقام لعازر ثم الى اورشليم ومنها توجه الى افرايم فلبث قليلاً وعلَّم هناك ثم توجه الى اورشليم على طريق اريحا فشفى الاعميين ثم زار زكا وتوجه الى بيت عنيا قبل عيد الفصح بستة ايام فبعض الآيات المذكورة يشير الى بعض هذه السفريات والبعض الآخر يشير الى باقي سفرياته

(٨٩) قال ان المسيح اقام ثلاثة من الاموات ابنة الرئيس وميتاً آخر ذكر في لوقا والعازر كما ذكر في يوحنا وفي ا ع ٢٦ : ٢٣ ان يؤلَّم المسيح يكن هو اوَّل قيامة الاموات وفي

١ كو ١٥ : ٢٠ قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين ٢٢ لانهُ كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع ٢٣ ولكن كل واحد في رتبته المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئهِ (وقد حذف المعترض ركناً مهماً من آية ٢٢ كعادتهِ ليحكم تلفيقاته وقد ذكرناها برمتها لتتضح المعنى) قال وورد في كولوسي ١ : ١٨ الذي هو البداءة بكر من الاموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء فقال ان هذه الاقوال تنفي قيام ميت من الاموات قبل المسيح والاَّ لا يكون اوَّل القائمين وباكورتهم وفي رؤيا ١ : ٥ ومن يسوع المسيح الشاهد الامين البكر من الاموات

قلنا ان المسيح هو اوَّل من قام من الاموات بحيث لن يذوق الموت فهو بكر الاموات اما الذين اقامهم من الموت فذاقوا الموت بعد ذلك وماتوا كباقي الناس بعد ان عاشوا مدة من السنين ولكن متى اتى يوم البعث والنشور فلن يذوقوا الموت وتكمل سعادتهم ويتم بذلك نعيمهم الدائم وقال الامام الرازي واما القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معاً فقد ارادوا ان يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على ان سعادة الارواح بمعرفة الله تعالى ومحبته وان سعادة الاجسام في ادراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لان الانسان مع استغراقه في تجلي انوار عالم الغيب لا يمكنهُ الالتفات الى شيء من اللذات الجسمانية ومع استغراقهِ في استيفاء هذه اللذات لا يمكنهُ ان يلتفت الى اللذات الروحانية وانما تعذر هذا الجمع لكون الارواح البشرية ضعيفة في هذا العالم فاذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت فاذا اعيدت الى الابدان مرَّة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الامرين ولا شبهة في ان هذه الحالة هي الغاية القصوى من مراتب السعادات هذا هو كلام علمائهم ولكن المعترض اخذ هذه الاعتراضات من منكري البعث والنشور ولا يخفى ان البعث وهو ان يبعث الله الموتى من

القبور بأن يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها هو حق فورد في القرآن انكم يوم القيامة تبعثون وقوله قل يحييها الذي انشأها اوّل مرّة

قال ورد في كتاب ايوب ٧ : ٩ السحاب يضمحل ويزول هكذا الذي ينزل الى الهاوية لا يصعد وفي ١٤ : ١٢ والانسان يضطجع ولا يقوم لا يستيقظون حتى لا تبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم وفي آية ١٤ ان مات رجل افيحيا كل ايام جهادي اصبر الى ان ياتي بدلي

قلنا ان هذه الايات تدل على انه اذا توفي الانسان لا يأتي ثانية الى المعاهد الارضية ومعاشرة اصحابه السابقين وهي مثل قوله كل شيء هالك الاّ وجهه كل من عليها فانٍ فالايات التي اوردها من سفر ايوب تدل على فناء الدنيا وزوالها ولا علاقة بينها وبين البعث من الاموات

وقد استنتج المعترض نتيجة باطلة فقال نعلم من هذه الاقوال انه لم تصدر معجزة احياء الميت عن المسيح فقط وان علماء المسيحيين اختلفوا في احياء ابنة الرئيس قلنا تقدم بطلان هذا الكلام ونصوص الانجيل ناطقة بانه احيى الموتى واقتبس القرآن هذه المعجزات وذكرها ولم ينكر احياء المسيح للموتى الاّ الملحدون الذين لا يعتقدون بالانبياء ولا بالمعجزات قال ويؤخذ من اقوال ايوب ان قيام المسيح من الاموات باطل وقصة موته وصلبه من اكاذيب اهل التثليث قلنا لا يتصور ان ايوب المعدود عند المسلمين من كبار الانبياء ينكر البعث والنشور وكما انه لا يجوز ان يؤخذ من قول القرآن كل شيء هالك الاّ وجهه وقوله وكل من عليها فانٍ عدم البعث من الاموات فكذلك لا يؤخذ من كلام ايوب ذلك اما صلب المسيح وموته وقيامته فقامت عليها الادلة والبراهين وبلغ مبلغ التواتر بحيث لا ينكره الاّ منكر الحقائق البديهية الضرورية وفي سورة آل عمران ٣ : ٤٨ اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من

الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وفي سورة المائدة ٥ : ١١٧ ما قلت لهم الاَّ ما امرتني ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفيتني وانت تعلم انه ورد قوله الله يتوفى الانفس حين موتها يعني ان المسيح مات وقام من الاموات واستقباح القرآن قتل اليهود لهُ هو لانهُ لم يعرف ان ذلك كان باختياره واتى الى العالم لهذه الغاية والقرآن شاهد بان اليهود قتلوا انبياءهم فقتلهم للمسيح ليس بغريب وانما الغريب اضطراب القرآن فمرة قال انهُ شبّه لهم فقتلوا شبهه مع انهُ بعيد على رؤساء الامة وولاة الامور والجند ثم قال ان الله رفعهُ ومرّة قال انهُ توفاهُ والقول الصحيح هو ما نطقت بهِ الاناجيل وكبار المؤرخين على تنوع مشاربهم واختلاف مذاهبهم

(٩٠) قال يعلم من انجيل متى ان مريم المجدلية ومريم الاخرى لما وصلتا الى القبر نزل ملاك الرّب ودحرج الحجر عن القبر وجلس عليهِ وقال لا تخافا واذهبا سريعاً ويعلم من مرقص انهما وسالومة لما وصلن الي القبر رأين ان الحجر مدحرج ولما دخلن القبر رأين شابًا جالسًا عن اليمين ويعلم من لوقا انهنَّ لما وصلن وجدن الحجر مدحرجاً فدخلن ولم يجدنَ جسد المسيح فصرنَ محتارات فاذا رجلان واقفان بثياب بيض

قلنا ان عبارة متى تفيد ان الملاك كان دحرج الحجر قبل مجيء مريم المجدلية ومريم الاخرى فانهُ قال بانهما لما اتتا الى القبر حدثت زلزلة عظيمة لان ملاك الرّب كان نزل من السماء ودحرج الحجر عن الباب فجزع الحراس والفعل الماضي اذا ورد مجرّدًا من قد كان مبهمًا في بُعد المعنى وقربه واذا اقترن بقد تخلص للقرب ويفهم من سياق الكلام انه كان دحرج الحجر وهو مثل ما ورد في مرقص ولوقا اما من جهة النساء فذكر في لوقا بانهُ اتت نساء اخريات واقتصر بعض البشيرين على ذكر البعض لشهرتهنَّ فاقتصر البعض على ذكر مريم المجدلية لانها كانت اوّل من بادر بتبليغ الرسل اما اقتصار

البعض على ذكر ملاك واحد دون الآخر فلانهُ هو الذي خاطبهم وكلّمهم اذ لا يعقل انهُ يتكلم الملاكان في آن واحد ذات الكلام عينه اما قول بعض البشيرين انهُ رجل لابس ثياباً بيضاء وفي محل آخر يقول انهُ ملاك قلنا ان الملاك يتشكل بشكل الانسان وقال اكثر المتكلمين المسلمين ان الملائكة هم اجسام لطيفة قادرة على التشكل بصور مختلفة كما ان الرسل كانوا يرونهم كذلك قالوا والملائكة عباد الله العاملون بأمر الله الاَّ هاروت وماروت كما ان الشياطين اعداء الله المخالفون لامر الله الاَّ واحداً منهم قرين النبي قد أسلم وهو هامة بن هميم بن لاقيس بن ابليس اللعين ومع ان هذا الكلام يعد من الخرافات ومناف لكلام الوحي الالهي الناطق بان الابالسة هم ارواح شريرة ولكن يؤخذ منهُ ان الملائكة تتشكل بشكل الانسان وذهب الحكماء الى ان الملائكة جواهر مجرَّدة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وقيل الملاك جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلي غير نام طاعتهُ طبع وعصيانهُ تكلف خلاف البشر فان طاعته تكلف ومتابعة الهوى منهُ طبع الى آخر كلامهم

(٩١) قال ورد في متى ان الملاك لما اخبر الامرأتين انهُ قد قام من الاموات ورجعتا لاقاهما المسيح في الطريق وسلم عليهما وقالا اذهبا وقولا لاخوتي ان يذهبوا الى الجليل وهناك يرونني و يعلم من لوقا انهنَّ لما سمعن من الرجلين رجعن واخبرن الاحد عشر وسائر التلاميذ بهذا كله فلم يصدقوهنَّ وقال يوحنا ان المسيح لقي مريم عند القبر

قلنا ان المسيح لاقاهنَّ لما تركن القبر المرَّة الثانية فانهنَّ اتين اوَّل مرَّة ثم بادرن واخبرن التلاميذ ثم عدن ثانية فالمسيح ظهر اولاً لمريم المجدلية لما كانت وحدها كما في يوحنا ٢٠ : ١٤ ثم ظهر لباقي النساء كما قال متى وشرح علماء المسيحيين كيفية قيامة المسيح وظهوره لتلاميذه وغيرهم وافاضوا في الكلام على ذلك بتدقيقات رائقة وتحقيقات فائقة ولولا ضيق المقام لذكرناها

(١٩٢) قال ورد في لوقا ١١ : ٥١ ان دم جميع الانبياء منذ انشاء العالم من دم هابيل الى دم زكريّا يطلب من اليهود وورد في سفر حزقيال ص١٨ انهُ لا يؤخذ انسان بذنب آخر وورد في التوراة ان الابناء يؤخذون بذنوب الاباء الى ثلاثة اجيال او اربعة اجيال

قلنا تقدم الكلام على ذلك بما فيهِ الكفاية وبما ان اعتراضه يخالف ما تقدم في بعض الامور لنرد عليهِ فنقول ان المسيح انذر بني اسرائيل من التمادي على المعاصي والاصرار على رفض كلامه تعالى الذي هو كلام الحيوة الابدية وان الله سيدينهم على عدم الايمان وذكّرهم بما فعلوهُ بالانبياء من القتل والرجم والنشر وان الله سيطالبهم كافة بما فعلوا وقد تأوّه محمد من مقاومة اليهود لهُ وتفنيدهم لدعاويه فقال في سورة آل عمران ٣ : ١٧٩ الذين قالوا ان الله عهد الينا ألاّ نؤمن لرسولٍ حتى يأتينا بقربانٍ تاكلهُ النار قل قد جاءكم رُسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلِمَ قتلتموهم ان كنتم صادقين · ولقد اصاب اليهود في طلبهم منهُ ذلك كما كانوا يفعلون مع انبيائهم ولكنهُ اعتذر عن عدم اجابة سؤلهم بقوله انهم قتلوا انبياءهم اما المسيح ففعل امامهم المعجزات الباهرة من احياء الموتى وشفاء الابرص والاكمه والاعمى ومع ذلك فرفضوهُ فكان يحق له والحالة هذه ان ينذرهم ويحذرهم من المسؤولية الكبرى التي تقع على ظهورهم لان رفضهم اياهُ بمنزلة رفض جميع الانبياء لانهم تكلموا عنهُ وشهدوا لهُ وورد في سورة البقرة عدد ٨١ واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناهُ بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون وفي عدد ٨٥ قل فلِمَ تقتلون انبياء الله من قبلُ ان كنتم مؤمنين وليخبرنا ما هو الفرق بين هذه الاقوال وبين قول المسيح ان اليهود مسؤلون عن دم الانبياء اما من جهة كون خطاياهم تعم اولادهم فاقمنا البرهان على ذلك واستشهدنا

بما ورد في سورة الانفال من قوله واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصةً وقوله يا داود انا الله الودود انظر صحيفة ١٦ ففيه الكفاية والهداية

(٩٣) قال ورد في رسالة بولس الرسول ١ تيموثاوس ٢ : ٣ و ٤ لان هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون وورد في ٢ تسالونيكي ٢ : ١١ و ١٢ ولاجل هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم فيعلم من الاول ان الله يريد ان يخلص جميع الناس ومن الثاني ان الله يرسل اليهم عمل الضلال فيصدقون الكذب ثم يعاقبهم عليه

قلنا كان الواجب على المعترض ان يذكر آية ١٠ لتظهر المعنى وها نوردها ونصها لانهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ولاجل هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال الخ فمن الحقائق المقررة في الديانة المسيحية هو ان الله سبحانه وتعالى يود ان جميع الناس يقبلون الحق وتستنير اذهانهم ويهتدون الى الصراط المستقيم ولهذه الغاية ارسل الانبياء والرسل لقبول الحق فمن اصرّ على العناد اسلمه لقساوة قلبه وقد ارسل موسى الى فرعون المرة بعد الاخرى فخالف وعاند فاسلمه الله لقساوة قلبه هذا هو معنى الايات التي اوردها المعترض واذا استقبح قول الكتاب المقدس ان الله ارسل اليهم عمل الضلال فقرآنه مشحون من ذلك فورد في سورة الاعراف ٧ : ١٨٥ من يضلل الله فلا هادي له وفي عدد ١٧٨ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم اضل وبعض هذه الاية مأخوذ من قول اشعياء النبي تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون وغمضوا عيونهم لئلاّ يبصروا بعيونهم و يسمعوا باذانهم ويفهموا بقلوبهم وورد في سورة الانعام ٦ : ٣٩ من يشاء الله يُضلله ومن يشاء يجعله على

صراط مستقيم وفي عدد ١٢٥ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يُرد ان يُضله يجعل صدره ضيقاً وفي سورة النساء ٤ : ٩٠ اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً وفي سورة النحل ١٦ : ٩٥ ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى غير ذلك من الاقوال التي تعد بالمئات وعلماء الاسلام قرروا ان الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء بناءً على قوله والله خلقكم وما تعملون اي من خير وشرٍّ اختياريٍّ واضطراريٍّ وليس للعبد الاّ مجرد الميل حالة الاختيار ولذلك طلب بالتوبة والاقلاع والندم واستحق التعزير والحدود والثواب والعقاب وهذا هو الكسب وهو مقارنة قدرة العبد الحادثة للفعل فالله هو الذي اوجد قدرته وحركاته ولو كانت اختيارية واجمعوا على ان العبد مجبور في قالب مختار

واعترض المعتزلة وقالوا انه يلزم على كون الله خالقاً للاختياري ان تعذيبه لهم عليها ظلم وهو مردود من وجوه نقول لهم لا يخلو اما ان يكون حصول هذا الفعل بقدرة الله وقدرة العبد فان قالوا نعم قلنا لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان قالوا بقدرة العبد فقط قلنا لزم وقوع شيء في الكون قهراً عن الله ولزم ان لا يكون سبحانه وتعالى واحداً في الافعال وهو كفر الوجه الثاني انه لو كان الفعل له لكان عالماً بحركات نفسه وسكناتها مدى الايام قبل وجودها فجهله بها دليل على عجزه الوجه الثالث انه لا يلزم على تعذيب الله للعصاة الظلم لبطلان ذلك ببداهة العقل وذلك لان الظلم هو التصرف في ملك الغير ومن تصرف في ملكه لا يعد تصرفه ظلماً ولذلك حكي عن القاضي عبد الجبار بن احمد المعتزلي قاضي قزوين انه دخل عند ابن عباد وزير المعز فرأى عنده الاستاذ ابا اسحاق الاسفرايني امام اهل السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء ففهم الاستاذ مراده فقال سبحان من لا يقع في ملكه الاّ ما يشاء فقال المعتزلي ايريد ربنا ان يُعصى فقال الاستاذ ايُعصى ربنا قهراً عنه فقال المعتزلي ارايت ان منعني الهوى وقضى عليَّ بالردى أأحسن اليَّ ام اساء فقال له الاستاذ ان منعك ما هو لك فقد اساء وان منعك ما هو له فهو مالك والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء فانصرف الحاضرون وقالوا

ليس بعد هذا جواب والله كأنه ألقم حجراً

(٩٤ و ٩٥ و ٩٦) قال الاول ورد في اعمال الرسل ٩ : ٧ واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احداً وورد في ٢٢ : ٩ والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني وفي اصحاح ٢٦ لم يذكر سماع الصوت ولا عدم سماعه

قلنا ان كلمة سمع في قوله لم يسمعوا صوت الذي كلمني هو بمعنى الفهم فمعنى الآية انهم لم يفهموا كلام الذي كلم الرسول بولس ومما يدل على ان السمع هو بمعنى الفهم قوله صوت الذي كلمني اي كلام الذي كلمني وتعبيره في المحل الاول بقوله سمعوا الصوت ولم يقل الكلام فلو قال سمعوا الكلام وقال في المحل الثاني لم يسمعوا الكلام لحصل التناقض ولكنه لم يفعل ذلك فكأنهُ قال في الآية الاولى انهم سمعوا صوتاً ولكنهم لم يفهموه وفي المحل الثاني قال لم يفهموا الكلام والعبارة في الاصل اليوناني تفيد ذلك ولنورد ما يؤيد هذا الكلام فنقول ورد في المصباح الجزء الاول صحيفة ١٩٤ ما نصه وسمعت كلامه اي فهمت معنى لفظه فان لم تفهمه لبُعد او لغط فهو سماع صوت لا سماع كلام فان الكلام ما دلّ على معنى تتم به الفائدة قال وسمع الله قولك علمه وسمع الله لمن حمده قبل حمد الحامد وقال في شرح القاموس سمع بمعنى فهم وقال في الكليات يعبر بالسمع عن الفهم نحو سمعنا وعصينا وسمع الادراك متعلقه الاصوات نحو قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ويطلق السماع ويراد به الانقياد والطاعة وقد يطلق بمعنى الفهم والاحاطة الى غير ذلك اما في اصحاح ٢٦ فكان بولس واقفاً امام الملك اغريباس وكانت غايته تبرئة نفسه مما نسب اليه زوراً وافتراءً وبيان دعوة الله لهُ وهو محط الفائدة فأوجز في ذكر الدفاع عن نفسه وفي ذكر دعوة الله العليا لهُ وضرب صفحاً عن غير ذلك لانه مخاطب ملكاً مشتغلاً بمصالح

الجمهور وتدبير الامور

قال الثاني في ص ٩ : ٦ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي ان تفعل وورد في ٢٢ : ١٠ فقال لي الرب قم واذهب الى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك ان تفعل وورد في ص ٢٦ : ١٦ قم وقف على رجليك لاني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادماً وشاهداً بما رايت وبما ساظهر لك به منقذاً اياك من الشعب ومن الامم الذين انا الان ارسلك اليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات الى نور ومن سلطان الشيطان الى الله حتى ينالوا بالايمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين فيعلم من الاصحاحين الاولين ان بيان ماذا يفعل كان موعوداً بعد وصوله الى المدينة ويعلم من الثالث انه لم يكن موعوداً بعد وصوله بل بيّنهُ في موضع سماع الصوت

قلنا كانت غاية الرسول من خطابه للملك ان يوضح مأموريته فهي محط الفائدة فلذا تكلم على الحوادث الماضية بالايجاز مراعاة لمقتضيات المقام وهذه هي البلاغة الالهية كيف لا و بولس الرسول اُوتي به من اسرار الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه البشر فلو كان تكلم بالتفصيل على الحوادث التي حصلت له لأحدث السآمة والملل للسامع مع انه كانت غايته ان يجذب نظره ويأخذ بسمعه عسى يهتدي الى الحق وهذا بخلاف خطابه لليهود فانه شرح لهم بالتفصيل الحقائق التي يهمهم معرفتها وسماعها والوقوف على كلياتها وجزئياتها فيا لها من فصاحة و بلاغة فلو خاطب اليهود بما خاطب به الملك وخاطب الملك بما خاطب به اليهود لكان من قبيل وضع الشيء في غير محله والمقام اذا اقتضى التاكيد اكد واذا اقتضى التقديم قدم او التأخير اخّر او الحذف حذف او الايجاز اوجز او الاطناب اطنب وغيره قال يعلم من الاوّل ان الذين كانوا معهُ وقفوا صامتين ويعلم من الثالث انهم كانوا سقطوا على الارض والثاني ساكت عن القيام والسقوط قلنا المراد من كلمة وقف في الاصل الاستقرار في المكان سواء كانوا قائمين او قاعدين فكأنهُ قال استقروا في محالهم وهي عبارة عامة لا تنافي

وقوعهم على الارض او قيامهم عليها وفي المصباح وقف بمعنى سكن ثانيًا انهُ ذكر في ص ٢٦ : ١٤ ما حصل لهم عقب ظهور النور فانهم سقطوا جميعًا وكان ذلك قبل مناداة شاول اما في الاصحاح التاسع فذكر ما حصل بعد ان استفاقوا مما دهمهم فقوله وقفوا صامتين اي بعد ان سقطوا ومما يدل على ذلك النور الذي ابرق فان لهُ هيبة وقد تقدم ان في القرآن كثير من التراكيب التي لا تظهر معناها الاَّ بتقدير حذف امور كثيرة تعد بالالوف وقال بعضهم يبلغ المضاف المحذوف نحو ألف قال الزمخشري عن قوله فلن يخلف الله عهدهُ اي ان اتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهدهُ وقال ابو حيان فلمَ تقتلون انبياء الله من قبل اي ان كنتم آمنتم بما انزل اليكم فلم تقتلون ونحو قوله وخلطوا عملاً صالحًا اي بسيء وآخر سيئًا اي بصالح وغير ذلك كثير جدًا

(٩٧) ورد في ١ كو ١٠ : ٨ ولا نزنِ كما زنى اناس منهم فسقط في يوم واحد ثلثة وعشرون الفًا وورد في سفر العدد ٢٥ : ٩ وكان الذين ماتوا بالوباء اربعة وعشرين الفًا ففيهما اختلاف بمقدار الف قلنا لا يوجد اختلاف لان الرسول تكلم على الذين سقطوا في يوم واحد لانهُ قال ما نصهُ (فسقط في يوم واحد) ٢٣ الفًا وفي سفر العدد ذكر مجموع الذين هلكوا بسبب خطاياهم في اكثر من يوم واحد فالرسول بولس اوضح كيف ان المولى سبحانه وتعالى غضب عليهم حتى لاشى منهم في يوم واحد فقط هذا المقدار وانهُ لو لم يبادر بنو اسرائيل بقتل من كان السبب في سقوطهم في العبادة الاصنامية لتلاشوا عن آخرهم فقول الرسول في يوم واحد يدل على الزجر والوعظ بأبلغ عبارة والطف اشارة ولو قال النبي في سفر العدد انهُ مات في يوم واحد ٢٤ الفًا لحصل التناقض ولكنهُ بعد ان ذكر ما كان من خطايا بني اسرائيل وغضب الله عليهم

وامرهم بقتل الرؤساء الذين اضلوهم وارسال الوباء اليهم قال في آخر كل هذا ومات ٢٤ الف نفر ولم يوجد تناقض لاختلاف الزمان

(٩٨) اع ٧ : ١٤ فارسل يوسف واستدعى اباهُ يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً قال وهذه العبارة دالة ان يوسف وابنيهِ الذين كانوا في مصر قبل الاستدعاء ليسوا بداخلين في عدد ٧٥ بل مقدار هذا العدد سوى يوسف وابنيهِ من عشيرة يعقوب وفي سفر التكوين ٤٦ : ٢٧ جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت الى مصر سبعون

قلنا كان الواجب عليهِ ان يذكر آية ٢٦ و ٢٧ من سفر التكوين حتى يظهر المعنى وها نذكرها ونصها وجميع النفوس ليعقوب التي اتت الى مصر الخارجة من صلبهِ ما عدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون نفساً وابنا يوسف اللذان ولدا لهُ في مصر نفسان جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت الى مصر سبعون وهاك بيان ذلك

١٢ اولاد يعقوب احدى عشر ولداً وابنةً
٤ اولاد رأوبين
٦ اولاد شمعون
٣ اولاد لاوي
٥ اولاد يهوذا الثلاثة وحفيداه
٤ اولاد يساكر
٣ اولاد زبولون
٧ اولاد جاد
٧ اولاد اشير الاربعة وابنته وحفيداه
١ ابن دان
٤ اولاد نفتالي
١٠ اولاد بنيامين
٦٦

فالمجموع ستة وستون والآية ناطقة بانهم ستة وستون وابنا يوسف اللذان وُلدا لهُ في مصر نفسان وبجمعهما الى يوسف مع ابيهِ يبقى اربعة فيكون المجموع سبعين وليس فيها كلام وانما الواجب ان يلاحظ بانه في سفر التكوين استثنى من ذلك نساء بني يعقوب اما في اعمال الرسل فقال الرسول ما نصهُ (فأرسل يوسف واستدعى أباهُ يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً) فهنا لايجوز ان يدرج يوسف ولاابناهُ ولا زوجته في هذا العدد لانهم كانوا موجودين في مصر فيكون عدد الذين استدعاهم ٦٦ نفساً باخراج يعقوب من هذا العدد لانهُ مصرح بهِ على حدته بقوله استدعى اباهُ يعقوب وجميع عشيرته يعني ٦٦ نفساً اما باقي العشيرة فهي

زوجات بنيهِ وعددهنّ تسع لانهُ كانت توفيت امرأة يهوذا تك ٣٨ : ١٢ وكذلك امرأة شمعون فالمجموع خمسة وسبعون ففي سفر التكوين صرَّح بقوله ما عدا نساء بني يعقوب وفي اعمال الرسل قال يعقوب وبنوهُ وجميع عشيرته فعبارة الرسول شرحت واوضحت عبارة سفر التكوين فلا محل لقوله ان عبارة الانجيل غلط والمعترض لم يذكر آية ٢٦ ولا آية ٢٧ مع انهما كافيتان في بيان الحقيقة ولكن عادته الالباس والايهام

(١٩٩) ورد في متى ٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون وورد في متى ١٠ : ٣٤ ما جئت لأُلقي سلاماً بل سيفاً فبين الكلامين اختلاف قلنا ان المسيح هو رئيس السلام وانموذج المحبة والوداعة والطهارة وجميع الكمالات وهو القائل احبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ومن لطمك على خدك الايمن فحوّل لهُ الآخر وقال لا تقاوموا الشر وغيره من الاقوال الحاضة على مكارم الاخلاق التي تفرّدت بها ديانتهُ ومع كل ذلك فقال انهُ لم يأْتِ ليلقي سلاماً بل سيفاً وليس مرادهُ ان يحدث الشقاق والخصام ويزيل المحبة والسلام حاشا وكلاّ بل مراده ان يلقي الشقاق بين القداسة والنجاسة فانهُ لا توجد مناسبة بين ديانته الطاهرة الصادقة وبين مبادي اهل العالم الفاسدة المنحرفة عن الهدى والمؤدية الى الكذب والضلالة والرّدى فالمسيح اتى ليحدث الخصام بين الحق والكذب وبين النور والظلمة ويزيل الوئام بين اميال الانسان المنحرفة وبين ما يطلبهُ الله منهُ فجهاد الانسان لهواهُ هو الجهاد الاكبر ولا يموت الانسان وهو في جهاد نفسه فقط بل في جهاد اهله واقاربه الذين يتمنون ان يثنوهُ عن الحق والديانة الصحيحة فكم من مؤمن عادى اباهُ وأُمهُ حباً في خلاص نفسهِ وتمسكهِ بالحق وتاريخ الكنيسة شاهد عدل على ذلك وكم من مؤمن آثر اتباع الانجيل واغضب انسباءهُ واقرباءهُ ووالديهِ لانهُ نظر الى ما هو خيرٌ وابقى معتصماً بعروة الحق الوثقى والحاصل انهُ لا مناسبة ولا ائتلاف بين النور والظلمة

ولا بين الحق والكذب فالديانة المسيحية هي النور والحق والدنيا المنغمسة في الشرور والفجور هي الظلمة والكذب والكفاح مستمر لا ينتهي الاّ بانتهاء مدة جهاد الانسان في الدنيا (اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت لهُ عن عدو في ثياب صديق) وقول المسيح هو من الادلة على ان ديانته هي تنزيل من رب العالمين فليست كالديانة التي توعد اصحابها بالراحة والنعيم حتى اذا شاكلوا اهل العالم في كذبهم وفسادهم ونجاستهم بل المسيح اوضح للمؤمن ما يصادفهُ من الصعوبات والاتعاب وانهُ لا يوجد بين المؤمن وبين اهل العالم اهل الفساد ملائمة

(١٠٠) قال ورد في انجيل متى ٢٧ : ٥ بان يهوذا الاسخريوطي خنق نفسهُ وورد في اعمال الرسل ص ١ : ١٨ واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤُهُ كلها

قلنا ان متى ذكر مجرَّد خبر انتحاره فقال انهُ شنق نفسه واقتصر على ذلك لان غايتهُ هي مجرَّد الاخبار وافادة المطالع او السامع خبرًا من الاخبار اما في اعمال الرسل فالمقام كان مقام تنفير وتقريع وتشنيع على ذلك العمل الوخيم والذنب الجسيم فاوضح انهُ مات اشنع ميتة وافظعها فاذا طالع الانسان الذي لا دين يزمه ولا ادب يثنيه عن الغواية من المنتحرين ونظر ما يؤُول اليهِ الخائن المنتحر عدل عن الانتحار وعمل الفضيحة والعار ولم يرضَ لنفسهِ انشقاق البطن وسكب الاحشاء اي خروج امعائهِ من بطنهِ فيتضح من هنا انهُ لما كان المقام مقام تنفير وترهيب عبَّر بخروج امعائهِ واحشائهِ والحكيم من وضع الترغيب في محلهِ والتنفير في موضعهِ والقرآن عبر في سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ عن عذاب الاشرار بأكلهم شجرة الزقوم فقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كأَنهُ رؤُوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبًا من حميم فالاقرب الى العقل انهُ لا توجد شجرة بهذه الصفة وانما مرادهُ التنفير

وعلى كل حال فعبارة الرسول في اعمال الرسل غايتها التنفير ويجوز ان يفهم بها المعنى حرفياً فيكون متى الرسول ذكر مجرَّد انتحاره وشنق نفسهِ وذكر في اعمال الرسل ما حصل له عقب الشنق فانه علَّق او شنق نفسه على طرف هوَّة في وادي هنوم فانقطع الحبل به فسقط وحصل له ما ذكر في اعمال الرسل وسافر الاستاذ (هاكت) الى المحل الذي يظن انه شنق فيه نفسه فقال لما وقفت في الوادي ونظرت الى درَج الصخور المعلقة فوقه واخذت مقاس الارتفاع ورأيت انه يبلغ على خط عمودي من ٢٥ الى ٤٠ قدماً قلت قد ظهر لي معنى قول الرسول في اعمال الرسل انشق من الوسط وانسكبت احشاؤه قال ولا تزال الاشجار طالعة على حافة تلك الهوات وبما انه في اسفل كل درجة صخور مسننة كان لا بد ان يتهشم ويتحطم من يسقط عليها وقال هذا الفاضل ان يهوذا سقط على تلك الصخور المسننة فانشقت جثته وخرجت امعاؤه واحشاؤه(انتهى) وزد على هذا اننا لم نعرف مدة بقاء يهوذا على المشنقة وانما المؤكد انه شنق نفسه ولبث مدة حتى انتن وقال احد مشاهير الاطباء جرت العادة في الموت القهري الاليم ان تنفجر مادة لينفاوية ممزوجة بالدم في تجاويف الصدر والبطن واذا بقيت الجثة على المشنقة الى ان تنتن يتكوَّن غاز من المادة السائلة ويمتد امتداداً جسيماً وكثيراً ما يشق البطن كما شوهد ذلك في الجثث التي شنقت في كثير من الممالك واذ تقرر ذلك فلا تناقض لان الرسول ذكر في اعمال الرسل نتيجة الشنق

ثانياً قال يؤخذ من انجيل متى ان رؤساء الكهنة اشتروا الحقل بالثلاثين من الفضة التي ردها يهوذا ويعلم من اعمال الرسل ان يهوذا كان اشترى الحقل بها فانه قيل وهذا معلوم في جميع سكان اورشليم .

قلنا هاك نص العبارة في عدد ١٨ فان هذا اقتنى حقلاً من اجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلهـا وصار ذلك معلوماً عند سكان جميع اورشليم الخ فنسب اليه الاقتناء فانه لما كان هو السبب نسب اليه والمقام في اعمال الرسل هو كما قلنا مقام تشنيع وتقريع فانه قال ان الحقل هو وصمة ملازمة له وعار لاحق به وكثيرًا ما نسب الى الانسان الفعل لانه السبب فيه فنسب الى الملك بناء القصر مع انه ليس هو الباني حقيقة ولكنه هو آمر وكذلك نسب اليه الذبح وهو لم يذبح احدًا وانما هو الآمر فورد في القرآن يذبح ابناءهم وقوله يا هامان ابنِ لي صرحاً فنسب الذبح وهو فعل الاعوان الى فرعون والبناء وهو فعل العملة الى هامان لكونهما آمرين بهِ وكذلك قوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً نسبت الزيادة وهي فعل الله الى الايات لكونها سبباً لها وكذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار نسب الاحلال اليهم لتسبيهم في كفرهم بامرهم اياهم به فكذلك ما نحن فيه فانه نسب الى يهوذا انه اقتنى والحقيقة هي انه سبب الاقتناء ثم ان المعترض تظاهر بتصديق ما ورد في اعمال الرسل للتوصل به الى الطعن في انجيل متى فقال

صرح في انجيل متى ٢٧ : ٣ بانه حكم على المسيح وانه دين وهو غلط لان رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب دفعوه الى بيلاطس البنطي قلنا من تأمل في الاصحاح الذي قبله رأى ان الكهنة والشيوخ والرؤساء والمجمع اتوا بشهادات زور عليه حتى مزق رئيس الكهنة ثيابه لانه ادعى على المسيح بانه مجدف وبصقوا في وجهه ولكموه ولطموه وحكموا عليه بالموت كما ترى ذلك مفصلاً في الاصحاح الذي قبله فكان والحالة هذه حكم عليه وناهيك انه تعذر على الوالي اطلاق سبيله بعد ذلك مع انه كان يميل الى اطلاقه (ثانياً) قال

المعترض ان يهوذا رد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ في الهيكل وهو غلط لانهم كانوا في هذا الوقت عند بيلاطس يشتكون على المسيح قلنا ورد في الاية الخامسة ما نصه اي بعد آيتين فطرح الفضة في الهيكل وانصرف اي انه اوردها في خزينة الهيكل باسم ائمة الدين سواء كانوا حاضرين ام غائبين (ثالثاً) قال المعترض ان سياق العبارة بين آية ٢ و ١١ دالة على انها اجنبية محضة قلنا ان الكلام مرتبط ببعضه بحيث لا تنفك جملة عن اختها الاّ اختل المعنى فانه ذكر في الايتين السابقتين ما كان من اليهود في اضطهاد المسيح وتسليمهم اياه للحاكم وفي آية ٣ – ١٠ ذكر انه لما رأى يهوذا ما حصل لسيده ندم وتأسف وانتحر وذكر في آية ١١ وقوف المسيح امام الوالي فذكر الرسول الوقائع بحسب زمان حدوثها فليس كالقرآن الذي لما ذكر انصبة النساء انتقل الى الكلام على الصلاة والسكر ثم الى مواضيع شتى كما في سورة النساء اما الانجيل فالقصة كلها عن محاكمة المسيح وصلبه وكأنه ظن ان الانجيل يشبه القرآن في الاقتضاب حيث يندر وجود مناسبة بين آيات السورة الواحدة وشتان بين الاثنين فالانجيل والكتب المقدسة منزهة عن هذه الوصمة (رابعاً) قال ان موت يهوذا في صباح الليلة التي اسلم فيها المسيح هو بعيد جداً ان يندم على فعله في هذه المدة القليلة ويخنق نفسه لانه كان عالماً قبل التسليم ان اليهود يقتلونه قلنا لو قال الكتاب المقدس انه لبث اسبوعاً يتحسر ويتأسف على غدره وخيانته لكان يبعد انتحاره ولكنه لما رأى انه خان سيده الذي لم يرَ منه مدة معاشرته سوى اللطف والمحبة والرحمة والاحسان والسماحة والآيات الباهرة انتحر من شدة تحسره ونخسات الضمير فرأى ان الاولى النار ولا العار كما يقول اهل العالم والتحسر والاسف ونخسات الضمير تنزل على الانسان في

اول الامر بشدة وحدة فاذا سلم الانسان نفسه لها هلك فمبادرته الى الانتحار هي امر طبيعي مشاهد بالعيان ولو تأخر وتأنى لهدأ بالهُ وسكن بلبالهُ وربما كان لا ينتحر

(١٠١) قال ورد في ١ يو ٢ : ٢ ان المسيح هو كفارة لخطايا كل العالم هذا هو نص كلامه والمعترض قلب العبارة فانعكست المعنى وقال ورد في امثال سليمان ٢١ : ١٨ ان الاشرار يكونون كفارة لخطايا الابرار وهو ليس في محله ونص الاية هو الشرير فدية الصديق ومكان المستقيمين الغادر

اما قول يوحنا فهو ان الله احب العالم حتى بذل ابنه فداءً عن كل من يؤمن به لان الجميع اخطأُوا واحتاجوا الى فادٍ كريم كما تقدم في الباب الاول ومعنى الاية الواردة في سفر سليمان هو ان للصديق عند الله منزلة عظيمة ومقاماً جليلاً فينجيه من مكائد الاشرار وسوء نوايا الفجار ويوقعهم في الاشراك التي ينصبونها له وينجيه من انيابهم بلطفه الخفي وقال الحكيم ١١ : ٨ الصديق ينجو من الضيق ويأتي الشرير مكانه وقد انقذ الله بني اسرائيل من مكائد هامان بواسطة استير ومردخاي ورد الله كيده في نحره وعُلّق على الخشبة التي كان اعدها لصلب مردخاي والمعترض يعرف ان الله سبحانه وتعالى انقذ بني اسرائيل من يد فرعون واغرقه مع جنوده في البحر الاحمر وبهذا يظهر معنى قوله الشرير فدية الصديق ولا مناسبة بين الآيتين فكل منهما في واد

(١٠٢) قال يعلم مما ورد في رسالة بولس الى العبرانيين ٧ : ١٨ ومن ٨ :٧ ان الشريعة الموسوية ضعيفة معيبة غير نافعة ومن مز ١٩ : ٧ انها بلا عيب وصادقة قلنا ان الرسول لم يقل ان الشريعة الموسوية ضعيفة معيبة غير نافعة حاشاه من ذلك ولكنه اوضح ان الكهنوت اللاوي كان يرمز ويشير الى المسيح الكاهن العظيم ولما اتى المرموز اليه تم الغرض من الكهنوت اللاوي وبما ان

الكهنوت اللاوي كان رمزًا الى المسيح فلم يغفر خطية ولم يغيّر قلبًا ولم يصلح سيرة فوجد الناس مقيمين على الذنوب والخطايا وحكم عليهم بالموت الابدي بخلاف كهنوت المسيح فانه لما قدم نفسه كفارة عن الخطايا برَّر من آمن به واعتمد عليه وغفر خطاياه وجدد قلبهُ ونال بذبيحة المسيح الحياة الابدية ومما يؤيد هذا قول الرسول في آية ١١ انه ليس بالكهنوت اللاوي كمال وقال في ص ٨ : ٧ بانه لو حصل بالعهد الاول مغفرة الخطايا ونوال القداسة والحياة الابدية لما وجد لزوم الى العهد الثاني ولكن لم يحصل من العهد الاول هذه البركات فكان من الضروري وجود عهد النعمة وقلنا ان عند المسلمين العهد الاول عهد الاعمال ومن سوء الحظ لا يوجد عندهم عهد النعمة عهد الخلاص اما من جهة كمال الشريعة فالرسول بولس كثيرًا ما يحض على مطالعة الكتب المقدسة وهي كتب موسى والانبياء ويقول انها اعظم واسطة في الخلاص ونوال الحياة الابدية فلا يعقل انه يذم ما يتعبد به

(١٠٣) قال يعلم من مرقص ١٦ : ٢ ان النساء اتينَ الى القبر اذ طلعت الشمس ومن يوحنا ٢٠ : ١ بان الظلام كان باقيًا وكانت الامرأة واحدة قلنا هاك عبارة البشير مرقص وهي وباكرًا جدًا في اول الاسبوع اتينَ الى القبر اذ طلعت الشمس وعبارة البشير يوحنا هي وفي اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرًا والظلام باقٍ فيوحنا الرسولي قال ان مريم المجدلية ومن كان معها اتينَ اولاً لما كان الظلام باقيًا اي في الفجر والبشير مرقص قال اتت النساء باكرًا جدًا فاذا فهم المعترض من ذلك اختلاف الوقت قلنا لا تناقض لاختلاف الموضوع ففي محل قال مريم المجدلية وفي محل آخر النساء فتكون مريم المجدلية سبقت غيرها بل لو فرضنا ان الموضوع متحد اي ان الامرأة هي

واحدة في الموضعين لقلنا ان عبارة مرقص لا تفيد ان الشمس طلعت بل عند طلوع الشمس فالعبارة تحتمل قبل طلوع الشمس ومما يؤيد هذا قوله باكرًا جدًا وورد في الكتاب المقدس مثل هذه العبارة للدلالة على الفجر قبل شروق الشمس فورد في مز ١٠٤ : ٢١ و ٢٢ بانه عند شروق الشمس تجتمع الاشبال وتربض في ماويها ولا يخفى ان الحيوانات الكاسرة لا تجتمع في مرابضها بعد شروق الشمس بل في الفجر فلا اختلاف

(١٠٤) قال العنوان الذي كتبه بيلاطس ووضعه على الصليب في الاناجيل الاربعة مختلف ففي متى ٢٧ : ٣٧ يسوع ملك اليهود وفي مرقص ١٥ : ٦ ملك اليهود وفي لوقا ٢٣ : ٣٨ هذا هو ملك اليهود وفي يوحنا ١٩ : ١٩ يسوع الناصري ملك اليهود

قلنا اجمع جميع البشيرين على ان ذكروا كلمة ملك اليهود كما هو منطوق هذه الايات لانه هو محط الفائدة وموضوع دعوى اليهود فانهم اتخذوا ذلك حجة في صلب المسيح اما كونه ناصريًا او انه سمي يسوع اي المخلص فلم يتخذوه سببًا في صلب المسيح ولكن الدعوى المهمة هي المُلك فلو ضرب احد البشيرين عنه صفحًا لساغ الاعتراض ولكنهم مساقون بروح الله ولم يكتبوا ما كتبوه الا بالوحي الالهي الذي عصمهم عن الخطإ والغلط وهداهم الى ما يجب ان يقولوه ويبلّغوه وقد كان اول معترض بهذا الاعتراض شخص من الكفرة الملحدين اسمه (بين) وهو اميركي مؤلف كتاب حقوق الانسان فردّ عليه احد العلماء قائلاً ان الخلاف الموجود في الاناجيل هو لفظي ناشيء عن كتابة هذا العنوان بجملة لغات فانهُ كان مكتوبًا كما قال الرسل باللغة العبرية واليونانية واللاتينية ومع ان معناها واحد الاّ ان الترجمة لا تسلم من الاختلاف اللفظي وقال هذا المحقق لهذا المعترض اذا فرضنا ان المقادير قضت عليك بان شنقك (روبسبيار)

وكتب فوق المشنقة باللغات الفرنساوية والانكليزية والالمانية هذا العنوان وهوا ثوماس بين الاميركي مؤلف حقوق الانسان) وشاهد اربعة اشخاص انفاذ الحكم بالاعدام ورووا هذه الحادثة وكتبوا ملخص تاريخك بعد وفاتك بعشرين سنة وقال احدهم ان (ثوماس) شنق وكان عنوان المشنقة (هذا هو ثوماس بين مؤلف حقوق الانسان) وقال الثاني كان عنوانها (مؤلف حقوق الانسان) وقال الثالث كان عنوانها (هذا هو مؤلف حقوق الانسان) وقال الرابع كان عنوانها (ثوماس بين الاميركي مؤلف حقوق الانسان) فهل يرتاب من أُوتي ذرّة من العقل والفهم في صحة تأليفهم لتاريخك لا نظن ذلك فكذلك الحال هنا فان المولى سبحانه وتعالى يخاطبنا حسب الطرق المصطلح عليها بين الناس ومن هنا يتضح ان دأب المعترض نقل اعتراضات الكفرة المكذبين للحق اليقين وغض الطرف عن ردود العلماء عليها من شدة تعنته

(١٠٥) قال يعلم من مر ٦ : ١٧ ان هيرودس كان يعتقد في حق يوحنا الصلاح وكان راضياً عنهُ ويسمع وعظه ولم يفتك بهِ الأ لارضاء هيروديا ويعلم من لوقا ٣ : ١٩ انهُ لم يظلم يوحنا لارضاء هيروديا بل لارضاء نفسهِ لانهُ لم يكن راضياً عن الشرور التي كان يفعلها قلنا لما كان دأب المعترض تحريف الكلم عن مواضعه لنورد عبارات الأصل فورد في مر ٦ : ١٧ لان هيرودس نفسه كان قد ارسل وامسك يوحنا واوثقهُ في السجن من اجل هيروديا امرأة فيلبس اخيه اذ كان قد تزوّج بها لان يوحنا كان يقول لهيرودس لا يحل لك ان تكون لك امرأة اخيك فحنقت هيروديا وارادت ان تقتلهُ فلم تقدر ولكنها في يوم مولد هيرودس رقصت فانشرح ووعد ان يعطيها كلما طلبت فاغرتها والدتها على ان تطلب رأس يوحنا وعبارة لوقا ٣ : ١٩ اما هيرودس فاذ توبخ من يوحنا لسبب هيروديا امرأة فيلبس اخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها زاد هذا ايضاً على الجميع انه حبس يوحنا في السجن

قد كنا عازمين على ان نضرب صفحاً عن هذا الاعتراض الساقط لان توضيح

البديهيات من المشكلات ولكن نقول انه من شدة تعنت المعترض جعل هيرودس من السامعين لاقوال الوعظ ومن المعتبرين للانبياء وكاد ان يجعلهُ في درجة الاولياء مع ان كلاً من البشيرين شاهد بفسقهِ وان يوحنا كان اعظم منغص له على لذتهِ لانهُ كان يوضح لهُ عدم جواز اخذ امرأة اخيه اما تظاهره براعاة يوحنا فقال الحواريون انهُ كان يخشى ان الامة تحدث فتنة لانهُ كان ليوحنا منزلة عظيمة من الاعتبار في افئدتهم فتظاهره باعتباره هو مراوغة ومخاتلة او كما يقولون سياسة وقد قال المسيح عنهُ (قولوا لهذا الثعلب) فشبهه بالثعلب في روغانه وخداعه ولو كان يعتبر يوحنا ويسمع لهُ كما قال المعترض لكان يقلع عن الفسق ولما كان يقدم على قتله

قال المؤرخ يوسيفوس بانهُ اخذ هيروديا لما كان مسافرًا الى رومة وبيان ذلك انهُ نزل في بيت اخيه فعشق امرأته واتفق معها على ان يترك زوجته ابنة ارتياس ملك (بترية) واتفقت هيروديا معهُ على ترك قرينها فيظهر من هذا انهُ كان عائشًا معها في الفسق فاظهر يوحنا بسالة في زجره وتوبيخه واجمع المؤرخون على انهُ كان منغمسًا في الشرور والفجور ومنهمكًا في الملاهي والخلاعة ولم يكترث بشؤون المملكة

(١٠٦) (مت ١٠ : ٢ — ٤ ومر ٣ : ١٦ — ١٩ ولوقا ٦ : ١٣ — ١٦) ان متى ومرقص ولوقا اتفقوا في اسماء احدى عشر من الحواريين اعني بطرس واندراوس ويعقوب ابن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرتولوماوس ومتى ويعقوب بن حلفي وسمعان ويهوذا الاسخريوطي واختلفوا في اسم الثاني عشر قال متى لباوس الملقب بتداوس وقال مرقص تداوس وقال لوقا يهوذا اخو يعقوب قلنا ان قوله لباوس الملقب تداوس هو ذات يوداس ويوداس هو يهوذا كما هو ظاهر في اللفظ فلا تناقض

(١٠٧) قال ورد في مت ٩ : ٩ ان الذي دعاهُ المسيح عند مكان الجباية هو متى وورد في مر ٢ : ١٤ بان اسمه لاوي بن حلفي وورد في لوقا ٥ : ٢٧ ان اسمه لاوي

قلنا ان القرائن المعينة التي ذكرها كل منهم تدل على ان الشخص واحد فكل منهم ذكر وظيفته المشهور بها وقال انهُ كان جالسًا عند مكان الجباية وان

المسيح دعاهُ الى اتباعه واختارهُ ليكون من الحواريين فترك كل شيءٍ وتبعهُ (ثانياً) كثيرًا ما يسمى الشخص باسمين فبطرس يسمى سمعان ويسمى صفا وتقدم ان ابا بكر غيّر اسمهُ عند اتباعه محمدًا والمعهود بيننا لغاية الآن انهُ اذا انتقل الانسان من حالة الى اخرى غيّر اسمهُ اشارة الى رفض الحالة السابقة باذيالها واطرافها (ثالثاً) اقتصار بعض الحواريين على ذكر اسمه بدون ذكر اسم ابيه اكتفاءً بالقرينة المعينة للمراد وهو ذكر صناعته وظروفه الخصوصية وهي قولهُ انهُ كان جالساً عند مكان الجباية ثم ان حلفى ابا يعقوب هو غير والد لاوي

(١٠٨) قال ورد في مت ١٦ : ١٨ وانا اقول لك ايضاً انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحلهُ على الارض يكون محلولاً في السموات وفي آية ٢٣ قال لهُ المسيح اذهب عني يا شيطان انت معثرة لي لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس وادعى ان البروتستانت ذموهُ وان من كان بهذه الصفات لا يكون مالكاً لمفاتيح السموات

قلنا ان المسيح عيّن الحواريين ليكونوا دعاة وهداة الامة الاسرائيلية وخوّلهم قوّة على عمل المعجزات الباهرة من شفاء المرضى واقامة الموتى وأمرهم ان يبشروا الورى قاطبة ويهدوهم الى الحيوة الابدية وان يقبلوا في الكنيسة المنظورة من يرون مناسبة قبوله وان يرفضوا من يستوجب الرفض ولما كان بطرس وغيره من الرسل السبب في هداية النفوس قال لهُ اعطيك مفاتيح ملكوت السموات اي الكنيسة وهي استعارة لطيفة فانهُ لما كانت الضلالة من اعظم العوائق والموانع للناس عن الانضمام الى الكنيسة وعن التمتع بالنعيم في السماء وكان التعليم والارشاد اعظم واسطة في الهداية والدخول في السماء وكان اوّل من قام بذلك بطرس الرسول فانهُ اوّل من كرز لليهود حتى آمن على

يده خمسة آلاف نفر في يوم واحد قال لهُ اعطيك مفاتيح السماء وورد في المصباح الصلاة مفتاحها الطهور استعارة لطيفة وذلك أن الحدث لما منع من الصلاة شبههُ بالغلاق المانع من الدخول الى الدار ونحوها . والطهور لما رفع الحدث المانع وكان سبب الاقدام على الصلاة شبهه بالمفتاح انتهى وايضاً ان قولهُ اعطيك مفاتيح استعارة مأخوذة عن العادة التي كانت جارية عند اليهود وذلك فانهُ اذا نبغ احد رجالهم في العلم والمعرفة اعطوهُ مفتاح خزانة الكتب في الهيكل ولوح كتابة اشارة الى اجازتهم لهُ التعليم وتفسير الكتب المقدسة والافتاء فاستعار المسيح المفاتيح اشارة الى انهُ سيكون من اعظم الائمة الذين يهتدي بهم وفي بلاد الانكليز اذا قلدوا شخصاً لورد شامبرلين اعطوهُ مفتاح فضة وكان المفتاح عند اليونان علامة الرتبة الكهنوتية فكان الكاهن يعلق مفتاحاً على كتفهِ واعطاء الانسان المفتاح علامة على ان المعطي يثق بالشخص الذي قلدهُ هذا المفتاح ويعتمد عليهِ وورد في اشعيا ٢٢ : ٢٢ قوله واجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح وليس من يغلق ويغلق وليس من يفتح فاعطاء بطرس مفتاح ملكوت السموات هو تخويلهُ سلطة لتوطيدها وحفظها وقد تم هذا كما في سفر اعمال الرسل

لا يخفى ان الهادي الحقيقي هو الله وانما جعلت الانبياء والحواريون واسطة في الهداية فهي استعارة لطيفة وهي احسن من قول محمد اوتيت مفاتيح خزائن الارض فنظر الى الارضيات بخلاف قول المسيح فانهُ نظر الي الاشياء الروحية السموية ومعنى قول نبيهم اوتيت مفاتيح خزائن الارض اراد ما سهل الله لهُ من افتتاح البلاد المتعذرات واستخراج الكنوز الممتنعات وورد في الحديث ايضاً قوله اوتيت مفاتيح الكلم وفي رواية مفاتح وهي جمع مفتاح وهي في الاصل مما يتوصل بهِ الى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول اليها فقال انهُ اوتي مفاتيح الكلام وهو مما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول الى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن الكلام والالفاظ التي غلقت على غيره وتعذرت عليهِ ومن كان

في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول اليه ومما يحسن ايراده قولهم للقاضي الفتاح لانهُ يفتح مواضع الحق واهل اليمن يقولون للقاضي الفتاح لانهُ يفتح مواضع الحق وفي القرآن هو الفتاح العليم يعني هو الذي يفتح ابواب الرزق والرحمة لعباده

وقوله ملكوت السموات اي الكنيسة وقوله لن تقوى عليها ابواب الجحيم اي لا يقدر احد ان يمسها بضرر لان المولى سبحانه وتعالى يكلأُها بعنايتهِ اما زجر المسيح لبطرس بقوله يا شيطان يعني ان هذا القول هو من وسوسة الشيطان فانهُ لما كان المسيح يتكلم على وجوب موته قال لهُ بطرس حاشاك يا رب ولم يدرِ ان خلاص الورى متوقف على صلبهِ وموتهِ فكانت مقاومته من وسوسة الشيطان الذي لا يريد الخير لاحد

وورد في القرآن زجر كثير لمحمد كما تقدم فورد في سورة الاعراف قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وورد قوله لئن اشركت ليحبطنَّ عملك ولتكونَنَّ من الخاسرين وورد قوله يا ايها النبي اتقِ الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وتقدم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرَّة وفي رواية مائة مرَّة ومحمد قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم اي يتسلط عليهِ فيوسوس لهُ وفي الحديث الراكب شيطان والراكبان شيطانان. والثلاثة ركب يعني ان الانفراد والذهاب في الارض على سبيل الوحدة من فعل الشيطان او شيء يحملهُ عليهِ الشيطان وهو حث على اجتماع الرُفقة

فينتج مما تقدم ان بطرس هو من كبار الحواريين وانما هو بشريٌّ قابل للسقوط الاَّ في التعليم والالهام ولا سيما بعد حلول الروح القدس

(١٠٩) ورد في لوقا ٩ : ٥٤ — ٥٦ بان يعقوب ويوحنا استاذنا المسيح بان يأمر بانزال نار من السماء لاحراق قرية في السامرة فقال لهما لستما تعلمان من اي روح انتما لان ابن الانسان لم يات ليهلك انفس الناس بل ليخلص وورد في ١٢ : ٤٩ جئت لأُلقي نارًا على الارض فماذا اريد لو اضطرمت

قلنا مراد المسيح بقوله أُلقي نارًا على الارض انهُ لا يوجد وئام ولا التئام بين القداسة والنجاسة ولا بين الصلاح والطلاح فالكفاح مستمر بين الحق

والباطل الى ان ينتصر الحق وسببه انحراف الطبيعة البشرية وميلها الى الفساد وبما ان تعاليم المسيح مبنية على الصدق وامور اهل العالم كلها ضلال وتضليل وشر وفساد كان لا بد من اضرام نيران هذا الكفاح الى ان يغلب الحقُّ الباطلَ فلو اتى المسيح بما يلائم الطبيعة البشرية الفاسدة ووافق الناس على شرورهم وداراهم لوُجد سلام بينهُ وبينهم ولكن حاشاهُ من ذلك وليس المراد بالكفاح ان ديانته تقوم بالسيف حاشا وكلاَّ بل الكفاح هو ادبي روحي بين الفضيلة والرذيلة فان المسيح قال ان ملكوته روحية واسلحتها روحية والحاصل ان ديانته لا تقوم بالسيف ولا بالبنادق والمدافع ولا تخريب المدن والممالك بل تقوم بالمحبة والسلام والكفاح الروحي بين النور والظلمة

(١١٠) قال اختلف الحواريون في رواية خبر الصوت الذي سمع من السماء وقت نزول الروح القدس على المسيح فقال متى ٣ : ١٧ هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت وقال مرقص ١ . ١١ انت ابني الحبيب الذي بهِ سررت وقال لوقا ٣ : ٢٢ انت ابني الحبيب بك سررت قلنا ان المعنى واحد والالفاظ ايضاً واحدة وانما في بعضها الالتفات وهو الانتقال من المخاطب الى الغائب وفي القرآن قال عن الله يحيي ويميت وفي محل آخر نحيي ونميت وهو كثير حتى في ذات السورة الاولى

(١١١) قال ورد في مت ٢٠ : ٢٠ ان ابني زبدي طلبت من المسيح ان يجلس ابنيها واحداً عن يمينه والآخر عن يسارهِ في ملكوتهِ وفي مرقص ١٠ : ٣٥ ان ابني زبدي طلبا هذا الطلب

قلنا من القواعد المقرَّرة المرعية ان من فعل شيئاً بواسطة غيره نسب اليهِ فعلهُ فابناها طلبا هذا الطلب بواسطة والدتهما فنسب اليهما او يحتمل ان والدتهما طلبت هذا الطلب اولاً ومن شدة تشوقهما للحصول عليهِ اعاداهُ ثانية بانفسهما فذكر متى طلب الوالدة وذكر مرقص طلبهما وكثيراً ما ينسب الى الانسان فعل شيءٍ مجازاً ويكون الفاعل الحقيقي غيره ولكنهُ لما كان هو الآمر بهِ او

الطالب لهُ او السبب فيهِ نسب اليهِ ذلك الفعل كقولهم عقد الملك معاهدة مع المملكة الفلانية والذي ابرم المعاهدة حقيقة هم رجال دولتهِ وانما نسب اليهِ الفعل لانهُ هو الآمر او الراغب وكقول القرآن يا هامانُ ابنِ صرحاً والبناء فعل العملة حقيقة ومع ذلك فينسب الفعل الى من يكون السبب الاصلي فيهِ مجازاً عقلياً

(١١٢) قال ورد في مت ٢١ : ١٩ ان المسيح نظر شجرة تين على الطريق وجاء اليها فلم يجد فيها شيئاً الا ورقاً فقط فقال لها لا يكن منكِ ثمر الى الابد فيبست التينة في الحال فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة في الحال وورد في مرقص ١١ : ١٣ فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعلهُ يجد فيها شيئاً فلما جاء اليها لم يجد شيئاً الا ورقاً لانهُ لم يكن وقت التين فاجاب يسوع وقال لها لا يأكل احد منكِ ثمراً بعد الى الابد وكان تلاميذه يسمعون وجاؤُا الى اورشليم وفي آية ٢٠ وفي الصباح اذ كانوا مجتازين رأَوا التينة قد يبست من الاصول فتذكر بطرس وقال لهُ يا سيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست فقال المعترض في العبارتين اختلاف وفضلاً عن ذلك فليس للمسيح حق ان يأكل من شجرة التين من غير اذن مالكها ولم يكن من المعقول ان يدعو عليها فيوجب الضرر على مالكها وانهُ يغضب عليها لعدم الثمرة في غير اوانها

قلنا ان هذه الشجرة لم تكن ملكاً خصوصياً لاحد بل كانت لعموم الناس فكان مباحاً لابناء السبيل ان يأكلوا منها بلا ممانع ولا معارض فكان للمسيح حق ان يأكل منها ولما كان عليها ورق اخضر اتخذ ذلك علامة على وجود الثمر فان التين في ارض فلسطين يثمر بظهور الورق واحياناً تطلع الثمار قبل النضج العام بأيام كثيرة وهو المعروف عند العامة في الشام بالديفور وقولهُ ولم يكن وقت التين اي وقت جنيه العمومي وكان يجب ان لا تكون فيها اوراق خضرة ولكن قد وجدت هذه الاوراق الخضرة ولم يكن فيها ثمر فج ولا ناضج ولا امارات تدل على انها تثمر فهي عقيم وهي تشير الى المرائي الذي يتظاهر

بالتقوى وهو مجرَّد منها فعليهِ سمة القداسة وقلبهُ ملئان بالنجاسة بل هي تشير الى الأُمة اليهودية التي خصها المولى سبحانه وتعالى بالنواميس والشرائع والانبياء ومع ذلك فكانت مجرَّدة من الايمان والمحبة والتواضع ورفضت المسيح ولم تذعن لاوامره ولم تأتِ بثمر بل ارتكنت على انها شعب الله فلهذا خاطب المسيح الشجرة ونزَّلها منزلة العاقل المدرك فقال لها لا يكن فيكِ ثمر ليعلم الناس ان المدار كلهُ على الثمر وهي نبوَّة على مستقبل الامة اليهودية وانذار للناس في كل عصر بانهم ان لم يأتوا باثمار القداسة والتقوى حلت بهم دينونة الله العادلة و بيبست في الحال اشارة الى خراب مدينة اورشليم وعقاب الأُمة اليهودية وقد كانت آيات المسيح كلها مبنية على الرحمة ولكنهُ علم تلاميذهُ مع انهُ رحيم الاَّ انهُ شديد العقاب فعلَّمهم مثال الدينونة بألطف اشارة وقد سخَّر المولى سبحانه وتعالى المخلوقات للانسان فسخر الحيوانات والنباتات والمعادن لهُ فيستعين بها لقضاء حاجاته ويتخذها مثالاً للتعليم وللمسيح الحق ان يتصرَّف في ملكه كيف يشاء على اننا قلنا ان غايته التأديب لا التخريب فليس كالذين احرقوا كتب خانات اسكندرية الشهيرة فلم يتعرَّض لملك احد بضرر واستخرج تعاليم من العقيم

قال وعلم من هذا انهُ ما كان إلهًا والاَّ لعلم ان الثمرة ليست فيها قلنا ان المسيح لم يكن جاهلاً بأمر هذه الشجرة كيف لا وهو الذي كان يعرف خفايا كل انسان حتى اخبر الامرأة السامرية بكل ما فعلت وغيرها ولكنهُ تصرَّف بهذه الكيفية ليعرف الرسل بانفسهم عدم وجود ثمرة فيها وحينئذٍ تظهر لهم قوَّة المعجزة على اننا نقول لهُ هل كان الله جاهلاً لما استفهم من موسى عن العصا التي في يده بقوله وما تلك بيمينك يا موسى قلنا حاشا بل انهُ تكلم كما يتكلم الانسان في مثل هذه الاحوال او لاظهار المعجز الذي لم يكن موسى يعلمه

(١١٣) قال ورد في مت ٢١ : ٤١ من بعد بيان مثل غارس الكرم فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا لهُ اولئك الاردياء يهلكهم هلاكاً رديًّا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار في اوقاتها وفي لوقا ٢٠ : ١٥و١٦ بعد بيان المثل قال فماذا يفعل بهم صاحب الكرم يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين فلما سمعوا قالوا حاشا ففي العبارتين اختلاف لان الأُولى مصرَّحة بانهم قالوا انهُ يهلكهم شرَّ اهلاك والثانية مصرحة انهم انكروا ذلك

قلنا ان المسيح اوضح لهم بانهم استوجبوا دينونة الله العادلة بان اورد لهم مقدمات مسلمة على سبيل المثال فقال انسان غرس كرماً واحاطهُ بسياج وسلمهُ للكرامين وسافر ولما قرب وقت الاثمار ارسل عبيدهُ الى الكرامين ليأخذ اثماره فجلدوا بعض عبيده ورجموا البعض الآخر وارسل اليهم ثانية ففعلوا بهم كذلك واخيراً ارسل ابنهُ فقتلوهُ فماذا يفعل بهم صاحب الكرم فقالوا يهلكهم ويسلم الكرم لغيرهم فالبشير متى قال ان ائمة الأُمة اليهودية شهدوا على انفسهم بأنهم استوجبوا العقاب لعنادهم ولقتلهم الانبياء كما يشهد القرآن وارفضهم الكلمة الازلية ابنهُ الحبيب مع انهُ كان الواجب عليهم ان يأتوا باثمار القداسة لان المولى سبحانه وتعالى خصهم براحمهِ وفضلهم على العالمين فلما اورد المسيح لهم المقدمات المنطقية لم يسعهم سوى التسليم بصدق النتيجة ففي متى ذكر كلامهم وهو النتيجة الطبيعية لذات المقدمات اما في لوقا فذكر النتيجة مع المقدمات وهو المعروف في المنطق بمتصل النتائج وسمي بذلك لوصل نتائجه بمقدماتهِ نحو كل انسان حيوان وكل حيوان حساس فكل انسان حساس وكل حساس نام وكل انسان نام وفي المحلين سلم ائمة اليهود بهذه النتيجة الطبيعية وفي لوقا قال فلما سمعوا اي لما فهموا ان هذا الكلام هو عليهم قالوا حاشا والنفي هنا ليس متسلطًا على النتيجة لانها طبيعية بل النفي متسلط على تطبيق هذه المقدمات

والنتيجة عليهم وحاولوا تبرئة انفسهم مما نسب اليهم من قتل الانبياء ورفضهم

(١١٤) قال من طالع قصة الامرأة التي افرغت قارورة الطيب على المسيح في مت ٢٦ : ٧ — ١٣ وفي مر ١٤ : ٣ — ٩ وفي يوحنا ١٢ : ٣ — ٨ وجد فيها اختلافاً من ستة وجوه الاوّل ان مرقص صرّح بان هذا الامر كان قبل الفصح بيومين وقال يوحنا كان قبل الفصح بستة ايام

قلنا لا يؤخذ من كلام مرقص انهُ حصلت هذه الحادثة قبل الفصح بيومين فقال كل من متى ومرقص ما نصهُ لما اكمل يسوع هذه الاقوال كلها قال لتلاميذه تعلمون انهُ بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب ثم ذكر اجتماع رؤساء الكهنة ومداولتهم في كيفية قتلهِ وغير ذلك ثم ذكر قصة سكب الامرأة قارورة الطيب ولم يقل الرسول متى ولا الرسول مرقص ان هذه الحادثة حصلت قبل الصفح يومين ولا بستة ايام وانما قالا انهُ قبل الفصح بيومين عقد ائمة اليهود مجلساً للمداولة والمشاورة في كيفية قتل المسيح ثم ذكرا قصة قارورة الطيب وتوصلا بها الى ذكر يهوذا الاسخريوطي لانهُ ربما كانت حادثة سكب قارورة الطيب من الاسباب التي حملتهُ على تسليم سيده وكذلك لا يؤخذ من عبارة يوحنا انهُ قبل الفصح بستة ايام حصلت هذه الحادثة فانهُ قال قبل الفصح بستة ايام اتى يسوع الى بيت عنيا فصنعوا لهُ وليمة الى آخره فهذه العبارة تفيد انهُ اتى الى بيت عنيا قبل الفصح بستة ايام فيحتمل ان الوليمة اتخذت لهُ بعد ان اقام في تلك الجهة برهة وعلى كل حال فلا يصدق على هذه الاقوال تعريف التناقض المتقدم

قال الثاني ان متى ومرقص جعلا هذه الحادثة في بيت سمعان الابرص ويوحنا جعلها في بيت مريم قلنا ان يوحنا الرسول لم يجعلها في بيت مريم وهاك نص عبارته اتخذت لهُ وليمة في جهة بيت عنيا فاتت مريم اخت لعازر اعترافاً

بما فعله المسيح معها من الجميل لانه كان اقام اخاها من الاموات فقوله انت مريم يدل على انه لم يكن في بيتها وثانياً قوله ان لعازر كان حاضراً في هذه الوليمة يدل على انه لم يكن في بيته وهو بيت مريم اخته وثالثاً ان قوله مرتا كانت تخدم يدل على انه لم يكن في بيتها فيتعين انه كان في بيت سمعان الابرص

قال الثالث ان متى ومرقص قالا انها سكبت الطيب على الرأس ويوحنا جعل ذلك على القدمين قلنا كانت عادة اليهود ان يسكبوا الطيب على الرأس او الشعر فاقتصر متى ومرقص على ذكر هذه العادة اما يوحنا الرسول فضرب عنها صفحاً اعتماداً على معرفة الناس لها وذكر مسح القدمين لغرابته ولدلالته على تواضعها وعلى منزلة المسيح الرفيعة عندها فبعد ان دهنت راسهُ دهنت قدميه ومسحتهما بشعرها

قال الرابع ان مرقص قال ان المعترضين كانوا اناساً من الحاضرين ومتى قال انهم كانوا من التلاميذ ويوحنا قال ان المعترض كان يهوذا قلنا ان قولهُ (اناساً من الحاضرين) تشمل التلاميذ لانه جنس عام وكلمة التلاميذ تشمل يهوذا لانه كان واحداً منهم فعلى هذا يكون يهوذا من الحاضرين وواحداً من التلاميذ وحينئذٍ فلا تناقض مطلقاً فاذا اريد بكلمة التلاميذ يهوذا خاصة يكون من اطلاق الجمع على الواحد واذا أريد الجمع حقيقة قلنا لا مانع من ان يكون بعض التلاميذ اشتركوا مع يهوذا في التذمر على الامرأة عن خلوص نية وظنوا انها اتت شيئاً غير مناسب اما تذمر يهوذا فكان عن سوء نية لان الكتاب يشهد على شراهتهِ ونهمتهِ وانه كان سارقاً

قال الخامس ان يوحنا قال ان ثمن الطيب ثلث مئة دينار ومرقص قال انه اكثر من ثلث مئة دينار ومتى قال بثمن كثير قلنا ان مرقص قال ان قوماً

قالوا انه كان يمكن ان يباع باكثر من ٣٠٠ دينار و يوحنا قال ان يهوذا قال انه يباع بثلثمائة دينار وعلى كل حال فلا تناقض لاختلاف الموضوع ففي محل خصص يهوذا وفي محل آخر نقل مقول غيره ولا يخفى ان هذا الثمن هو تقريبي وكثيرًا ما يعبر الانسان عن الشيء الزائد على ٣٠٠ بقوله ثلثمائة والزائد على ٢٠٠ بمائتين اكتفاء بعدد المئات الكاملة وحذف الزائد عليها كما هو الشائع في الاصطلاح الجاري وعلى هذا جرى يوحنا الرسول

قال المعترض السادس انهم اختلفوا في نقل قول المسيح قلنا لو وجد اختلاف لذكره وانما جرت عادته انه لما لم يجد شيئًا يعترض عليه يضرب عنه صفحًا وعلى كل حال فعبارات الانجيليين لا تنطبق على تعريف التناقض المتقدم ونقل المعترض هذه الاعتراضات من كتب المسيحيين وتعامى عن الرد عليها كعادته

(١١٥) قال من قابل بين لو ٢٢ : ١٧ بما ورد في مت ٢٦ : ٢٨ ومرقص ١٤ : ٢٢ و٢٣ في بيان وضع العشاء الرباني وجد اختلافين الاول ان لوقا ذكر كاسين واحدة على العشاء والاخرى بعده ومتى ومرقص ذكرا واحدة قلنا يلزم قبل الرد عليه ان نوضح عيد الفصح فنقول ان اليهود كانوا يحتفلون بهذا العيد تذكارًا لعتقهم من ذل المصريين وتذكارًا لنجاة ابكارهم من الموت وهلاك ابكار المصريين ولما كان من الاعياد الجليلة كانت مدة احتفالهم به سبعة ايام من ١٥ ابيب العبري الى ٢١ منه الموافق شهر ابريل وكانوا يأكلون فيه فطيرًا كما في سفر الخروج (١٢ : ٨ ولا ٢٣ : ٦) وفي اليوم الرابع عشر كانوا يزيلون الفطير وفي اليوم العاشر كان يأخذ كل رئيس عائلة خروفًا حوليًا (خر ١٢ : ١ — ٦) وفي اليوم الرابع عشر يذبحه امام المذبح ولما كان بنو اسرائيل في مصر كانوا يرشون دم هذا الخروف على العتبة فاذا رأى الملاك الدم كان لا يمس البيت بضرر (خر ١٢ : ٧) ولما خرجوا من مصر كانوا يرشون الدم امام المذبح وكانوا يشوون هذا الخروف و يضعون فيه سيخًا على طوله وسيخًا على عرضه على هيئة صليب ولا يكسرون عظمًا من عظامه وهو اشارة الى المسيح يو ١٩ : ٣٦ ا كو ٥ : ٧ وكيفية احتفالهم به ان يقدموا الشكر للمولى سبحانه وتعالى ثم يشربون كاس نبيذ ممزوجًا بماء وهي كانت اوّل كاس وبعد ذلك كانوا يغسلون ايديهم ثم يشكرون

المولى ثم يضعون على الخوان سلطة مرَّة والفطير والخروف ومرقة من بلح وتين وزبيب ثم يأخذون قليلاً من السلطة ويقدمون شكراً لله ثم ياكلونها ويرفعون الصحون ويضعون امام كل من الحاضرين كاس نبيذ كما فعلوا في اول الامر وسبب رفع الصحون هو حمل الاولاد على الاستفهام عن سبب هذا فيشرع رئيس العائلة في توضيح ما قاساهُ اليهود في مصر من الذل والعبودية وكيفية انقاذهم واسباب وضع عيد الفصح ثم يؤتى بالصحون ثانية ويقول هذا هو الفصح الذي نأ كلهُ لان الرب عبر على بيوت ابائنا في مصر ثم يمسك السلطة ويقول انها تشير الى مرارة الذل ويمسك الفطير ويقول انهُ يشير الى سرعة ارتحالنا من مصر ثم يغسلون ايديهم ويأكلون ويقرأ مزمور ١٣ اومزمور ١٤ او ١١٤ ثم يشربون ما يكون امامهم وهي الكاس الثانية ثم يغسلون ايديهم ثانية ويأكلون الطعام بالرسوم الاعتيادية ثم يغسلون ايديهم ويشربون كاساً اخرى تسمى كاس البركة لان رئيس الجالسين يقدم الشكر للمولى وكانوا يشربون كاساً اخرى قبل انصرافهم تسمى كاس التهليل لانهم كانوا يرتلون مز ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ وقد حافظ المسيح على هذه الرسوم لانها كانت تشير اليهِ وحيث اتى المرموز اليهِ تمت الغاية المقصودة منها

وقد رسم المسيح العشاء الرباني بعد العشاء المتقدم ذكره تذكاراً لموتهِ لانهُ هو فصحنا وبهِ تحررنا من عبودية ابليس التي هي اشد من عبودية فرعون في مصر فوضع العشاء الرباني تذكاراً للخلاص الذي صنعهُ لنا ولعتقنا من عبودية ابليس وليشدد عزائمنا وقت التجارب والمصائب وكيفية رسم المسيح للعشاء الرباني هو انهُ اخذ خبزاً وبارك وكسَّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي فالخبز هو بمنزلة خروف الفصح فكما ان الخروف كان يشير الى خلاص الاسرائيليين من العبودية فكذلك الخبز يشير الى جسد المسيح الذي كسر لاجلنا على خشبة الصليب وكما ان المولى سبحانهُ وتعالى منحنا الخبز لتقويم حياتنا فمن مجرَّد نعمتهِ ورحمتهِ ومحبتهِ اعطانا جسدهُ لانقاذ انفسنا للحيوة الابدية وكما انهُ يلزم لتغذية الانسان من الخبز ان يكسرهُ ويمضغهُ فكذلك لزم بذل جسده ليصير خبزاً لحيوة انفسنا وكما ان حياتنا تتعلق على الخبز الذي أعدهُ الله من كرمهِ وجودهِ ولطفهِ

لاجسادنا فكذلك حياتنا الابدية متوقفة على ذبيحة جسد المسيح على خشبة الصليب وكان بنو اسرائيل يسفكون دم خروف بلا عيب امام المذبح فاشار المسيح الى هذه الذبيحة بقوله هذا هو جسدي الذي يبذل لاجلكم وهو هبة مجانية وكذلك اخذ الكاس وشكر واعطى تلاميذه وقال هذا هو دمي يعني انهُ يشير الى سفك دمهِ لانهُ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة فهذا هو ترتيب فصح اليهود ورسم العشاء الرّباني

قال المعترض ان لوقا ذكر كاسين ومتى ومرقص ذكرا واحدة قلنا ان متى ومرقص ذكرا الكاس المختصة بالعشاء الرّباني لانها هي المقصودة بالذات بخلاف غيرها فانهُ ليس مقصوداً بالذات ولان اليهود كانوا يعرفون رسم الفصح من رجالهم الى اطفالهم لانهُ مدوّن في شريعة موسى بالتفصيل في سفر الخروج وفي سفر اللاويين ايضاً اما لوقا فاشار الى الكاس التي كانت تؤخذ قبل العشاء ثم ذكر الكاس التي اشار بها الى سفك دمهِ وبهذا يظهر بطلان اعتراضات المعترض

قال الاختلاف الثاني ان رواية لوقا تفيد ان جسد المسيح مبذول عن التلاميذ ورواية مرقص تفيد ان دمهُ يراق عن كثيرين ورواية متى تفيد ان جسده غير مبذول قلنا من تأمل فيما ورد في مت ٢٦ : ٢٦ – ٢٨ وفي مرقص ١٤ : ٢٢ – ٢٤ وفي لوقا ٢٢ : ١٩ و ٢٠ وجد ان العبارات كلها واحدة لا اختلاف ولا تناقض فيها مطلقاً بأي وجه كان وقول المسيح هذه الكاس اي الخمر الذي فيها فهو من اطلاق المحل على الحال فيهِ مثل قوله فليدعُ ناديه فالكاس تشير الى دم المسيح للعهد الجديد تمييزًا لهُ عن العهد القديم الذي صنعهُ الله مع اليهود بسفك دم الذبائح (خرو ٢٤ : ٨) فانه كان يأخذ الدم ويرشهُ على الشعب ويقول هوذا دم العهد الذي عقدهُ الله معكم واخذت الامم القديمة

ذلك في عهودهم فكانوا اذا عقدوا عهدًا ايدوهُ بذبح حيوان وسفك دمهِ وكانوا يقسمون ويحلفون بان من نكثهُ يحل بهِ وباولاده وبزوجته مثل ما حل بهذا الحيوان واشار هومير الشاعر اليوناني الى ابرام عهد بين اليونان وبين طراجان بهذه الصورة وسمى الانبياء مخلصنا بذبيحة العهد فدم المسيح هو دم العهد الجديد لان بواسطة دمه تصالح الناس مع الله وكان العهد القديم يقوم بسفك دماء حيوانات ولكنها لم تكن كافية للخلاص بخلاف دم المسيح فانهُ كافٍ لمغفرة الخطايا لانهُ حيوة المسيح فان الدم هو كرسي الحيوة فقولهُ دمهُ يسفك عن كثيرين هو بمنزلة حياتهِ فهو من اطلاق الجزء وارادة الكل واشترط علماء البيان ان يكون في الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود كاطلاق العين على الجاسوس فكذلك الحال هنا وثانيًا انهُ بذل حياته عن الخطاة او قام مقامهم فبموته يخلص كل من يؤمن بهِ فانهُ وفى للعدل الالهي حقهُ فان المولى حكم على كل خاطئ بالموت فالمسيح مات عوضًا عنهُ وبتسليم الله ابنهُ للموت دلالة على كراهيته للخطية فقول متى ومرقص ان دمهُ يسفك عن كثيرين يعني حياته كلها ولما كان الدم هو مركز الحياة اقتصرا عليهِ وقول لوقا ان جسدهُ يبذل ودمهُ يسفك هو مثل قولنا دمهُ اذ لا يعقل ان يسفك دم انسان بدون ان يبذل جسدهُ فكلما تحقق احدهما تحقق الآخر ولك ان تقول ان لوقا استعمل في كلامه دلالة المطابقة والرسولان الآخران استعملا دلالة الالتزام اما قوله ان يوحنا الانجيلي ضرب صفحًا عن هذا قلنا انهُ كتب انجيلهُ بالوحي الالهي بعد اطلاعه على الثلاثة اناجيل فلم يذكرها ولكنهُ اوضح هذه الحقيقة المهمة في رسائلهِ كما تقدم

(١١٦) ورد في مت ٧ : ١٤ اما اضيق الباب واكرب الطريق الذي يؤدي الى الحيوة

وقليلون هم الذين يجدونهُ وورد فيهِ ١١ : ٢٩ احملوا نيرى عليكم وتعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لان نيرى هين وحملي خفيف قال المعترض فيحصل ان اقتداء المسيح ليس طريقاً ليؤدي الى الحيوة

قلنا ان الديانة المسيحية هي منزهة عن الرسوم الثقيلة والفرائض الباهظة ولا تكلف نفساً فوق وسعها فيمكن للخاطئ المسكين الحصول على الخلاص الكافي وهو في مدينته فلا تكلفه السفر الى البلاد القاصية لاداء الفرائض الباطلة والرسوم النافلة لانها ديانة روحية لا تقوم بالاعمال الخارجية بخلاف الاديان الكاذبة وثانياً انها مناسبة للعقل والذمة والخلال الشريفة وثالثاً انها تقضي على الانسان بترك الخطية والشرور التي هي سبب البلايا والرزايا فهي صعبة بالنظر الى قداستها ومنافاتها للاميال البشرية الفاسدة لانها ضد الشر والخطية والفساد فالمسيحي يصلب الجسد وشهواته فالديانة المسيحية هي صعبة لمنافاتها للاميال المنحرفة ومع ذلك فهي خفيفة سهلة لان الباعث الاصلي والعامل الحقيقي فيها هو المحبة فاذا وجدت المحبة في المسيحي رأى لذة في اطاعة الاوامر والانقياد اليها وترك الخطايا بسهولة وهان على المحب كل شيء فنير المسيح هيّن وخفيف وهذا لا ينافي ان الطريق المؤدي الى الحيوة هو صعب وكرب ولا سيما على الذين فضلوا محبة العالم وانغمسوا في الرذائل

(١١٧) قال ورد في مت ٤ : ٥ ثم اخذهُ ابليس الى المدينة المقدسة واوقفهُ على جناح الهيكل وفي آية ٨ ثم اخذهُ ايضاً الى جبل عالٍ جداً وفي آية ١٢ وانصرف المسيح الى الجليل وفي آية ١٣ وترك الناصرة واتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر قال وورد في لوقا ٤ : ٥ ثم اصعدهُ ابليس الى جبل عالٍ وفي آية ٩ ثم جاء بهِ الى اورشليم واقامهُ على جناح الهيكل وفي آية ١٤ ورجع يسوع الى الجليل وفي آية ١٥ وكان يعلم في مجامعهم وفي آية ١٦ وجاء الى الناصرة حيث كان تربى انتهى كلامه وانت ترى انهُ اخذ شطراً من بعض آيات مفرقة ليغش السذج ولكن كيف يتعامى عن باقي الكلام وهو ناطق بانهُ

توجه الى كفر ناحوم ففي آية ٣١ من الاصحاح الرابع من لوقا ذكر بان المسيح انحدر الى كفر ناحوم وعليهِ فلا يوجد ادنى تناقض ولا اختلاف فان كلاً من متى ولوقا قال بان المسيح توجه الى الجليل ثم ترك الناصرة لرفض اهل وطنه لهُ ثم اتى الى كفر ناحوم ومن تعنت المعترض وتعسفهِ اخذ يلتقط من كل آية كلمة او كلمتين حتى يوهم وجود تناقض واختلاف وحذف باقي الكلام

اما من جهة تجربة المسيح فذكر الرسول متى (١) تحويل الحجارة خبزًا (٢) ان يطرح نفسهُ من جناح الهيكل (٣) ان يسجد للمجرّب اما لوقا الرسول فذكر (١) تحويل الحجارة خبزًا (٢) ان يسجد للمجرّب (٣) ان يطرح نفسهُ من جناح الهيكل فمتى ذكر التجارب بحسب ترتيب الزمان اما لوقا فراعى ترتيب المكان وذكر التجربتين اللتين حصلتا في البرّية اولاً فان طلب تحويل الحجارة خبزًا وطلب السجود للمجرّب كانا في البرّية فليخبرنا اين التناقض

(١١٨) قال يعلم من مت ٨ : ٥ — ١٣ ان قائد المائة جاء الى المسيح وطلب منهُ شفاء غلامهِ بقولهِ يا سيدي لست مستحقًا ان تدخل تحت سقف بيتي ولكن قل كلمة فيبرأ غلامي فمدحهُ المسيح وقال لهُ اذهب وكما آمنت ليكن لك فبرأ غلامه في تلك الساعة و يعلم من لوقا ٧ : ٢ — ١٠ انهُ ما اتى بنفسه بل ارسل الى المسيح شيوخ اليهود فمضى يسوع معهم ولما قرب من البيت ارسل اليهِ قائد المائة اصدقاءهُ يقول يا سيدي لا تتعب لاني لست مستحقًا ان تدخل تحت سقفي ولذلك لم احسب نفسي اهلاً ان آتي اليك لكن قل كلمة فيبرأ غلامي فمدحهُ يسوع ورجع المرسلون الى البيت فوجدوا العبد المريض قد صحَّ

قلنا من الامور القانونية المقرّرة التي لا تنكر ان ما يفعلهُ الانسان بواسطة غيره ينسب اليهِ فعلهُ لانه يكون السبب فيه فقيل ان المسيح كان يعمد مع انه كان يعمد بواسطة تلاميذه (يو ٤ : ١) وورد في ١٩ : ١ ان بيلاطس جلد المسيح وانما هو الآمر فمتى الرسول أوجز بان قال ان قائد المائة طلب من يسوع ولم يقل انهُ طلب هذا الطلب بنفسه او بواسطة وكيلهِ اما لوقا فذكر كيفية

الالتماس وهو مثل قولنا توجه انسان الى المحكمة وطلب استئناف قضيته والحقيقة هي انهُ لم يتوجه وانما الذي طلب الاستئناف هو المحامي عنهُ وهو مثل قولنا ان الملك فتح البلاد ودوّخ العباد وذبح الرجال والاولاد ويكون الملك جالساً في قصره قال السعد التفتازاني المجاز العقلي في القرآن كثير كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً اسندت الزيادة وهي فعل الله الى الايات لكونها سببا وكقوله ينزع عنهما لباسهما فنسب نزع اللباس عن آدم وحواء وهو فعل الله تعالى الى ابليس لانه سبب الاكل من الشجرة وسبب الاكل وسوسته ومقاسمته اياهما انه لهما لمن الناصحين وكقوله يجعل الولدان شيباً فنسب الفعل الى الزمان وهو لله حقيقة وهذا كناية عن شدته وكثرة الهموم والاحزان فيه لان الشيب يدل على تفاقم الشدائد والمحن وكقوله واخرجت الارض اثقالها اي ما فيها من الدفائن والخزائن فنسب الاخراج الى مكانه وهو لله حقيقة ونحو فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم ونحو انبت الربيع البقل والمنبت الحقيقي هو الله وانما نسب الى المطر لانه سبب فيه وغير ذلك فنقول متى ان قائد الجند طلب من المسيح هو مجاز عقلي لانه طلب ذلك بواسطة ائمة اليهود ولا مانع من ان يكون التمس هذا الطلب بذاته بعد ان ارسل شيوخ اليهود فلما ابطأوا عليه توجه اليهم بذاته فاقتصر متى على ذكر قائد الجند لانه هو الطالب الحقيقي اما لوقا فذكر ما كان من مساعي ائمة اليهود لانهم اول من فاتح المسيح في شفاء غلامه وعليه فلا تناقض مطلقاً

(١١٩) قال ان متى كتب في ص ٨ سؤال الكاتب بان يتبع المسيح واستئذان رجل آخر لدفن ابيه ثم ذكر معجزات باهرة اخرى ثم ذكر قصة التجلي في ص ١٧ اما لوقا فذكر السؤال والاستئذان في ص ٩ بعد قصة التجلي

قلنا اي حرج على من ذكر المعجزات الباهرة التي كان يتفضل بها على

افراد الامة اليهودية ثم ذكر بعدها ما يختص بشخص المسيح وبالحواريين فكل واحد راعى ترتيباً في ذكر معجزات المسيح حسب ما ساقهم اليهِ الروح القدس فراعى احدهما الزمان والاخر المكان كما يعلم من سياق الكلام نعم لو اثبت احدهما شيئاً ونفاه الاخر لعد تناقضاً

(١٢٠) قال كتب متى في ص ٩ قصة المجنون الاخرس وفي ص ١٠ اعطاء المسيح الحواريين قدرة على اخراج الشياطين وشفاء المرضى وارسالهم ثم ذكر آيات اخرى وذكر قصة التجلي في ص ١٧ وكتب لوقا اولاً ص ٩ اعطاء المسيح للحواريين قدرة على المعجزات ثم قصة التجلي وفي هذا الاصحاح وفي ص ١٠ واوّل ص ١١ ذكر آيات اخرى ثم ذكر آية المجنون الاخرس

قلنا يرد على هذا الاعتراض بمثل ما تقدم فان احد البشيرين راعى المعجزات التي صنعها لليهود فذكرها اولاً وأخر الاقوال التعليمية عنها كما فعل متى والاخر قدم التعاليم والخطابات الالهية على المعجزات و بصرف النظر عن ذلك فالمسيح صنع معجزات كثيرة قبل التجلي و بعده واخرج شياطين من اكثر من مجنون اخرس ومهما قلّبنا المسألة لا نجد رائحة تناقض كادعاء المعترض

(١٢١) قال ورد في مر ١٥ : ٢٥ انهم صلبوا المسيح في الساعة الثالثة وورد في يو ١٩ : ١٤ انهُ كان عند بيلاطس في الساعة السادسة قلنا تقدم الرّد على ذلك في (٨٦) فراجعهُ وقلنا بما ان يوحنا كان مقيماً في بر الاناضول وجب ان يخاطب اهلهُ بالكلام المصطلح عندهم وهم كانوا يحسبون اوّل النهار من منتصف الليل واذا توجه احدنا الى بلاد الانكليز مثلاً وتكلم معهم عن وقت وجب ان يخاطبهم باصطلاحهم حتى يفهموا

(١٢٢) ورد في مت ٢٧ : ٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوي الوي لما شبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني وفي مر ١٥ : ٣٤ الوي الوي لما شبقتني الذي تفسيره الهي الهي لماذا تركتني وفي لوقا ٢٣ : ٤٦ نادى يسوع بصوت عظيم وقال يا ابتاهُ في يديك استودع روحي

لما كان المسيح على الصلب صرخ مرتين المرة الاولى كان صراخ التوجع

من آلام الصلب والمرة الثانية صراخ تسليم الروح ففي المرة الاولى ذكر الاية الواردة في مز ٢٢ : ١ وهي الهي الهي لماذا تركتني لانه كان انساناً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية فلما جلدوه وضربوه واستهزأوا به وعيّروه تألم من ذلك كانسان ومما زاد توجعه وتألمه هو انه حمل خطايانا على جسده قال اشعيا النبي ٥٣ : ٤ و ٥ لكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليهِ وبحبره شفينا وصار ذبيحة عن خطايانا كما في غل ٣ : ١٣ وفي ٢ كو ٥ : ٢١ لانهُ جعل الذي لم يعرف خطية خطية لاجلنا اي ذبيحة خطية لنصير نحن برّ الله فيه فشدة آلام المسيح ناشئة عن وضع خطايانا عليه فهذا هو صراخ التوجع وقد ذكره متى ومرقص بل قالا ايضاً انه صرخ مرة ثانية واسلم الروح اما لوقا فذكر توجعه وتألمه وهو لا ينافي انه صرخ في اثنائهِ ثم قال لما اسلم الروح صرخ قائلاً في يديك استودع روحي فلا يوجد ادنى اختلاف

(١٢٣) قال المعترض يفهم من كلام متى ومرقص ان الذين استهزأوا بالمسيح وألبسوه اللباس كانوا جند بيلاطس لا هيرودس ويعلم من كلام لوقا خلاف ذلك نقول ورد في مت ٢٧ : ٢٧ و ٢٨ أن عسكر الوالي البسوهُ رداء قرمزيا وفي مرقص ١٥ : ١٦ و ١٧ وألبسهُ العسكر الرداء وفي لوقا ٢٣ : ١١ فاحتقرهُ هيرودس مع عسكره واستهزأوا بهِ والبسهُ لباساً لامعاً وردهُ الى بيلاطس

قلنا ان عساكر بيلاطس ازدروا به واحتقروه وكذلك هيرودس وعساكره لان المسيح لم يرد ان يشفي غليله بعمل معجزة امامه فانه كانت غايته التفرج ولم تكن غايته حميدة كالوقوف على حق وازهاق باطل ولوقا اقتصر على ذكر بعض ما حصل له من الازدراء وعلى كل حال فلا منافاة بين اقوال الرسل لانه لم يقل احدهم انه حصلت له اهانة وقال الاخر حصل له تبجيل وتكريم بل اجمع

جميعهم على حصول الاهانة له

(١٢٤) قال يعلم من مرقص انهم اعطوا المسيح خمرًا ممزوجاً بمر فلم يذقهُ ويعلم من كلام الثلاثة انهم اعطوهُ خلاً ويعلم من متى ويوحنا انهُ سقي هذا الخل فنقول ورد في مت ٢٧ : ٣٤ اعطوهُ خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد ان يشرب وورد في آية ٤٨ ما نصهُ وللوقت ركض واحد منهم واخذ اسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاهُ وورد في مر ١٥: ٢٣ واعطوهُ خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل وورد في آية ٣٦ فركض واحد وملأ اسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وسقاهُ وفي لو ٢٣ : ٣٦ والجند يقدمون لهُ خلاً وفي يو ١٩ : ٢٨ — ٣٠ ان المسيح قال انا عطشان وكان اناء موضوعاً مملوءًا خلاً فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمهِ فلما اخذ يسوع الخل قال قد اكمل

فيتضح من هذا انهُ قدم للمسيح الخل مرتين ففي المرَّة الاولى قدموا لهُ خلاً ممزوجاً بمرّ فانه كانت عادتهم ان يقدموا لمن حكم عليه بالاعدام هذا الخل الممزوج بالمرّ ليغيّبهم لتخفيف آلامهم فالمسيح رفض ذلك لانه اتي ليتألم ويحمل في جسده العقاب الذي كنا نستوجبه بسبب خطايانا اما في المرَّة الثانية فعطش من شدة الالم على الصليب فأُعطي له خلاً من مشروب العساكر فشربه

فينتج مما تقدم ان المعترض مع تعنته وتعصبه لم يقدر ان يأتي بشيءٍ يدل على وجود تناقض في الكتب المقدسة لا في الاعتقادات ولا العبادات ولا الواجبات ولا المعاملات مع انه نقل اعتراضات الكفرة الملحدين الذين ظهروا من خليقة الدنيا لغاية يومنا هذا ومع كل ذلك فما اورده لا يخرج عن بعض ارقام او اسماء اعلام واقمنا الادلة العقلية والنقليــة على فساد المائة والاربعة وعشرين تناقضاً التي اوردها وتبرهن ان الستة وستين سفرًا وهي كتب العهد القديم والجديد منزهة عن ادنى شوائب التناقض وهي متوافقة ومتطابقة مع انها نزلت في امكنة وازمنة متعددة وعلى نحو خمسين نبياً في اثناء اكثر من اربعة آلاف سنة مما يدل على ان مصدرها واحد وهو الحكيم العليم وهي

شاهدة من اولها الى آخرها بان الجميع اخطأوا واحتاجوا الى فادٍ كريم وان هذا الفادي هو الرب يسوع ومن آمن به خلص ومن لم يؤمن يُدَن هذا هو فحواها من اولها الى آخرها

❋ الفصل الثالث ❋

(في بعض مناقضات القرآن والاحاديث)

اما القرآن فمع انهم ادعوا انه نزل على شخص واحد الاَّ انه فيه من التناقض ما لا يحصى كما سترى فاعتذروا عنه تارة بالناسخ والمنسوخ واخرى بتنوع القراءات وتارة اعتذروا عنهُ بأوجه وقد أُلف في مشكل القرآن ومناقضاته قطرب وتكلم في ذلك ابن عباس وحكي عنه التوقف في بعضها قال عبد الرزاق في تفسيره جاء رجل الى ابن عباس فقال رأَيت اشياء تختلف عليَّ من القرآن فقال ابن عباس ما هو أَشك قال ليس بشكٍ ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال اسمع الله يقول (١) في سورة الانعام ٦ : ٢٢ و٢٣ ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الاَّ ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين مع انهُ ورد في سورة النساء ٤ : ٤٥ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تُسوَّى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثًا انتهى مع انهم كتموا[1] فأَجاب ابن عباس بما حاصلهُ انهم يكتمون بأَلسنتهم فتنطق ايديهم وجوارحهم (٢) قال في سورة المؤْمنين (٢٣ : ١٠٣) فلا انساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون مع انهُ ورد في سورة الصافات ٣٧ :٢٧

(١) قد اوردنا المناقضات والاجوبة التي اجاب بها علماؤهم عليها فلا ينسب الينا تشيع وهذا بخلاف المعترض فانه اورد اعتراضات الكفرة على الكتب المقدسة وتعامى عن الرد عليها مع قوتها وسدادها

واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال علماؤهم نفي المسألة فيما قبل النفخة الثانية واثباتها فيما بعد ذلك (٣) ورد في سورة السجدة (٤١ : ٨) قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون لهُ اندادًا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها وقدّر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا او كرهًا قالتا آتينا طائعين مع انهُ ورد في سورة النازعات ٧٩ : ٢٧ ام السماء بناها ثم قال في عدد ٣٠ والارض بعد ذلك دحاها فقالت علماؤهم انهُ بدأ خلق الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسوّاهنّ في يومين ثم دحى الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين فتلك اربعة ايام وهي مشكلة (٤) ورد في سورة الحج ٢٢ : ٤٦ وان يومًا عند ربك كألف سنة مما تَعدون وورد في سورة السجدة ٣٢ : ٤ يدبر الأمر من السماء الى الارض في يوم كان مقدارهُ الف سنة مما تعدون مع انهُ ورد في سورة المعارج ٧٠ : ٤ تعرج الملائكة والرُّوح اليهِ في يوم كان مقدارهُ خمسين الف سنة ولما سئل ابن عباس عنهما توقف قال ابو عبيد سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقدارهُ الف سنة وقوله يوم كان مقدارهُ خمسين الف سنة فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه الله اعلم بهما وزاد ما ادرى ما هي واكره ان اقول فيها ما لا اعلم قال ابن ابي مليكة فضربت البعير حتى دخلت على سعيد بن المسيب فسئل عن ذلك فلم يدرِ ما يقول فقلت لهُ ألا اخبرك بما حضرت من ابن عباس فاخبرته فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد اتّقى ان يقول فيها وهو اعلم مني * وقيل ان يوم الالف المذكور اولاً هو مقدار سير الامر وعروجه اليهِ ويوم الالف في سورة الحج هو احد الايام الستة التي خلق الله فيها السموات

ويوم الخمسين الف هو يوم القيامة وهو ظن لا يخرج عن التخمين (٥) ورد في جملة سور من القرآن ان الله خلق الانسان من تراب فورد في سورة الملائكة ٣٥ : ١٢ قوله والله خلقكم من تراب وكذلك في سورة الرُّوم والحج والكهف وورد في سورة الحجر ١٥ : ٢٦ ولقد خلقنا الانسان من صلصالٍ من حماءٍ مسنون وورد في سورة الصافات ٣٧ : ١١ انا خلقناهم من طينٍ لازب وورد في سورة الرحمن ٥٥ : ١٣ خلق الانسان من صلصالٍ كالفخار فقالوا سببه وقوع المخبر بهِ على احوال مختلفة وتطويرات شتى (٦) ورد في سورة الاعراف ٧ : ١٠٤ فألقى عصاهُ اي موسى فاذا هي ثعبانٌ مبين مع انهُ ورد في سورة النمل ٢٧ : ١٠ والقِ عصاك فلما رآها تهتز كانها جانٌّ فقالوا الجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وقالوا لان خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته

(٧) وقالوا من اسباب تناقض القرآن لبعضه اختلاف الموضع كقوله في سورة الصافات ٣٧ : ٢٤ وقفوهم انهم مسؤُولون اي احبسوهم وفي سورة الاعراف ٧ : ٥ فلنسألنَّ الذين أُرسل اليهم ولنسألنَّ المرسلين مع انهُ ورد في سورة الرحمن ٥٥ : ٣٩ فيومئذٍ لا يُسأَل عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌّ قال الحليمي فتحمل الآية الاولى على السؤَال عند التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزمهُ الاقرار بالنبوّات من شرائع الدين وفروعه ولكن حملهُ غيرهُ على اختلاف الاماكن لان في القيامة مواقف كثيرة ففي موضع يسألون وفي آخر لا يسألون وقيل غير ذلك (٨) في سورة الاعراف ٣ : ٩٧ اتقوا الله حق تُقاته مع قوله في سورة التغابن ٦٤ : ١٦ فاتقوا الله ما استطعتم اي على قدر طاقتكم (٩) في سورة النساء ٤ : ٣ فان خفتم ألاَّ تعدلوا فواحدة مع انهُ ورد في عدد ١٢٨ ولن

تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فالاولى تفهم امكان العدل والثانية تنفيهِ وقالوا ان الاولى في توفية الحقوق والثانية في الميل القلبي وليس في قدرة الانسان قلنا فالاختلاف باقٍ على حالهِ (١٠) في سورة الاعراف ٧ : ٢٧ ان الله لا يأمر بالفحشاء مع انهُ ورد في سورة اسرائيل ١٧ : ١٧ امرنا مُترفيها ففسقوا فيها) فقالوا الاولى في الامر الشرعي والثانية في الامر الكوني بمعنى القضاء والقدر

(١١) من اسباب التناقض الاختلاف في جهتي الفعل كقوله في سورة الانفال ٨ : ١٧ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت أُضيف القتل اليهم والرّمي الى نبيهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاهُ عنهم وعنهُ باعتبار التأْثير (١٢) ورد في سورة الحج ٢٢ : ٢ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فسبب التناقض هنا الحقيقة والمجاز اي سكارى من الاهوال مجاز لا من الشراب حقيقة (١٣) قالوا من اسباب تناقض القرآن النظر الى الشيء بوجهين واعتبارين كقوله في سورة ق ٥٠ : ٢١ فبصرك اليوم حديد مع قوله في سورة حم عسق ٤٢ : ٤٤ خاشعين من الذُّل ينظرون من طرفٍ خفي قال قطرب فبصرك اي علمك ومعرفتك قوية من قولهم بصر بكذا اي علم وليس المراد رؤْية العين (١٤) في سورة الرَّعد ١٣ : ٢٨ وتطمئن قلوبهم بذكر الله مع انهُ ورد في سورة الانفال ٨ : ٢ انما المؤْمنون الذين اذا ذكر الله وجِلت قلوبهم فالوجل خلاف الطمانينة وأجابوا عن ذلك بأن الطمانينة تكون بإنشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب

فمن هنا يرى ان للاختلاف والتناقض في القرآن اسباباً احدها وقوع المخبر بهِ على احوال مختلفة وتطويرات شتى وثانياً اختلاف الموضع وثالثاً اختلاف جهتي الفعل ورابعاً

اختلاف الحقيقة والمجاز وخامساً تنوع الاوجه والاعتبارات

(١٥) وورد في سورة الكهف ١٨ : ٥٣ قوله وما منع الناس ان يؤْمنوا اذ جاءَهمُ الهدى ويستغفروا ربهم الاَّ ان تأْتيهم سنة الاوَّلين او يأْتيهم العذاب قِبلاً اي عياناً فانهُ يدل على حصر المانع من الايمان في احد هذين الشيئين مع انه قال في سورة بني اسرائيل ١٧ : ٩٦ وما منع الناس ان يؤْمنوا اذ جاءَهم الهدى الاَّ ان قالوا أَبعث الله بشرًا رسولاً فهذا حصر آخر في غيرها واجابوا بان الحصر في الاوَّل هو حقيقي لان الله هو المانع في الحقيقة ومعنى الآية الثانية هو استغراب بعثه بشرًا فهو مانع عادي غير حقيقي (١٦) ورد في سورة الانعام ٦ : ٩٣ وفي غيرها ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً وورد في سورة الزمر ٣٩ : ٣٣ فمن اظلم ممن كذب على الله مع قوله في سورة الكهف ١٨ : ٥٥ ومن اظلم ممن ذكّر بآيات ربهِ فأَعرض عنها ونسي ما قدّمت يداهُ وورد في سورة البقرة ٢ : ١٠٨ ومن اظلم ممن منع مساجد الله الى غير ذلك فالمراد بالاستفهام هنا النفي والمعنى لا أَحد اظلم فيكون خبرًا واذا كان خبرًا وأَخذت الآيات على ظواهرها ادى الى التناقض وأَجابوا عنهُ بأَن يخصص كل موضع بمعنى صلتهِ اي لا احد من المانعين اظلم ممن منع مساجد الله ولا احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله كذباً فيها وقالوا ايضاً ان نفي الاظلمية لا يستدعي نفي الظالمية لان نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق يعني نفي التفضيل لا يلزم منهُ نفي المساواة (١٧) ورد في سورة البلد ٩٠ : ١ لا أُقسم بهذا البلد فاخبر انهُ لا يقسم ثم اقسم بهِ في قوله في سورة التين ٩٥ : ٣ بان قال وهذا البلدِ الامين فلم يذكروا وجهاً شافياً للاعتذار عن هذا التناقض ومناقضات القرآن تنقسم الى قسمين قسم اعتذروا عنهُ بمثل ما تقدم من الاوجه والاعتبارات وقسم

آخر تعذر عليهم الاعتذار عنهُ فتستروا بالناسخ والمنسوخ فاعانهم على المناقضات الجمة والاغلاط الكثيرة ولنوضح ذلك بالمثال فنقول

(١٨) ان محمداً كان يستقبل بيت المقدس نحو سنة تقريباً ففرحت اليهود ورأوا ان الاولى التمسك بديانتهم لانها حق ولكنهُ لما رأى ان ذلك يكون من اعظم البواعث على رفض دعوته وعدم التفات احد اليهِ لانهُ لم يأتهم بأمر جديد غيَّر هذه الطريقة واستقبل بيت الحرام فلولا الناسخ والمنسوخ لما تيسر لهُ ذلك ومما يؤيد ما قلناهُ هو ما روى عن ابن عباس قال ان الرسول لما هاجر الى المدينة امرهُ الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة ابراهيم وكان يدعو الله وينظر الى السماء فانزل الله فولوا وجوهكم شطرهُ فارتاب في ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فانزل الله قل للهِ المشرق والمغرب اه

وورد في سورة البقرة ٢ : ١٣٦ سيقول السفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ويظهر من عدد ١٣٨ ان هذا الامر كان صعباً فانهُ قال وان كانت لكبيرة ومما يدل على انهُ لم يكن راضياً عن قبلة بيت المقدس قوله في عدد ١٣٩ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها (اي يحبها النبي ولم يقل يرضاها الله) قال فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرهُ وفي عدد ١٤٠ ولئن اتيت الذين أُوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين فهذه الاقوال الغث ما ورد في عدد ١٠٩ ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وقد كانت طنة ورنة كبرى لتغيير القبلة فحاول ان يصرف انظارهم وافكارهم عن الخوض فيها بقوله في عدد ١٧٢ ليس البر ان تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فقال المفسرون الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض

في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد محمد عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانهُ منسوخ فهذا مثال الناسخ والمنسوخ وهو من اعظم التناقض (١٩) لما كان في مبدأ الامر كان يأتي بكل ما يشعر باللطف لا العنف والاحسان لا العدوان ولكن لما قوي امره وتمكن من غايته الغى ذلك بآية السيف قال ابن حزم من الآيات المنسوخة قوله في سورة البقرة ٢ : ١٨٨ فان انتهوا فان الله غفورٌ رحيم وهذا من الاخبار التي معناها الامر تأويلهُ فاغفروا لهم واعفوا عنهم ثم اخبار العفو منسوخة بآية السيف وهي فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فلو كان المقصود اظهار الصرامة الكبرى لمن قاومهُ لقال ذلك في مبدأ الامر ولكنهُ لم يفعل ذلك فان للرئاسة سكرة (٢٠) وردت آيات كثيرة يؤخذ منها الرفق واللين واللطف ولكنهم نسخوها فصار القرآن كله قسوة شديدة فمن ذلك ما ورد في سورة النساء ٤ : ٦٦ فاعرض عنهم وعظهم نسخت بآية السيف المتقدمة وورد فيها ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم نسخت بآية السيف وغير ذلك كثير[1] (٢١) ورد في سورة آل عمران ٣ : ٩٧ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته فلما نزلت لم يعلم ما تأويلها فقالوا يا رسول الله ما حق تقاته فقال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فقالوا يا رسول الله ومن يطيق ذلك فانزعجوا لنزولها انزعاجاً عظيماً ثم انزل بعد مدة يسيرة آية تؤكد حكمها وهي قوله وجاهدوا في الله حق جهاده فكان هذا عليهم اعظم من

(١) من طالع كتاب ابن حزم وغيره من الكتب الموضوعة في الناسخ والمنسوخ ظهر له انه اذا وجد في القرآن قول يحض على اللطف ومكارم الاخلاق نسخ بآية السيف فصار القرآن مبنياً على السيف فقط اي على القسوة

الاولى ومعناها اعملوا لله حق عمله فكادت عقولهم تذهل فلما رأى محمد ذلك وكان ذا سياسة نسخها بالآية التي في التغابن وهي فاتقوا الله ما استطعتم فكان هذا تخفيفاً (٢٢) قد كان محمد في مبدأ الامر محلاً للخمر والميسر ثم اوضح ان اثمهما اكبر من نفعهما ثم حرَّم المسكر في الصلوة ثم حرَّمها مطلقاً وهو من اعظم التناقض [(١)] وبالاختصار ان السور التي دخلها منسوخ ولم يدخلها ناسخ هي اربعون والسور التي دخلها ناسخ ومنسوخ هي خمس وعشرون والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ هي ست سور والسور التي لم يدخلها ناسخ ومنسوخ هي ثلاث واربعون سورة وفي سورة البقرة ستة وعشرون موضعاً وفي سورة النساء اربع وعشرون آية وقس على ذلك الباقي فاغلب القرآن ناسخ ومنسوخ

(ثالثاً) الاختلافات الناشئة عن القراآت قال العلماء تعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين ولنضرب مثالاً لذلك فنقول ورد في سورة المائدة ٥ : ٨ يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين فقوله وارجلكم قرئت بالنصب والجر ولهذا جمع بينهما لحمل النصب على الغسل والجر على مسح الخف فالقراآت هي من اعظم الاختلافات والمناقضات فان المعنى ينعكس بها وتترتب عليها احكام

(١) ورد في سورة بني اسرائيل بان الله اغرق فرعون ومن معه جميعاً وفي سورة يونس ١٠ : ٩٢ لما ادرك فرعون الغرق آمن باله بني اسرائيل فنجاه الله ببدنه ليكون آية لمن خلفه وفي سورتي يوسف والاحزاب لا تبديل لكلمات الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً وقوله ولن تجد لسنة الله تحويلاً وفي سورة البقرة وما ننسخ من آية او ننسها نأتي بخير منها وفي سورة البقرة ان النصارى والمؤمنين لهم اجرهم وفي سورة آل عمران ان اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم وادعاؤه بان القرآن عربي وهو مشحون من الفاظ العجم كما تقدم وغيره من الاختلافات

متناقضة وعلى هذا فالقرآن مشحون منها قال السيالكوتي وحسن جلبي في الحاشية على المواقف صحيفة ٤٩٠ من الجزء الثاني المطبوع في الاستانة ما نصه بالحرف الواحد يوجد في القرآن من الاختلافات ما يرتقي على اثني عشر الفاً كما تسمع اصحاب القراآت يتلونها عليك

قال نبيهم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منهُ قالهُ لعمر لما جاءهُ بهشام بن حكيم وقد لببهُ بردائه اي جعلهُ في عنقهِ وجرّه منهُ لما سمعهُ يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأها لهُ الرسول وكان اولاً اتاهُ جبريل فقال لهُ ان الله يأمرك ان تقرىء امتك القرآن على حرف واحد فقال أسال الله معافاته ومعونته وان أمتي لا تطيق ذلك ثم اتاهُ الثانية على حرفين فقال لهُ مثل ذلك ثم اتاه الثالثة بثلاثة فقال لهُ مثل ذلك ثم اتاهُ الرابعة فقال لهُ ان الله يأمرك ان تقرىء أُمتك القرآن على سبعة احرف فايما حرف قرأُوا عليهِ فقد اصابوا واختلفوا في المراد بهذه الاحرف السبعة على نحو من اربعين قولاً واضطربوا في ذلك اضطراباً كثيرًا حتى افردهُ ابو شامة بالتأليف وقال علماؤهم ان المراد بالسبعة احرف انها لغات واختلفوا في تعيينها فقال ابو عبيد قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن وقال غيره خمس لغات في اكناف هوازن سعد وثقيف وكنانة وهذيل وقريش ولغتان على جميع السنة العرب

قال المحقق ابن الجزري ولا زلت استشكل هذا الحديث وافكر فيهِ وامعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليَّ بما يمكن ان يكون صواباً ان شاء الله وذلك انني تتبعت القراآت صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فاذا هو يرجع اختلافها الى سبعة اوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك اما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو البخل باربعة ويحسب بوجهين او بتغير في المعنى فقط نحو فتلقى آدم من ربه كلمات واما في الحروف بتغير في المعنى لا في الصورة نحو تبلو وتتلو او عكس ذلك نحو بصطة وبسطة او بتغيرها نحو اشد منكم ومنهم واما في التقديم والتأخير نحو فيقتلون ويقتلون او في

الزيادة والنقصان نحو واوصى ووصى فهذه سبعة اوجه لا يخرج الاختلاف عنها ثم رأيت ابا الفضل الرازي حاول ما ذكرته وكذا ابن قتيبة حاول ما حاولنا بنحو آخر انتهى وقال الداني معنى الاحرف الاوجه اي ان القرآن على سبعة اوجه من اللغات لان الاحرف جمع في القليل كفلس وافلس والحرف قد يراد بهِ الوجه بدليل ما ورد في القرآن ومن الناس من يعبد الله على حرف فالمراد بالحرف الوجه اي على النعمة والخير الخ وقالوا حكمة اتيانه على سبعة احرف التخفيف والتيسير على هذه الأُمة في التكلم بكتابهم كما خفف عليهم في شريعتهم وهو كالمصرح بهِ في الاحاديث الصحيحة كقوله اسأَل الله معافاته ومعونته وكقوله ان ربي أَرسل اليَّ ان اقرأ القرآن على حرف واحد فرددت اليهِ ان هوّن على أُمتي ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة احرف واذا اخذنا في ذكر اوجه القراآت والاختلافات الناشئة عن تغير الحركات والكلمات لزم مجلدين ضخمين وانما نختم كلامنا على القرآن بان نقول ان المناقضات هي جمة كما هو منطوق اقوال الاحاديث فان نبيهم طلب من جبرائيل ان يجعلهُ مختلفاً متناقضاً ليكون سهلاً على الأُمة واوصل بعضهم اختلاف القراآت الى اثني عشر الف كما تقدم ومنها الاختلاف الذي تستروا عليهِ بالناسخ والمنسوخ وهو يعد بالمئات والاختلافات الناشئة عن الازمنة والامكنة وتقدم بيانها مع الاجوبة التي اجاب بها علماؤهم اما الكتب المقدسة فهي منزهة عن ذلك فلم يكتب نبي من الانبياء الصادقين كلامه على اوجه شتى ولا توجد قراءات متنوعة تبلغ مائة ولا عشرة اما اختلافات الاحاديث فتعد بالالوف ايضاً

السنة تطلق اصطلاحاً على مجموع اقوال نبيهم وافعاله وتقريراته ولولاها لما شيدت اركان الاسلام قال احد علماؤهم لو لا ان السنة بينت لنا ما اجمل في القرآن ما قدر احد

من العلماء على استخراج احكام المياه والطهارة ولا عرف كون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء اربعاً ولا كون المغرب ثلاثاً ولا كان يعرف احد ما يقال في دعاء التوجه والافتتاح ولا صفة التكبير ولا اذكار الركوع والسجود والاعتدالين ولا ما يقال في جلوس التشهدين ولا كان يعرف كيفية صلاة العيدين والكسوفين ولا غيرهما من الصلوات كصلاة الجنازة والاستسقاء ولا كان يعرف انصبة الزكاة ولا اركان الصيام والحج والبيع والنكاح والجراح والاقضية وسائر ابواب الفقه وقد قال رجل لعمران بن حصين لا تحدث معنا الا بالقرآن فقال له عمران انك لاحمق هل في القرآن بيان عدد ركعات الفرائض او اجهروا في كذا دون كذا فقال الرجل لا فافحمه عمران اه٠وروى البيهقي ايضاً في باب صلاة المسافر من سننه عن عمر انه سئل عن قصر الصلاة في السفر وقيل له انا نجد في الكتاب العزيز صلاة الخوف ولا نجد صلاة السفر فقال للسائل يا ابن اخي ان الله تعالى ارسل الينا محمداً ولا نعلم شيئاً وانما نفعل ما رأينا رسول الله يفعله قصر الصلوة في السفر سنة سنها رسول الله انتهى

وقالوا ان الرسول فصل بشريعته ما اجمل في القرآن ولولاها لبقي القرآن على اجماله كما ان الائمة المجتهدين لو لم يفصلوا ما اجمل في السنة لبقيت السنة على اجمالها وقالوا ان السنة قاضية على الكتاب فهي بمنزلة القرآن اذا لم نقل انها اوضح وابين وقد ورد فيها من الاختلافات شيء كثير اما ما اجابوا به عنها فهو ان بعض الاحاديث فيه تخفيف والبعض الاخر فيه تشديد مع ان كلام الله يجب ان ينزه عن ذلك والمولى سبحانه وتعالى لا يأتينا بشريعة الا اذا كانت مناسبة لطباع جميع الناس على حد سواء فانه العليم الحكيم العارف بما يفيد وحاشاه ان يضع طريقتين متباينتين تكون احداهما خفيفة والاخرى شديدة والعجب ان علماءهم لم يستقبحوا الاعتذار بهذا العذر الباطل عن المتناقضات

تنبيه * اعلم ايها المطالع ان ما اجاب به علماؤهم عن الاحاديث الآتية المتناقضة هو قولهم ان هذا الحديث فيهِ تشديد والآخر فيهِ تخفيف وقد استغنينا عن تكراره بهذا

التنبيه وقد كنا ذكرنا نحو خمسين صحيفة تشتمل على الاحاديث المتناقضة ولكننا اقتصرنا على ما يأتي وحذفنا الاسانيد طلباً للاختصار

(١) خلق الله تعالى الماء طهوراً لا ينجسه شيء وحديث آخر في النبيذ ثمرة طيبة وماء طهور ثم توضأ نبيهم به وضدها الماء طهور لا ينجسه الاّ ما غلب على طعمه ولونه وريحه وفي حديث آخر الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين حتى يجد الماء فاذا وجده فليمسه جلده فانه خير فقالوا ان الحديثين الاولين مخففان والحديثين الاخرين مشددان (٢) الشاة الميتة هلاّ اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به وفي حديث آخر ان محمداً كتب قبل موته بشهر او باربعين يوماً لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب (٣) ادفنوا الاظفار والدم والشعر فانه ميتة وفي حديث آخر لا بأس بمسك الميتة اذا دبغ ولا بأس بشعرها وصوفها وقرونها اذا غسل بالماء (٤) روى مسلم انه نهى عن الادهان بما في عظم العاج وعن كل ذي ناب من السباع مع انه امر (ثوبان) بان يشتري لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج وفي حديث انه كان يمتشط بالعاج (٥) اتى محمد بمزادة من مزادة المشركين فاسقى اصحابه منها وعن جابر كنا نغزو مع رسول الله فنصيب من كل آنية المشركين واسقيتهم ونستمتع بها فلا يعاب علينا وعن عائشة انه كان ينهي عن الشرب من اواني النصارى وسألهُ ابو ثعلبة قال انا بارض اهل كتاب أفنا كل في آنيتهم فقال ان وجدتم غير آنيتهم فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها (٦) لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله وفي حديث آخر انه قال لا تتم صلاة احدكم حتى يسبغ الوضوء كما امر الله اي في القرآن مع انه ليس فيه التسمية على الوضوء (٧) كان ابن عباس اذا توضأ قبض قبضة من ماء ثم نفض يده فمسح بها رأسه

واذنيه ثم يقول هكذا كان رسول الله يتوضأ وفي حديث آخر ان محمدًا كان يأخذ لاذنيه ماء خلاف الماء الذي اخذه لرأسه وكان ابن عمر اذا توضأ يعيد اصبعيه في الماء ليمسح بهما اذنيه (٨) مرّ المنذر على محمد فسلم عليهِ وهو يتوضأ فلم يرد عليهِ السلام فاخذه ما قرب وما بعد فلما فرغ من وضوئه قال انه لم يمنعني ان ارد عليك الاّ اني كرهت ان اذكر اسم الله الاّ على طهارة مع حديث عائشة كان يذكر اسم الله تعالى على كل احيانه (٩) قال البخاري ان رسول الله بال قائمًا مع حديث البيهقي انه كان يبول وهو جالس وقال لعمر بن الخطاب لاتبل قائمًا فما بال عمر قائمًا بعد حتى مات (١٠) فسر نبيهم قوله او لامستم النساء بغير الجماع بقوله لماعز لعلك قبّلت او لمست مع حديث عائشه ان الرسول كان يقبّل بعض نسائه ثم يخرج للصلاة ولم يتوضأ (١١) قال اذا مس احدكم ذكره فليتوضأ وفي رواية فلا يصلين حتى يتوضأ وفي رواية من مس فرجه فلا يصلي حتى يتوضأ وفي رواية ايما امرأة مست فرجها فلتتوضأ مع انهُ قال لطلق بن عدي حين سأله عن مس ذكره هل هو الاّ بضعة منك وكان علي بن ابي طالب يقول لا أبالي مسست ذكري ام اذني (١٢) احتجم محمد فصلى ولم يتوضأ مع حديث اذا قاء احدكم في صلاته او قلس او رعف فليتوضأ ثم ليبنِ على ما مضى من صلاته ما لم يتكلم وكذلك حديث القهقهة في الصلاة من ان اعمى وقع في حفرة والنبي في الصلاة فضحك طوائف من الصحابة فأمر النبي من ضحك ان يعيد الوضوء والصلاة مع قول الصحابة انهُ يعيد الصلاة دون الوضوء (١٣) قال عمر ان الرسول صلى الصلوات يوم فتح مكة بوضوء واحد وفي رواية انه صلى خمس صلوات بوضوء واحد مع حديث البخاري انه كان يتوضأ عند كل صلاة وكان احدنا يكفيه الوضوء ما لم يحدث (١٤) من ترك المضمضة

والاستنشاق في غسل الجنابة اعاد الصلاة مع قول الحسن لا يعيد (١٥) روى الشيخان ان الرسول كان يغتسل هو وعائشة من اناء واحد من الجنابة فقالت كان يبدأ قبلي وفي رواية تختلف ايدينا فيه مع انهُ ورد في حديث آخر انهُ نهى ان تغتسل المرأة بفضل طهور الرجل او يغتسل الرجل بفضل طهور المرأة وفي حديث لتوضأ المرأة وتغتسل من فضل غسل الرجل وطهوره ولا عكس (١٦) كان يغتسل للجنابة قبل ان ينام وتارة يتوضأ ثم ينام مع حديث عائشة ان النبي كان ينام وهو جنب ولا يمس ماء اصلاً للغسل (١٧) ارسل الرسول جماعة من الصحابة في طلب قلادة لعائشة كانت فقدتها فادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما اتوا النبي وشكوا ذلك اليهِ لم ينكر عليهم مع حديث البيهقي وغيره لا يقبل الله تعالى صلاة بغير طهور (١٨) لا يؤم المتيمم المتوضئين مع صلاة ابن عباس بجماعة من الصحابة وهو متيمم ١٩) اغتسل نبيهم فرأى لمعة على منكبه لم يصبها الماء فأخذ خصلة من شعر رأسه فعصرها على منكبه ثم مسح بيديهِ ذلك المكان وقيل انهُ كان يمسح رأسه بفضل ما كان في يده مع حديث آخر انه كان يأخذ لكل عضو ماء جديداً (٢٠) اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليرقه ثم ليغسلهُ سبع مرَّات احداهنَّ بالتراب وفي حديث آخر فاغسلوهُ ثلاثاً او خمساً او سبعاً (٢١) ان الهرة ليست بنجس وكان محمد يتوضأ بفضلها وفي حديث آخر يغسل الاناء من الهر كما يغسل من الكلب وفي رواية اذا ولغ الهر في الاناء غسل مرَّة او مرَّتين بعد ان يهراق (٢٢) ما اكل لحمهُ فلا بأس بسؤره وفي رواية لا بأس ببول ما اكل لحمه مع الاحاديث التي تعطي النجاسة في سائر ابوال الحيوانات (٢٣) جعل الرسول لماسح الخف ثلاثة ايام وفي احاديث اخرى سبعاً وفي حديث اذا تخرق الخف وخرج منهُ الماء من مواضع الوضوء فلا تمسح

عليهِ مع حديث امسح على الخفين ما تعلقا بالقدم وان تخرقا (٢٤) غسل الجمعة واجب على كل محتلم وحديث البخاري اذا جاء احدكم الجمعة فليغتسل وحديث آخر من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت وتجزى عن الفريضة ومن اغتسل فالغسل افضل (٢٥) قال في الحائض اصنعوا كل شيء الاَّ الجماع مع حديث عائشة انهُ كان لا يباشر الحائض الاَّ من وراء الثوب او الازار (٢٦) تغتسل المستحاضة من الظهر الى الظهر وعن عائشة تغتسل عن كل يوم غسلاً واحداً وفي حديث آخر تتوضأ المستحاضة عند كل صلاة

(من الصلاة الى الزكاة) (٢٧) ورد عن امامة جبريل انهُ صلى بالرسول العشاء حين غاب الشفق وانهُ صلى بهِ في المرة الثانية حين مضى ثلث الليل الاول وفي حديث وقت العشاء الى طلوع الفجر (٢٨) لا يؤذّن الاَّ متوضىء مع قول ابراهيم النخعي كانو لا يرون بأساً ان يؤذّن الرجل عن غير طهر وفي رواية وضوء ووردت اختلافات كثيرة في الاذان مع اقامة الصلاة (٢٩) كانت عائشة تؤذّن للنساء وتقيم اي جمعت بين الآذان والاقامة مع رواية انها كانت تصلي بغير اقامة (٣٠) يؤذّن للصبح في السفر دون غيرها من الصلوات فانهُ يقيم لها فقط مع كثرة الاحاديث في الآذان في السفر للجماعة والمنفرد (٣١) امر بلال ان يشفع الآذان ويوتر الاقامة مع ان النبي قال الآذان والاقامة الآذان والاقامة مثنى مثنى (٣٢) كان محمد اذا قام الى الصلاة رفع يديهِ بالتكبير ثم وضع يده اليمنى على يساره على صدره مع قول الامام على وضع الكف على الكف تحت السرة سنة (٣٣) قال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن وفي حديث آخر ان الرسول امر ابا هريرة ان ينادي بان لا صلاة الاَّ بفاتحة الكتاب فما زاد (٣٤) لا صلاة لمن لم يقرأ بأُم القرآن فصاعدا مع رواية اقرأ بأُم

القرآن اي فقط (٣٥) عن انس قال صليت خلف النبي وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون الحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في اوّل قراءة ولا في آخرها وعن انس ايضاً فلم اسمع احداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية يجهر مع حديث البخاري قال كانت قراءة الرسول مدا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم (٣٦) كان محمد اذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع وفي رواية للبخاري كان يرفع يديه عند الاحرام وعند الرفع من الركوع وفي رواية لمالك واذا كبر للركوع وفي حديث آخر اذا افتتح الى الصلاة يرفع يديهِ ثم لا يعود معهُ وقال ابن مسعود لما صلى بالناس لأُصلين بكم صلاة الرسول فرفع مرّة واحدة (٣٧) ورد في البخاري ان الرسول كان اذا قال سمع الله لمن حمده قال اللهمَّ ربنا لك الحمد مع حديث الشيخين ان الرسول قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فليقل من خلفه ربنا لك الحمد (٣٧) كان محمد اذا سجد تقع ركبتاهُ قبل يديهِ واذا رفع رفع يديهِ قبل ركبتيهِ وفي رواية اذا نهض نهض على ركبتيه واعتمد على فخذيه وفي حديث اذا سجد احدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديهِ ثم ركبتيه (٣٩) امر محمد بوضع الكفين في السجود يعني مكشوفتين وقال البيهقي شكونا اليهِ حر الرمضاء في جباهنا واكفنا فلم يشكنا مع حديث انهُ كان يسجد على الفرو الطويل الكمين للمشقة في اخراج يديه وكان الصحابة يصلون في بشانقهم وبرانسهم وطيالستهم ما يخرجون ايديهم وروي انه صلى وعليه كساء ملتف به يضع يديه عليه يقيه برد الحصباء وفي رواية يتقي بالكساء برد الارض بيده ورجله (٤٠) ورد في حديث ان الرسول كان اذا قعد في الصلاة وضع ذراعه اليمنى على ركبته ورفع

اصبعه السبابة قد احناها شيئاً وهو يدعو لا يحركها مع ان بعضهم رآه رفع اصبعه يحركها يدعو بها وفي حديث آخر تحريك الاصبع مذعرة الشيطان (٤١) كان اول ما يتكلم به الرسول اذا جلس للتشهد التحيات لله الخ وفي حديث آخر كان يعلمنا التشهد بسم الله و بالله * التحيات لله الخ (٤٢) قال الفخذ عورة وفي حديث آخر ان الرسول حسر الازار عن فخذه (٤٣) سئل عن الصلاة في الثوب الواحد فقال او لكلكم ثوبان وفي حديث لا يصلين احدكم في الثوب الواحد (٤٤) سئل محمد عن الرجل يجد في الصلاة شيئاً فقال لا ينصرف حتى يسمع صوتاً او يجد ريحاً مع حديث البيهقي اذا قاء احدكم في صلاته او قلس فلينصرف فليتوضأ ثم ليبن على ما مضى ما لم يتكلم (القلس هو غلبة القيء) (٤٥) ادرك جابر الرسول وهو يصلي فسلم عليهِ فأشار الرسول بيده الى الارض يرد عليهِ مع حديث ان المصلي يرد بعد السلام (٤٦) عن عائشة قالت كان الرسول يصلي صلاته من الليل وانا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنازة وفي البخاري انهُ كان يصلي والحمارة ترتع بين يديه والكلب يمر بين يديهِ لم يزجره وفي حديث لا يقطع صلاة المسلم شيء. ويناقضه يقطع صلاة الرجل المرأة والحمار والكلب الاسود (٤٧) قال محمد لرجل صلى في بيته ثم جاء الى المسجد اذا جئت فصلِّ مع الناس وان كنت قد صليت في بيتك مع حديث لا تصلوا صلاة في يوم مرتين وكان ابن عمر اذا جاء والناس في صلاة مكتوبة يجلس ولا يصلي معهم (٤٨) من نسي القنوت في الصبح او في الوتر سجد للسهو مع ان الرسول صلى الصباح بالناس فلم يقنت (٤٩) لا صلاة لمن لا وضوء لهُ ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليهِ ولا صلاة لمن لم يصلِّ على النبي وفي حديث من لم يصلِّ على النبي في التشهد فليُعِد صلاته مع قول ابي مسعود لو صليت صلاةً لا أُصلي فيها على محمد

وآل محمد لرأيت ان صلاتي لا تتم يعني ان صلاته صحيحة ولكنها ناقصة بخلاف الحديث الاوَّل فانهُ يشير الى الوجوب (٥٠) وردت احاديث تدل على بطلان الصلاة اذا لم يقرأ فيها شيء من القرآن مع ان بعضهم قال لعلي اني صليت فلم اقرأ قال اتممت الركوع والسجود قال نعم قال تمت صلاتك (٥١) من وجد في ثوبه او نعلهِ خبثاً وهو في الصلاة القاهُ عنهُ واستأنف الصلاة مع قول عبدالله بن عمر انهُ يبني على ما مضى (٥٢) اذا جاء احدكم المسجد فليقلب نعليهِ فلينظر أفيهما خبث فان وجد فيهما خبثاً فليمسحهما بالارض ثم ليصلِّ فيهما وسئلت ام سلمة عن المرأة تطيل ذيلها وتمشي في المكان القذر فقالت ام سلمة قال الرسول يطهره ما بعده قال ابو هريرة لمحمد انا نريد المسجد فنطأ الطريق النجسة فقال لهُ الطريق يطهر بعضها بعضاً مع ما اخذ بهِ الامام الشافعي وغيره مما يقضي بوجوب غسل الثوب او النعل اذا تنجس من القذر في الارض (٥٣) عن عائشة قالت لقد رأيتني افرك المني من ثوب الرسول فركاً وفي رواية فأحتهُ عنهُ وفي رواية لقد رأيتني وانا امسحهُ يعني المني من ثوب الرسول واذا جف حتتهُ وفي رواية أُخرى اذا اصاب ثوبهُ المني غسل ما اصاب منهُ ثوبه وخرج للصلاة وآثار البقع ظاهرة عليهِ (٥٤) بال اعرابي في المسجد فأمر النبي ان يُصبَّ عليهِ ذنوب من ماء مع قول كبار التابعين زكاة الارض يبسها (٥٥) من سمع النداء من جيران المسجد وهو صحيح من غير عذر فلم يجب فلا صلاة لهُ مع ان بعض الصحابة صلى وحده في بيته ولم يأمره بالاعادة (٥٦) لا يؤم الغلام حتى يحتلم مع حديثه عن عمرو بن سلمة انهُ كان يؤم قومه في الفرائض والجنائز في المساجد وكان ابن سبع او ست سنين (٥٧) ان محمداً رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده فأمره ان يعيد الصلاة مع ان ابا بكر دخل المسجد والنبي راكع

فركع دون الصف فقال لهُ النبي زادك الله حرصاً ولا تعد (٥٨) في حديث لا يصلي الامام على شيء اعلى مما عليهِ اصحابه مع ان صالحًا مولى التوأمة قال كنت اصلي انا وابو هريرة فوق ظهر المسجد نصلي بصلاة الامام وذلك في المكتوبة (٥٩) ان الرسول جمّع بأربعين رجلاً ووردت احاديث بأنهُ ليس على ما دون الخمسين جمعة وقولهُ الجمعة واجبة على كل قرية وان لم يكن فيها الاّ اربعة وقوله لا جمعة ولا تشريق الاّ في مصر جامع (٦٠) كبّر محمد في الصلاة في عيد الفطر والاضحى سبعاً في الاولى وخمساً في الثانية سوى تكبيرة الصلاة مع انهُ ورد انهُ كان يكبر في الاضحى والفطر اربعًا تكبيره على الجنائز وكان عبدالله بن مسعود يقول التكبير في العيدين خمس في الاولى واربع في الثانية (٦١) صلى الكسوف في كل ركعة اربع ركوعات وفي رواية خمس ركوعات وفي رواية ثلاث ركوعات مع انهُ ورد انهُ صلى لكسوف الشمس يوم مات ابنهُ ابراهيم ركعتين في كل ركعة ركوع واحد (٦٢) كان لايصلي للزلازل اذا وقعت ولا غيرها من الآيات كالظلمة او موت احد مع انهم قالوا ان علياً صلى لزلزلة ست ركعات في اربع سجدات وخمس ركعات وسجدتين في ركعة وركعة وسجدتين في ركعة ولما بلغ ابن عباس ان امرأة من ازواج محمد ماتت خر ساجداً (٦٣) بين الشرك والكفر ترك الصلاة وفي رواية فمن تركها فقد كفر مع انهُ ورد في احاديث كثيرة عدم كفره (٦٤) دفن الرسول شهداء احد بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وفي حديث آخر انهُ صلى عليهم (٦٥) اذا رأيتم الجنازة فقوموا حتي تخلفكم او توضع وان لم يكن احدكم ماشياً معها ومرّت جنازة فقام لها محمد فقيل انها جنازة يهودي فقال اليست نفساً وفي رواية انما قمت للملائك وورد انهُ ترك القيام للجنازة (٦٦) صلى نبيهم على النجاشي وكبر اربعاً مع انهُ ورد بانهُ كبر

خمساً في صلاته على بعض اصحابه وصلى علي بن ابي طالب على سهل بن حنيف فكبر عليهِ ستاً وكبَّر على ابي قتادة سبعاً (٦٧) كان ينهي عن دفن الموتى في الغروب مع انهُ دفن كثيرًا من اصحابه ليلاً ودُفن ابو بكر ليلاً (٦٨) صلى على جنازة فسلَّم تسليمة واحدة وفي حديث انهُ سلم عن يمينهِ ويسارهِ كالصلاة ذات الركوع والسجود (٦٩) قال فاذا وجبت فلا تبكين باكية قالوا وما الوجوب يا رسول الله قال اذا مات مع انهُ نعى جعفرًا وزيدًا بن حارثة وعبدالله بن رواحة وعيناه تذرفان ولما زار قبر أُمه فبكى وابكى من حوله وفي حديث ان عمر انتهر نساء يبكين مع الجنازة فقال لهُ دعهنَّ يا عمر فان العين باكية دامعة والنفس مصابة والعهد قريب وفي حديث ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم (٧٠) رأى نسوة جلوساً ينتظرن الجنازة قال اتحملن فيمن يحمل قلن لا قال فتدلين فيمن يدلى قلن لا قال فتغسلن فيمن يغسل قلن لا قال فارجعن مأزورات غير مأجورات مع انهُ في حديث آخر اجاز ذلك

المتناقضات التي وردت في الاحاديث المختصة بالزكاة الى الصوم (٧١) لما بعث الرسول معاذ الى اليمن قال خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر مع انهُ ورد بان معاذًا قال ائتوني بخميص او لبيس آخذه منكم مكان الصدقة فالاول يدل على اخذ الواجب من عين كل جنس والثاني يدل على اخذ البدل (٧٢) ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة ليس في الخيل والرقيق زكاة الاَّ زكاة الفطر في الرقيق مع انهُ ورد قوله الخيل ثلاثة هي لرجل وزر ولرجل اجر ولرجل ستر فاما الذي هي لهُ ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها وفي حديث اخر الخيل السائمة في كل فرس دينار (٧٣) لما ارسل الرسول ابا موسى ومعاذًا الى اليمن قال لهما لا تأخذا في الصدقة الاَّ عن هذه الاصناف الاربعة الشعير والحنطة والزبيب والتمر مع انهُ ورد حديث يؤخذ ممن يعصر زيتونه العشر فيما سقت السماء والانهار أو كان بعلاً العشر

وفيما سقي برشاء الناضح نصف العشر (٧٤) اتى رجل الى الرسول وقال ان لي نحلاً قال ادِّ العشر مع ان الشافعي ومالكاً قالا ان عمر عبد العزيز قال ليس في الخيل ولا في العسل صدقة (٧٥) وفي حديث ليس في الخضراوات والبقول صدقة مع حديث مسلم فيما سقت السماء والعيون او كان عثريًا اي يسقى من السحاب العشر فعم كل نبات (٧٦) ليس في الحلي زكاة مع ان عمر بن الخطاب كتب الى ابي موسى الاشعري ان مُرْ من قبلك من نساء المسلمين ان يصدّقن حليهنَّ (٧٧) تدفع الزكاة على الدين وفي رواية لا تدفع الاَّ بعد قبضه (٧٨) اذا تصدقت المرأة من بيت زوجها فلها اجرها ولهُ مثله وفي رواية لا تجوز صدقة المرأة الأَ من قوتها ولا يجوز لها ان تصدق بمال زوجها الاَّ باذنه

(المناقضات من الصيام الى الحج) (٧٩) سئلت عائشة عن اليوم الذي يشك فيهِ فقالت لان أَصوم يوماً من شعبان احب اليَّ من ان افطر يوماً من رمضان مع انهُ ورد حديث اذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يدخل رمضان ونهى محمد ان يعجل شهر رمضان بصوم يوم او يومين ومن صام اليوم الذي يشك فيهِ فقد عصى ابا القاسم اي محمدًا (٨٠) قالت عائشة كان الرسول يصبح جنباً في رمضان من جماع غير احتلام فيدركهُ الفجر فيغتسل و يصوم مع انهُ ورد حديث آخر يقول من صام جنباً أَفطر ذلك اليوم (٨١) ورد ان الرسول قاءَ فأَفطر وفي رواية أُخرى لا يفطر من قاء ولا من احتلم (٨٢) ليس من البر الصيام في السفر مع ان الرسول صام في السفر والحر الشديد وفي بعض الغزوات كان البعض صائمًا والآخر غير صائم (٨٣) ورد انهُ اذا شهد شاهدا عدل في هلال رمضان روعيت شهادتهما مع ان عمر بن الخطاب والبراء بن عازب قبلا شهادة رجل واحد في هلال رمضان وامرا الناس بصيامه (٨٤) من مات وعليهِ صيام صام عنهُ وليُّهُ مع انهُ ورد لا يصم احد عن احد وفي رواية لا تصوموا عن موتاكم واطعموا عنهم (٨٥) من كان عليهِ قضاء رمضان فان شاء قضاهُ مفرقًا وان شاء متتابعاً مع انهُ ورد حديث آخر بان من كان عليهِ صوم

من رمضان فليسرده ُ ولا يفطر (٨٦) ان محمداً كان يكتحل بالاثمد وهو صائم وكان يقول عليكم بالاثمد فانه ُ يجلو البصر و ينبت الشعر مع انه ُ ورد ان النبي قال لاحد الصحابة لا تكتحل بالنهار وانت صائم اكتحل ليلاً الاثمد يجلو البصر و ينبت الشعر (٨٧) احتجم محمد وهو صائم مع انه ُ قال افطر الحاجم والمحجوم (٨٨) ان عائشة كانت قرَّبت حيساً الى محمد فأ كل منهُ وقال قد كنت اصبحت صائمًا مع حديث عائشة انها قالت اهدي الينا حيس وقد اصبحت صائمة فقال قرِّبيه واقضي يوماً مكانه (٨٩) لا اعتكاف الاَّ بصوم وحديث آخر ليس على المعتكف صيام الا ان يجعلهُ على نفسه

(الاحاديث المتناقضة الواردة في الحج الى البيع) (٩٠) ورد حديث ان جبريل قال يا محمد ما الاسلام قال ان تشهد ان لا اله الاَّ الله وان محمدًا رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء وتصوم رمضان وفي حديث آخر ان ابي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال احجج عن ابيك واعتمر وكان عبدالله بن عوف يقرأ واتموا الحج والعمرة لله فهي واجبة كالحج مع انه ُ ورد حديث آخر بان الحج جهاد والعمرة تطوع وسأل جابر الرسول بان قال يا رسول الله العمرة واجبة وفريضتها كفريضة الحج قال لا وان تعتمر خير لك فهي تطوع (٩١) كانت اسماء بنت ابي بكر تلبس المعصفرات المشبعات وهي محرمة ليس فيها زعفران وورد ان عائشة كانت تلبس الثياب الموردة بالعصفر الخفيف وهي محرمة مع ان ابا داود وغيره رووا ان امرأة جاءت الى الرسول بثوب مشبع بعصفر فقالت يا رسول الله اني اريد الحج فاحرم في هذا فقال لكِ غيره قالت لا قال فأحرمي فيهِ (٩٢) ايما صبي حج فقد قضت عنهُ حجته ما دام صغيرًا فاذا بلغ فعليهِ حجة أُخرى مع قول بعض الصحابة لا يلزمه حجة اخرى بعد البلوغ

اما المناقضات الواردة بخصوص المعاملات فهي جمة تزيد على ما تقدم واكتفينا هنا بالمناقضات المختصة بأركان الدين اي الصلاة والزكاة والصوم والحج ويتضح منها وجود الاختلافات في الامور الجزئية والكلية بما يدهش العقول وانت ترى انهُ مع تمنت المتعرض والكثرة الذين اخذ عنهم لم يتمدروا

ان يأتوا باختلاف واحد في اركان الدين فان اعتراضاتهم لا تخرج عن اسماء اعلام او بعض ارقام كما قلنا ونقدم القول الفصل ويتضح ايضاً ان الديانة الحقيقية هي منزهة عن التخفيف والتشديد فان ارادة الله واحدة وديانته واحدة والكلمة التي اعلنها لنا هي مناسبة للكبير والصغير والعالم والجاهل والغني والفقير والقوي والضعيف ولكل اصناف الناس على حد سواء مما يدل على انها وحي الحكيم العليم ولو كانت تلفيقات البشر لوجدوا فيها اختلافاً شديداً ولكنها متطابقة ومتوافقة ولا يوجد في الستة وستين سفراً اختلاف مطلقاً مع نزولها على نحو خمسين نبياً في اثناء اربعة آلاف سنة تقريباً كما قلنا وهذا بخلاف القرآن والاحاديث فمع انه كتاب واحد واتى به شخص واحد من عهد قريب بالنسبة الى الكتب المقدسة الا ان فيه من الاختلافات والناسخ والمنسوخ شيئاً كثيراً جداً مما يدل على اضطراب الفكر او تعدد المؤلفين ومما يشير الى هذا ما ورد في سورة النحل ١٦ : ١٠٥ ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر

قال البيضاوي يعنون جبرا الرومي غلام عامر ابن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشاً غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي انتهى بالحرف الواحد

فكان يأخذ من كل واحد كلاماً ويدوّنه وكان هذا معلوماً عند اهل عصره حسب قوله وشهادته الصريحة فلا عجب اذا جاءت الاختلافات والمناقضات وهذا بخلاف كتب الوحي الصادقة فان مصدرها العليم الحكيم المنزه عن التغيير والتحويل فعليك ايها القارئ الفطن ان تتمسك بعروتها الوثقى فانها خير لك وابقى وعلى الله الهداية في البداية والنهاية

❊ ويليه ان شاء الله الجزء الثاني ❊

